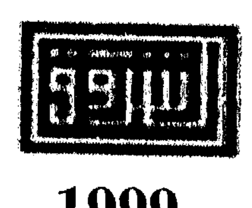
الحروب الصليبية

دراسات تاريخية ونقدية

الحروب الصليبية
دراسات تاريخية ونقدية

إعداد
د. محمد مؤنس أحمد عوض
كلية الآداب - جامعة عين شمس

تقديم
د. سعيد عبد الله جبريل البيشاوي
كلية العلوم التربوية



1999

رقم التصنيف : 956.0666
المؤلف ومن هو في حكمه: محمد مؤنس أحمد عوض
عنوان الكتاب: الحروب الصليبية: دراسات تاريخية ونقدية
الموضوع الرئيسي: 1- التاريخ والجغرافيا
2- الحروب الصليبية
رقم الإيداع: 1999/8/1425
بيانات النشر : عمان: دار الشروق

- تم إعداد بيانات الفهرسة الأولية من قبل المكتبة الوطنية

- رقم الإجازه المتسلسل : 1999/8/1009

- الحروب الصليبية : دراسات تاريخية ونقدية
- محمد مؤنس أحمد عوض
- الطبعة العربية الأولى ١٩٩٩ .

■ التنضيد والاخراج الداخلي وتصميم الغلاف وفرز الألوان و الأفلام :
الشروق للدعاية والإعلان والتسويق/ قسم الخدمات المطبعية
هاتف : ٤٦١٨١٩٠/١ فاكس ٤٦١٠٠٦٥ / ص .ب . ٩٢٦٤٦٣ عمان (١١١١٠) الأردن
تاريخ الصدور: نيسان / إبريل ١٩٩٩

الحروب الصليبية
دراسات تاريخية ونقدية

تقديم

تمثل الحروب الفرنجية الصليبية إحدى حلقات الصراع بين الشرق والغرب، ذلك الصراع الطويل الذي شهد العديد من المعارك والمجازر التي ذهب ضحيتها مئات الآلاف من البشر . وقد تمكن الفرنجة الصليبيون من الاستيلاء على مساحات شاسعة من الأراضي العربية والإسلامية ، كما أنهم أسسوا أربع إمارات كبيرة هي : إمارة انطاكية ، وإمارة الرها ، وإمارة طرابلس ، ومملكة بيت المقدس اللاتينية[1] . وفضلا عن ذلك شهد الشرق حركة استيطانية نفذها الفرنجة الصليبيون على الأرض العربية الإسلامية على حساب سكان البلاد الإصليين ، الذين أصبحوا يعملون في أرضهم كمستأجرين لها . وقد نفذ الفرنجة الصليبيون عملية بناء المستوطنات من خلال تطبيق النظام الإقطاعي الأوروبي الذي نقلوه بجذوره إلى الشرق ، وطبقوه في البلاد التي استولوا عليها ، مع إجراء بعض التغيرات الطفيفة التي تتناسب بقاءهم واستمرارهم في المنطقة ؛ خاصة أنهم كانوا محاطين بمجموعة من القوى الإسلامية التي كانت تتحفز دائما لاسترداد البلاد المغتصبة . وليس من شك في أن عملية الاستيطان لم تتم بسهولة ودون مقاومة من أصحاب البلاد الأصليين الذين قاوموا وتصدّوا لعملية مصادرة أراضيهم ، ولبناء المستوطنات ، وكانت النتيجة أن تعرضوا للقمع والتنكيل والتهجير ، وقد أشارت بعض الوثائق اللاتينية المعاصرة إلى قيام الفرنجة الصليبيين بطرد السكان من قراهم وأراضيهم إلى مناطق أخرى والعمل على توطينهم فيها .

وشكلت الحروب الفرنجية الصليبية مجالا خصبا للمؤرخين الغربيين ، الذين كتبوا مؤلفات ضخمة في موضوعات مختلفة ، عالجت الأوضاع السياسية والاجتماعية والاقتصادية والعسكرية في فترة الحروب الفرنجية الصليبية ، كما اهتموا أيضا بدراسة بعض الشخصيات الأوروبية والإسلامية التي لعبت دورا فاعلا خلال تلك الحقبة مثل :صلاح الدين الأيوبي ،وريتشارد قلب الأسد ،والقديس لويس وغيرهم . وبالإضافة إلى ذلك أولى بعض المؤرخين اهتماما بتاريخ المدن الشامية والمصرية ،

وكذلك اهتم البعض الآخر بالرحلات الأوروبية إلى الشرق ، ولعل اهتمام أهل الغرب بدراسة الحركة الفرنجية الصليبية والكتابة عنها ، يشير إلى أن هذه الحركة ما زالت مستمرة حتى هذه الأيام مع وجود بعض الاختلافات في طريقة التنفيذ . ويذكر مؤلف هذا السفر القيم أن مجموع ما كتبه المؤرخون الغربيون عن الحروب الفرنجية الصليبية بلغ نحو خمسة آلاف وستمائة وستين مؤلفا حتى عام ١٩٦٥م ، وفي مقابل ذلك لم يبد المؤرخون العرب والمسلمون اهتماما واضحا بتاريخ الحروب الفرنجية إلا منذ حوالي نصف قرن من الزمن ، وكان المؤرخون المصريون روادا في مجال الكتابة التاريخية عن الحروب الفرنجية الصليبية ، وقد تبعهم في ذلك المؤرخون الشاميون والعراقيون . وهذا يعني أننا كشرقيين تأخرنا عن الغرب الأوروربي فترة طويلة من الزمن ، على الرغم أنه كان من الأجدر بنا أن نبادر إلى دراسة هذه الحركة دراسة جادة ، لأنها استهدفت وجودنا وكياننا ؛ وذلك من أجل التعرف على خفاياها ، وكي نحمي أنفسنا وبلادنا من حركة أخرى مماثلة قد نتعرض لها في المستقبل .

وقد ذكر مؤلف هذا السفر القيم أن المؤرخين العرب والمسلمين اعتمدوا في كتاباتهم عن الحروب الفرنجية الصليبية على ما دونه المؤرخون الغربيون دون أن تكون لديهم رؤية نقدية تحليلية عامة حيال كتاباتهم ، على الرغم من الأهمية الكبيرة لتوافر تلك الرؤية عند التعامل مع ما يؤلفونه ، حتى لا نأخذ كل ما يرد لديهم على أنه حقائق ينبغي الاعتماد عليها ، والأخذ بها دونما معارضة . وليس من شك في أن هذه القضية تعتبر من القضايا الهامة في الكتابة التاريخية ، فالرجوع إلى كتابات المؤلفين الغربيين التاريخية في مجال الحركة الفرنجية الصليبية تعتبر ظاهرة طيبة ، إذا كانت مقرونة برؤية نقدية تحليلية إلى كل ما دونه الغربيون عن هذه الحقبة التاريخية ؛ لأن الهدف من كتابة التاريخ هو الوصول إلى الحقيقة بعيدا عن الأهواء والميول ، ومن أجل أن يعرف أبناء الوطن العربي تاريخهم النقي ، دون الحاجة إلى كتمان بعض مجريات أحداث التاريخ .

ونظـــرا لأهمية موضوع الدراسات النقدية التحليلية في مجال الكتابة التاريخية عـــن الحـــروب الفـــرنجية الصليبية ، وضع الأستاذ الدكتور محمد مؤنس عوض هذا السـفر القيـم بعـنوان " الحروب الصليبية ، دراسات تاريخية ونقدية " وقد بذل جهدا كـبيرا أثـناء إعـداده للمادة العلمية ، وكان يقف موقف الناقد أمام كثير من الأحداث الـتاريخية التي أوردها في مؤلفه . وقد تطرق في الفصل الأول من هذا الكتاب لحملة الملك النرويجي سيجورد على الشرق ، معتمدا على مصدر نرويجي على جانب كبير مـن الأهميـة ، في صورة ما يعرف بكتاب الساجا Saga ، فضلا عن اعتماده على مصـادر تاريخيـة معاصـرة سـواء كانت مدونة باللغة اللاتينية أو العربية . وأشار المؤلـف إلى خط سير الحملة ، والمدة التي استغرقتها حتى وصلت إلى فلسطين ، كما نـاقش آراء المؤرخين المختلفة حول دوافع الحملة ، وفضلا عن ذلك ، فقد تطرق إلى اسـتقبال الملك النرويجي من قبل بلدوين الأول ملك مملكة بيت المقدس اللاتينية ، إذ أجمعت المصادر المعاصرة على حفاوة استقبال الملك الفرنجي لضيفه النرويجي . وقد خـرج المؤلـف بنـتيجة هامـة وهي أن الحملة النرويجية تمثل أحدى حلقات الدعم العسـكري لـلوجود الفرنجي الصليبي في بلاد الشام خلال مرحلة تأسيس أركانه في المنطقة .

أمـا الفصل الثاني من هذه الدراسة وعنوانه " وليم الصوري مؤرخا للقلاع الجنوبية لمملكة بيت المقدس الصليبية " فقد ركز فيه المؤلف على دراسة شخصية وليم الصـوري ، وسـفره إلى الخارج ودراسته في كثير من المدن الأوروبية مثل شارتر وبـاريس واورليان في فرنسا وبولونيا في ايطاليا ، كما أشار إلى تنوع العلوم والفنون الـتي اقبل المؤرخ وليم الصوري على النهل منها . وفضلا عن ذلك وجه المؤلف نقدا لهـذا المـؤرخ الفـرنجي فيما يتعلق بتحديداته الزمنية التي لم تكن دقيقة في كثير من الأحيـان . وقـد تطرق المؤلف إلى اهتمام المؤرخ وليم الصوري بالقلاع الصليبية ، وخاصة تلك التي شيدت في الجنوب مثل قلعة تل الصافي وقلعة يبنا وقلعة بيت جبريل وقد ذكر أن وليم الصوري تناولها بقدرة مميزة على التحليل ورصد المقدمات والنتائج

وبتفاصيل مستفيضة نكاد لا نجدها لدى مؤرخي القرن الثاني عشر الميلادي من الفرنجة الصليبيين .

وعالج المؤلف في الفصل الثالث من هذه الدراسة موضوعا هاما هو " الطب في المناطق الفرنجية " وقد أشار إلى عدم اهتمام الباحثين بالنواحي الطبية على الرغم من أهميتها في دراسة أوضاع الفرنجة الصليبيين الحضارية . وتعرض المؤلف إلى ذكر بعض الأمراض التي تعرض لها الفرنجة الصليبيون في بلاد الشام ، وصنفها إلى أمراض وبائية ، ثم حالات الإصابة بالتسمم ، والإصابة بالجروح في المعارك الحربية، وكذلك الإصابة بالحمى ، ثم الأمراض التي توصف بأنها أمراض سرية محتملة .وفضلا عن ذلك تحدث المؤلف عن الطرق التي اتبعها الفرنجة الصليبيون لمعالجة مثل تلك الأمراض . وتطرق المؤلف إلى ذكر المستشفيات التي أقامها الفرنجة الصليبيون في مملكة بيت المقدس اللاتينية ، وخاصة مستشفى القديس يوحنا في بيت المقدس وكذلك المستشفيات التي كانت تعالج المصابين بمرض الجذام (البرص). كما تعرض الباحث لذكر المستشفيات في الإمارات الصليبية الأخرى مثل الرها وطرابلس.

وقد تناول المؤلف في الفصل الرابع من هذا السفر القيم " بعض اتجاهات الباحثين الغربيين في مجال دراسة تاريخ الحروب الصليبية بالرؤية النقدية وأبرز توجهات أولئك الباحثين عندما اتجهوا إلى الكتابة في تلك المرحلة الحيوية والمؤثرة في تاريخ العلاقات بين الشرق الإسلامي والغرب الكاثوليكي في خلال القرنين الثاني عشر والثالث عشر الميلاديين على نحو خاص . وقد أوضح المؤلف أن المؤرخين الغربيين عملوا على إبراز الجانب العسكري والسياسي في الصراع الإسلامي الفرنجي ولم يتجهوا صوب الزاوية الحضارية ،وهذا يشير إلى أنهم عملوا على إبراز الانتصار العسكري المبكر الذي سمح بغرس كياناتهم الدخيلة في الأرض العربية .

أما الفصل الخامس وهو بعنوان " واقع الكتابة التاريخية العربية الحديثة عن الصليبيات رؤية نقدية وقد تحدث فيه المؤلف عن ملامح نشأة وتطور الكتابة التاريخية العربية الحديثة عن الحروب الفرنجية الصليبية ، مشيرا إلى أن النشأة ارتبطت بنهاية

الحـــرب العالمية الثانية على يد عدد من المؤرخين المصريين الذين أسهموا في إعداد دراسات تاريخية حديثة ، بعد أن تلقوا تعليمهم في الغرب الأوروبي ، كما أشرفوا على عدد من الباحثين في العالم العربي . وقد اشار المؤلف أيضا للمشاكل التي يعاني منها الـــبحث الـــتاريخي العربي في مجال الحروب الفرنجية الصليبية ؛ بسبب عدم التنسيق بيـــن الباحـــثين العرب ، وعدم وجود جمعية تربطهم في مجال الصليبيات وتؤدي إلى تواصلهم العلمي والبحثي ، هذا إلى جانب معاناة البحث التاريخي العربي في الحروب الفـــرنجية الصليبية من مشكلة غياب ا لمراكز البحتية المتخصصة ،وهذا الأمر يعكس مدى تخلف العرب عن الركب ، إذ ليس من المعقول عدم وجود مراكز بحتية في هذه الـــدول التي تعرضت لتلك الأحداث مثل مصر وسوريا وفلسطين والأردن ولبنان على الـــرغم من أهمية ظاهرة الحروب الفرنجية الصليبية . ويطالب المؤلف من خلال هذه الدراســـة بالإسراع لإيجاد حلول للعقبات التي تواجه الباحث العربي . ويذكر أيضا أن الباحـــثين الإسرائليين اهتموا بدراسة الحروب الفرنجية الصليبية اهتماما واضحا ، فهم فـــي رأيـــه يتابعون بدقة ما يصدر في الغرب الأوروبي والأمريكي ، ويستفيدون من حصـــاد تجـــربة الصـــليبيات لا ســـيما في مجال الاستيطان الفرنجي ؛من أجل دعم الاستيطان الصهيوني في الأرض العربية في فلسطين ؛ ومن أجل تلافي الأخطاء التي وقع بها الفرنجة الصليبيون ، وحتى يتلافوا مصيرا كمصير حطين .

والحقيقـــة أن الاســـتاذ الدكتور محمد مؤنس عوض من الباحثين الواعدين ، الذي يمتاز بحسه التاريخي ، وقدرته على النقد والتحليل في مجال الدراسات التاريخية المتخصصـــة بفترة الحروب الفرنجية الصليبية . وهو غزير الإنتاج في مجال الكتابة الـــتاريخية عـــن الموضـــوع ســـالف الذكر ، وله مؤلفات كثيرة نالت إعجاب وتقدير المؤرخيـــن العـــرب فـــي مختلف أرجاء الوطن ، ومن هذه المؤلفات كتاب " الرحالة الأوربيون في مملكة بيت المقدس الصليبية "، وكتاب"الجغرافيون والرحالة المسلمون " وكـــتاب " الـــزلازل في بلاد الشام في عصر ا لحروب الصليبية " ، وكتاب " فصول ببـــليوغرافية فـــي تـــاريخ الحـــروب الصليبية " . هذا إلى جانب العديد من المقالات

والأبحاث التي نشرت في أكثر من مجلة علمية متخصصة . وفوق هذا يشرف الأستاذ الدكـــتور محمـــد مؤنـــس عـــوض على مجموعة من الطلبة المتخصصين في تاريخ الحروب الفرنجية الصليبية ، ويمتاز بحسن علاقته مع زملائه في العمل ومع الباحثين المتخصصين في مجال الصليبيات في العالم العربي .

وفـــي نهايـــة حديـــثي أقـــول أن هذا الكتاب من الكتب الأولى التي عالجت موضوعات هامة من خلال تقديم رؤية نقدية تحليلية لكل ما ورد فيه بهذا السفر القيم مـــن معـــلومات قيمـــة ، ولذلـــك فالكـــتاب جدير بالقراءة والاهتمام من قبل الباحثين والمتخصصـــين في هذا المجال من الدراسات التاريخية ، وهذه دعوة لجميع المؤرخين والباحـــثين فـــي العـــالم العـــربي من أجل التركيز على الرؤى النقدية والتحليلية أثناء تصديهم لموضوعات في تاريخ الحروب الفرنجية الصليبية .

والله ولي التوفيق

د . سعيد عبد الله البيشاوي

رام الله – كلية العلوم التربوية

فلسطين

١٩٩٩/٨/١٥م

الإهـــــداء

إلى روح والدي الأستاذ / أحمد عوض حماد
(١٩٠٩ – ١٩٩٨م) الذي لا أملك لرثائه
إلا بيتا من الشعر من إبداع الشاعر الدمشقي
الكبير / نزار قباني حيث قال :

بـــأي اللغـــات أبكي عليك
وموتك ألغى جميع اللغات [١]

---

[١] نظم الشاعر الكبير / نزار قباني هذا البيت في رثاء ابنه توفيق الذي رحل عن عالمنا في شبابه ووضع البيت المذكور في مدخل مقبرته منحوتا على الحجارة .

المقدمـــــــــة

يتناول هذا الكتاب بالدراسة؛ عددا من البحوث والدراسات المتخصصـــة فـــي مجـــال العلاقات بين الشرق والغرب في العصور الوسطى ، لا سيما من خلال تلك الظـــاهرة التاريخية الفريدة في مرحلتها الشامية ونعني بها الحروب الفرنجية الصليبية على مـدى القرنين الثاني عشر والثالث عشر الميلاديين / السادس والسابع الهجريين .

وقد جاء العنوان " الحروب الفرنجية الصليبية ، دراسات تاريخية ونقدية ، نظرا إلـــى اتجاه المؤلف نحو تناول دراسات ذات طابع تاريخي صرف ، ثم كذلك دراسات أخرى ذات رؤية تقويمية نقدية ، وهكذا فقد اشتمل هذا الكتاب على خمســـة فصـــول ، الأول عن الحملة الصليبية النرويجية التي وقعت خلال المرحلة من ١١٩٧- ١١١٠م/٥٠١-٥٠٤هـــ بقيادة الملك النرويجي سيجورد Sigurd ، وقد اعتمـــدت علـــى مصـــدر تاريخي نرويجي على جانب كبير من الأهمية في صورة ما يعرف بالســـاجا Saga، مع عدم إغفال أهمية المصادر التاريخية الأخرى سواء كانت لاتينية أم عربية بطبيعـــة الحال .

أما الفصل الثاني ، فقد اختص بدراسة عمدة مؤرخي الحروب الصليبية فـــي المـــؤرخ اللاتيني وليم الصوري William of Tyre ، خاصة من خلال تناوله للقلاع الجنوبية لمملكة بيت المقدس الصليبية خلال المرحلـــة مـــن ١١٣٧-١١٥٠م/٥٣٢-٥٤٥هـــــ وتكمن أهمية وليم الصوري من خلال كتابة تاريخ الأعمـــال Historia Rerum ، الذي أشار فيه إلى ظاهرة القلاع الفرنجية الصليبية التي شيدها الغزاة على امتداد طول مملكة بيت المقدس وعرضها ؛ من أجل تثبيت أقدامهم في المناطق التي استولوا عليـــها ، في وسط محيط إسلامي يناصبهم العداء في الغالب الأعم ، وعلى نحو خاص خـــلال المرحلة موضوع الدراسة .

ولا نغفل أن مدينة عسقلان كانت تؤرق الفرنجة الصليبيين بعد الـــدور الفعـــال الـــذي قامت به حاميتها في مهاجمة المملكة الفرنجية الصليبية ، وبصفة عامة ودونما مبالغـــة في القول أو تعسف في الأحكام ، يعد ذلك المؤرخ أفضل مؤرخ صليبي معاصر تناول

دور القلاع الصليبية خلال تلك المرحلة التاريخية بقدرة متميزة على التحليل ، ورصد المقدمات والنتائج ، وبتفاصيل مسهبة نكاد لا نجدها لدى مؤرخي القرن الثاني عشر الميلادي / السادس الهجري من الصليبيين ، على الرغم من قلة مؤلفاتهم التاريخية .

ويلقي الفصل الثالث الأضواء الكاشفة على الطب في المناطق الصليبية خاصة خلال المرحلة ١٠٩٨ م إلى ١١٧٤م/ ٤٩١-٥٧٠هـ . ولعل أهم زاوية نتجه إلى تناولها قضية إفادة الصليبيين – ولو بصورة محدودة – من التراث الطبي العربي من خلال العمل على ترجمة بعض المؤلفات من العربية إلى اللاتينية ، ولا نغفل أن المعرفة الطبية لدى الصليبيين عملت جاهدة على التقليل من نسبة الخسائر البشرية في المعارك الحربية التي خيض غمارها ضد المسلمين .

أما الفصل الرابع ، فقد اتجه صوب تقديم رؤية نقدية لبعض اتجاهات الباحثين الغربيين الذين تناولوا بالكتابة عصر الحروب الفرنجية الصليبية ، ويلاحظ أننا في العالم العربي اعتدنا الإفادة من مؤلفات أولئك الباحثين دون أن يتوافر لدى البعض منا رؤية نقدية كافية حيال كتاباتهم ، على الرغم من الأهمية الكبيرة لتوافر تلك الرؤية عند التعامل مع ما يؤلفونه ؛ حتى لا نأخذ كل ما يرد لديهم على أنه حقائق ينبغي الأخذ بها دونما معارضة .

وإذا اتجهنا صوب الفصل الخامس ، نجد أنه يتناول موضوعا هاما يركز واقع الكتابة التاريخية العربية الحديثة عن الصليبيات – رؤية نقدية ، وأتصور أن غزارة النتاج التأليفي بالعربية في الوقت الحالي يحتاج إلى من يكتب تاريخه ، كذلك تقديم رؤية نقدية موضوعية من أجل إثراء تلك الكتابات وفق جهد المرء المتواضع .

وفي ختام هذا التقديم ، أتوجه بالشكر لعديد من المؤسسات العلمية ، وكذلك الأفراد الذين أفدت منهم وصقلوا فكري ، فهناك كلية اللغة العربية والعلوم الاجتماعية – جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بأبها البهية – عروس عسير – وكذلك كلية التربية / جامعة الملك سعود بالمدينة نفسها ثم كلية الآداب/ جامعة عين شمس ،

وكذلك كلية الآداب / جامعة القاهرة ومكتبات ، تلك الكليات ، وكذلك مكتبة الجامعة الأمريكية بالقاهرة ، ودير الآباء الدومينكان ، ودير الآباء الفرنسيسكان ، كذلك اتوجه بالشكر الجزيل للقائمين على سمنار قسم التاريخ بكلية اللغة العربية والعلوم الاجتماعية – جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بأبها الذين ألقيت أمامهم الفصل الرابع من هذا الكتاب ، فأفدت من ملاحظاتهم الشيء الكثير .

ولا يفوتني أن أكرر شكري ونقدي للأستاذ الدكتور / قاسم عبده قاسم أستاذ تاريخ العصور الوسطى بكلية الآداب / جامعة الزقازيق الذي راجع عددا من فصول هذا الكتاب ، كذلك اقدم تقديري وشكري لصديقين من الباحثين الغربيين – الذين أفدت من مكتباتهم لا أفكارهم – وهما الأمريكي كريستوفر ملتشرت والفرنسي بيير يتنار .

والآن . اترك القارئ يطالع حصاد الهشيم المتواضع ، ولا أغفل أن أردد قول المولى عز وجل في كتابه الكريم "وفوق كل ذي علم عليم " صدق الله العظيم .

د.محمد مؤنس أحمد عوض

مصر الجديدة – مساكن شيراتون

١٩٩٩م

الفصـــــل الأول

الحملة الصليبية النرويجية

الملك سيجورد ودوره في دعم الحركة الفرنجية الصليبية
(١١٠٧-١١١٠م/٥٠١-٥٠٤هـ)

الحملة الصليبية النرويجية

الملك سيجورد

ودوره في دعم الحركة الصليبية

(١١٠٧-١١١٠م/٥٠١-٥٠٤هـ)

يتناول هذا الفصل بالدراسة الحملة الصليبية النرويجية والدور الذي قام به النرويجي سيجورد Sigurd في دعم المشروع الصليبي في العقد الأول من القرن الثاني عشر الميلادي / السادس الهجري خلال المرحلة الممتدة من ١١٠٧-١١١٠م/٥٠١-٥٠٤هـ) ويتعرض إلى التعريف بسكان شبه جزيرة إسكنديناوه واعتناقهم المسيحية، وكذلك التعريف بذلك الملك النرويجي في أقصى شمال غرب أوربا حتى وصوله إلى بلاد الشام ، ثم أوضاع مملكة بيت المقدس الفرنجية الصليبية عندما وصلت إليها الحملة الصليبية النرويجية بقيادته ، والدور الذي قامت به من أجل دعم الوجود الفرنجي الصليبي في المنطقة على حساب القوى الإسلامية.

والجدير بالذكر ، أن الحملة الصليبية النرويجية لم تحظ باهتمام كبير من جانب الباحثين ولم يتم تناولها إلا من خلال عرض سريع ، وموجز للغاية ضمن أحداث عهد الملك الصليبي بلدوين الأول (١١٠٠-١١١٨م/٤٩٤-٥١٢هـ) على الرغم من أهميتها في الكشف عن حقيقة ارتباط الوجود الفرنجي الصليبي في بلاد الشام بالقوى السياسية في الغرب الأوربي التي دعمت ذلك الكيان الدخيل على المنطقة من أجل تثبيت أقدامه ، وإطالة عمره هناك خاصة خلال تلك المرحلة المبكرة من تاريخ الوجود الصليبي .ومن جهة أخرى ، فان دراسة تلك الحملة تتطلب مطالعة المصادر التاريخية النرويجية وكذلك مؤلفات المؤرخين الصليبيين في بلاد الشام وفي أوربا الذين أرخوا لها ، ثم مطالعة المصادر التاريخية العربية من أجل إيجاد تصور ما عن حقيقة ذلك الدعم النرويجي للحركة الصليبية .

والجدير بالذكر ، أن الفيكنج Vikings أو الشماليين أو النورثمن Northmenهم العناصر التي استقرت في شبه جزيرة اسكنديناوه (السويد – النرويج – الدنمارك) ويلاحظ أن كلمة Vikingsذاتها تعني في أصلها اللغوي سكان الفيوردات أو الخلجان ، وهي ظاهرة جغرافية فعالة ومؤثرة ، امتازت بها شواطئ المناطق الواقعة في شمال غرب أوربا(١) .

وفي أخريات القرن الثامن الميلادي / الثاني الهجري حدثت موجة هجرة كبيرة لعناصرهم ، وذلك من جراء تزايد كبير في أعداد السكان في بلاد عانت بشدة من نقص الموارد ، واتجه الفلاحون الذين لم تكن لهم أراض وكذلك النبلاء إلى البحر من أجل إشباع احتياجاتهم للحياة وروح المغامرة ، وهكذا قاموا بعمليات كبيرة للسلب والنهب (٢) وقد امتدت إغاراتهم لتشمل سهول شرق أوربا ، والبحر الأسود حتى أنجلترا ، وأيرلندا ، والجزر الواقعة إلى الشمال من المحيط الأطلنطي ، كما شملت مناطق في ألمانيا ، وفرنسا ، وأسبانيا (٣) ، وقد أدى اتساع نطاق إغاراتهم وتحركاتهم البحرية إلى أن عدهم أحد المؤرخين أكبر شعب بحري عرفته القارة الأوروبية في مرحلة العصور الوسطى (٤).

أما عن انتشار المسيحية في صفوفهم ، فكان ذلك منذ القرن التاسع الميلادي / الثالث الهجري ، وظهر في هذا المجال عدد من المنصرين مثل القديس أنسكر St.Ansker (ت٨٦٥م/٢٥٧هـ) الذي جعل مجال نشاطه في الدنمارك (٥) ثم هناك القديس أولاف St.Olaf(ت. ١٠٣٠م/٤٢٤هـ) وقد ارتبط إسمه بتنصير النرويج (٦) ، وأخيرا نذكر القديس سجفريد St.Sigfrid(١٠٤٥م/٤٣٩هـ) ، الذي اهتم بتنصير السويد (٧) .

ويعنينا في المقام الأول تنصير النرويج لتغدو من بعد ذلك قوة مسيحية تشارك في المشروع الصليبي ، وفي هذا المجال يظهر دور كل من أولاف الأول تريجفاسون Olaf I Tryggvason الذي حكم النرويج خلال المرحلة من ٩٩٥–١٠٠٠م (٨) . ثم اولاف الثاني هارالديسون Olaf II Haraldison وهو نفسه

القديس أولاف الذي حكم النرويج في المرحلة من ١٠١٦-١٠٣٠م ، ونجد انه في علم ١٠٠٠م قرر البرلمان الأيسلندي تقبل المسيحية وذلك على الرغم من معارضة العناصر الوثنية ، وإذا كان هذا هو الإنجاز الأكبر في عهد أولاف الأول فإن أولاف الثاني أقام سلكا كهنوتيا مسيحيا ، وقد اتبع وسائل القوة وبذل المال من أجل القضاء على الوثنية في النرويج ، وقد اعتبر البطل القومي لبلاده وشيدت على اسمه عدة كنائس خارج بلاده وعلى نحو خاص في إنجلترا (٩) .

وقد عدت النرويج من الآن فصاعدا ، إحدى القوى المسيحية الهامة في شمال غرب أوربا ، وقد نعمت بالسلام في الربع الأخير من القرن الحادي عشر الميلادي / الخامس الهجري وتوقفت الصراعات القبلية ولعبت الكنيسة النرويجية دورها في سبيل تحقيق ذلك (١٠) .

ويبدو أن الاستقرار الداخلي الذي نعمت به النرويج في المرحلة الأخيرة من القرن المذكور وكذلك بدايات القرن الثاني عشر الميلادي / السادس الهجري كان له أثره في فعاليات أكبر للنرويجيين في قضايا الغرب الأوربي ، وهو ما سنجده بجلاء في عهد الملك سيجورد ، وهو أحد ملوك النرويج خلال الثلث الأول من القرن الثاني عشر م/السادس هـ وهو سيجورد الأول Magnusson ويسمى Sigurd Jeruaslemfarer أو The Crusader أي الصليبي واسمه بالنرويجية هو Sigurdtorsalfaren وهو ابن الملك النرويجي ماجنوس الثالث Magnus III (ت١١٠٣م /٤٩٨هـ) وقد ولد في عام ١٠٩٠م/٤٨٥هـ وقد حكم النرويج خلال المرحلة من ١١٠٣-١١٣٠م/٤٩٨-٥٢٥هـ (١١) .

وقد خلف ماجنوس الثالث على عرش النرويج ثلاثة أبناء هم ، سيجورد Sigurd وايستين Eystein (١١٠٣-١١٢٢م/٤٩٨-٥١٧هـ) وأولاف Olaf(١٢) (ت١١١٥م/٥١٠هـ) ، وتولى ايستين حكم القسم الشمالي من البلاد بينما تولى سيجورد القسم الجنوبي وكان أولاف عندئذ طفلا صغيرا يبلغ من العمر خمس سنوات ؛ ولذلك حكم أخوه نيابة عنه .

وقد ظل الأخوان النرويج حكما مشتركا خلال المرحلة من عام ١١٠٣م/٤٩٨هـ إلى عام ١١٢٢م/٥١٧هـ ، وتعد تلك المرحلة أطول مرحلة في تاريخ النرويج يتم خلالها الحكم بصفة مشتركة ، وفي العام الأخير توفي ايستين فحكم سيجورد البلاد بصورة منفردة حتى عام ١١٣٠م/٥٢٥هـ (١٣) .

والجدير الذكر . انه خلال المرحلة المبكرة من حكم الأخوين المشترك اندلعت الحروب الفرنجية الصليبية من الغرب الأوربي على أثر خطاب البابا أوربان الثاني Urban II (١٠٨٨-١٠٩٩م/٤٨٤-٤٩٣هـ) في مجمع كليرمونت Clermont بجنوب فرنسا في ٢٧ نوفمبر عام ١٠٩٥م (١٤) وقد تمكن الفرنجة الصليبيون بعد أدوار تاريخية متعددة في صورة الحملة الشعبية التي أخفقت ، وحملة الأمراء الناجحة من تحقيق أهدافهم في صورة الحملات تكوين إمارات لهم في الجزيرة وبلاد الشام وفي صورة الرها Edessa، وأنطاكية Antioch ، وبيت المقدس Jerusalem وطرابلس Tripolis، وذلك على حساب القوى السياسية الإسلامية في المنطقة التي كانت تعاني من التشردم السياسي والتصارع المذهبي أعقاب تفكك دولة السلاجقة

وقد تجهز الملكان النرويجيان من أجل القيام بما عرف " بالحملة الصليبية النرويجية " ، وقد تمت الإستعدادات في عام ١١٠٧م/٥٠١هـ ، ووقع الاختيار على سيجورد من أجل قيادتها ، وذلك امتثالا لرغبة قوية من جانب النرويجيين في أن يشاركوا في المشروع الصليبي (١٥) ، شأن غيرهم من قوى الغرب الأوروبي حينذاك

ومن الأهمية بمكان عند دراسة موضوع الحملة الصليبية النرويجية البحث عن تلك الدوافع المختلفة التي دفعت عناصر النرويجيين وعلى رأسهم ملكهم للمشاركة في موجة الحروب الفرنجية الصليبية التي عمت كافة أنحاء الغرب الأوربي.

فالملاحظ أن وليم الصوري – Willam of Tyre وهو المؤرخ ا لرسمي لمملكة بيت المقدس الصليبية خلال القرن الثاني عشر م/السادس هـ – يحاول إظهار

خروج النرويجيين وعلى رأسهم سيجورد على أنه ذو طابع ديني صرف ، فقد ذكر أنهم سمعوا أن المؤمنين (يعني الصليبيين) استولوا على بيت المقدس فرغبوا في الذهاب إلى هناك من أجل العبادة (١٦).

ومن جهة أخرى ؛ نجد أن أحد الباحثين يقرر أن أسطول النرويجيين قدم إلى المنطقة وقد " أتى للحرب من أجل الحرب فحسب ، ولم تكن لديه أطماع سياسية أو اقتصادية " . ويقرر صاحب ذلك الرأي أن ذلك الأمر قد ورد على نحو صريح عند كل من فوشيه الشارتري Fulcher de Chartresووليم الصوري (١٧) .

والواقع أن هناك أهدافا أخرى خرج النرويجيون من أجلها ، ولم يكن الجانب الديني هو الجانب الوحيد المحرك لهم كما حرصت الحوليات الصليبية التي أرخت لتلك المرحلة على تصوير ذلك .

أما القول بأنهم خرجوا للحرب من أجل الحرب فتصور مغلوط تماما ؛ إذ أن الحرب ذاتها أداة تعبير عن الموقف السياسي ولا تكون البتة هي الدوافع وفي الوقت نفسه هي النتيجة ، ويكون خوضها من أجل تحقيق أهداف يسعى إليها من يخوض غمارها ، ومن غير المتصور أن النرويجيين قطعوا كل تلك المسافة الطويلة ، وأعدوا أسطولهم لكي يحاربوا لا لشيء آخر إلا لمجرد الحرب لأن ذلك يستطيعونه في بلادهم.

ومن جهة أخرى ؛ ينبغي ألا نأخذ كل ما يرد في المصادر التاريخية الفرنجية الصليبية على أنه حقيقة مؤكدة ؛ إذ أن تلك المصادر ، وخلال تلك المرحلة التاريخية على نحو الخصوص ، حرصت على إبراز الجانب الديني وحده ، دون إظهار الدوافع الحقيقية الأخرى من وراء المشروع الصليبي ، الذي هو في حقيقة الأمر حركة استعمارية (أي استخرابية) للمنطقة في العصور الوسطى وبالتحديد خلال القرنين الثاني عشر والثالث عشر م/ السادس والسابع هـ .

وواقع الأمر أن هناك دوافع سياسية دفعت بالملك النرويجي سيجورد للمشاركة في الحركة الفرنجية الصليبية ؛ إذ أنه رأى أن أفضل وسيلة لتدعيم نفوذه

الداخلي كملك للنرويج بالاشتراك مع أخيه ، أن يشارك في المشروع الصليبي ، خاصة أن ذلك من شأنه إظهاره بمظهر البطولة في عيون أبناء شعبه على نحو كشفت عنه المصادر النرويجية ذاتها ؛ كما يتضح من هذا البحث – مما يعكس الارتباط الوثيق بين السياسيتين الداخلية ، والخارجية لملك الغرب الأوربي في ذلك العصر ، وربما شجعه على ذلك أن النرويج كان يحكمها عند خروجه للمشاركة الحربية أخوه ايستين ، وبالتالي فقد إطمأن إلى بقاء المنصب الملكي في أسرته دونما منافسة من زعماء القبائل النرويجية .

ومن زاوية أخرى ؛ هناك رغبة النرويج ذاتها في ألا تتخلى عن ركب دول الغرب الأوربي التي شاركت بملوكها وشعوبها في المشروع الصليبي ، ومن ثم بحثت النرويج عن دور لها في ساحة الأحداث فكانت الحملة الصليبية النرويجية ، الأمر الذي يكشف لنا بجلاء عن خاصية هامة من خصائص الحركة الفرنجية الصليبية ، ونعني بها أنها مثلت مجالا تنافسيا للملوك الأوربيين ، وشعوبهم ، ومن المرجح أن ذلك الجانب لم يكن غائبا عن أذهان النرويجيين عندما قرروا القيام بحملتهم باعتبارهم جزءا لا يتجزأ من القارة الأوربية .

زد على ذلك ؛ سعي النرويجيين إلى تدعيم صلاتهم بمملكة بيت المقدس الصليبية التي صارت محط مقدم الحجاج الذين قدموا إلى هناك من أجل زيارة الأماكن المقدسة لدى المسيحيين ، حيث أن المشاركة في تدعيم أملاك تلك المملكة الصليبية ، وتوسيع رقعتها في مواجهة أعدائها من المسلمين خلال تلك المرحلة المبكرة من تاريخها ؛ من شأنه إظهار النرويجيين في مكانة بارزة لدى ملوك تلك المملكة ، على اعتبار أنهم شاركوا في تدعيمها وحمايتها خلال ذلك الحين ، الأمر الذي كان من شأنه أن يضمن للحجاج النرويجيين القادمين إلى هناك مكانة متميزة على نحو خاص لدى الدوائر الصليبية الحاكمة .

وبالإضافة إلى كافة الجوانب السابقة ؛ يقدم لنا الدافع الاقتصادي نفسه كأحد الدوافع الهامة للسياسة الخارجية النرويجية عي عهد سيجورد ، وأخيه حيال الوجود

الصليبي في بلاد الشام ، فالمتصور أن ذلك الملك النرويجي لم يغادر بلاده الواقعة في أقصى شمال غرب أوربا ؛ من أجل القيام فقط برحلة الحج Pelgrinatio كما تحاول إظهاره الحوليات الصليبية ، بل أنه أراد تحقيق أكبر قدر من الغنائم والأسلاب ، وهو أمر كشفت عنه بجلاء نصوص المصادر التاريخية في تناولها لرحلته الطويلة حتى وصوله إلى بلاد الشام ، بالإضافة إلى أنه عندما غادر الأخيرة ، حمل بالهدايا والمغانم حتى تؤتي رحلته الطويلة الشاقة كافة ثمارها المرجوة منها .

وبالإضافة إلى الدوافع السابقة هناك ما يمكن وصفه بالتنافس بين النرويج والدنمارك ، و **يلاحظ في هذا المجال** أن الملك الدنماركي ايريك ايجود Eirik Eiegod **و زوجته الملكة بوديل** Bodil قاما برحلة حج إلى الأرض المقدسة في فلسطين عام ١١٠٢م/٤٩٣هـ ، ولم يحقق الملك المذكور ما ابتغاه من الذهاب إلى هناك ، ومات مصابا بالحمى في قبرص وماتت أيضا بوديل عند جبل الزيتون Mount of Olivesفي بيت المقدس ودفنت في وادي يوسفات Valley of josaphat، وهناك من الباحثين من يرى أن شهرة تلك الرحلات الملكية الخاصة بالحج ، ربما أدت إلى إستثارة وتحميس ملوك النرويج من أجل القيام بحملة صليبية إقتفاء لأثر ملوك الدنمارك (١٨) .وهكذا من الممكن أن نتصور عدة دوافع مجتمعة كان لها دورها في خروج ذلك الملك النرويجي ليشارك بدوره في ذلك المشروع الحربي ونعني به الحركة الصليبية .

ومن زاوية أخرى ؛ من الملاحظ أن النرويج كان لها دورها في المشاركة في النشاط الصليبي حتى من قبل سيجورد ، من ذلك أن سكوفت النرويجي The Norwegien Skofte – الذي حكم قبل ماجنوس باريفوت Magnus Barefoot– قام في عام ١١٠٢م/٤٩٦هت بتنظيم حملة صليبية إلى الأرض المقدسة وصاحبه فيها أبناؤه فين Fin، واجمون Agmund وثور Thorوقد أبحروا جنوبا إلى الفلاندرز حيث أمضوا الشتاء هناك ، وفي الصيف التالي أي في عام ١١٠٣م/٤٩٤هـ أبحروا إلى إيطاليا إلا أن سكوفت مات في روما ، ومات أبناؤه كذلك في صقلية (١٩) .

ومهما يكن من أمر ، فقد شاركت النرويج بحملة أخرى في الأعوام الأولى من القرن الثاني عشر م / السادس هـ .

وقد امتازت عن حملة ١١٠٢-١١٠٣م/٤٩٣-٤٩٤هـ . بأنها وصلت إلى الأراضي المقدسة في فلسطين وحققت نجاحا . على عكس الأولى التي لم تصل أصلا إلى هناك .أما عن توقيت مغادرة سيجورد النرويج ، فقد تصور أحد الباحثين أن ذلك حدث عام ١١٠٥م/٤٩٩هـ (٢٠) . بيد أن هذا الرأي لا يجد دعما من الواقع التاريخي ، إذ أن المصادر التاريخية النرويجية في صورة الساجا Saga تظهر ذلك الحدث على أنه وقع عام ١١٠٧م/٥٠١هـ (٢١) لا عام ١١٠٥م/٤٩٦هـ ، كما أن هناك من الباحثين مثل ببكوك وكراي من يقرر بعد انتهاء دور سيجورد في بلاد الشام ، أنه عاد إلى بلاده عام ١١١١م/٥٠٥هـ ، بعد أن أمضى خارجها أربع سنوات ، نظرا لأن مغادرة الملك وقواته النرويج قد تم في عام ١١٠٧/٥٠١هـ (٢٢) .

وجدير بالذكر ، أن الملك سيجورد قد غادر النرويج وفي صحبته أسطول بحري مناسب (٢٣) ، ومن الجوانب الهامة ، معرفة حجم القوة البحرية المصاحبة به ، مثل ذلك الأمر من شأنه توضيح حجم المساعدة النرويجية ، ووجدنا ذلك الاختلاف لدى المؤرخين المعاصرين لمرحلة الحروب الصليبية من أوربيين أو مسلمين وكذلك المؤرخين المحدثين تبعا لذلك .

وفي هذا المجال نجد أن فوشيه الشارتري قد ذكر أن عدد قطع الأسطول النرويجي المصاحب للملك سيجورد قد بلغ خمسا وخمسين سفينة (٢٤) ، بينما قرر البرت ديكس أنه بلغ ستين سفينة (٢٥) .

أما المصادر النرويجية ، فإنها تذكر عدد قطع الأسطول على أنه سبعين سفينة ، وذلك ضمن حديثها عن مغادرة ذلك الأسطول النرويج (٢٦) ، ثم من بعد ذلك عندما تعرضت لعدد السفن عند بدء حصار صيدا ذكرت أن العدد بلغ ستين سفينة (٢٧) .

أما المصادر العربية ؛ فنجد أن ابن القلانسي (ت٥٥٥هـ/١١٦٠م) المعاصر لتلك الأحداث قد ذكر إن قطع الأسطول النرويجي بلغت سبعا وستين سفينه (٢٨) ، بينما قلل ابن الأثير (ت٦٣٠ هـ/١٢٣٢م) العدد وأشار إليه على أنه ستين سفينة فقط . (٢٩)

والواقع أن المصادر التاريخية النرويجية في صورة الساجا لها أهمية خاصة في هذا الشأن ، إذ أنها تتميز عن المصادر الأخرى بأنها تلقي الضوء على الدور النرويجي منذ بدايته حتى عودة سيجورد ورجاله إلى بلادهم ، بينما تقتصر المصادر التاريخية الصليبية ، وكذلك العربية على الإشارة إلى الحملة الصليبية النرويجية عندما يصل الملك النرويجي ورجاله وقطعهم الحربية إلى بلاد الشام .

ويلاحظ أن المصادر النرويجية قدمت لنا رقمين في شأن عدد قطع الأسطول النرويجي ، والاختلاف بين الرقمين منطقي تماما ، إذ أنه من المستبعد أن تظل قطع الأسطول النرويجي ، محتفظة بعددها الأصلي منذ خروجها من النرويج ، وحتى وصولها إلى محطتها الرئيسة في الساحل الشامي ، خاصة أن تلك الرحلة البحرية كانت طويلة وشاقة من أقصى شمال غرب أوربا حتى الساحل الشرقي للبحر المتوسط مرورا بالمحيط الأطلنطي ، ثم البحر المتوسط ،مع ملاحظة العواصف والأنواء المعتادة في كل من المسطحين المائيين الكبيرين المذكورين .

وعلى هذا الاعتبار ؛ تكون قطع الأسطول النرويجي كبيرة عندما غادر الملك المذكور بلاده ، وأن يقل العدد عند الوصول إلى الهدف الأخير ، ولا نغفل أن الرقم الذي أوردته الساجا بشان عدد القطع عندما وصل النرويجيون لبلاد الشام اتفق ما أورده البرت ديكس ، و ابن الأثير .

مهما يكن من أمر ، فان ذلك العدد الكبير من السفن كان يحمل على ظهره عددا ضخما من المقاتلين قَدَّره بعض الباحثين بأنه بلغ عشرة آلاف مقاتل (٣٠) .

ومن المحتمل أن يكون هناك مبالغة في حجم ذلك العدد الضخم من المقاتلين كشأن الإشارات الرقمية التي تصل إلينا من عالم العصور الوسطى – خاصة إذا ما

وزعنا مثل ذلك العدد على عدد السفن ذاتها، بيد أن ذلك يفيدنا في تصور اتساع نطاق حجم المساعدة النرويجية ومن المتصور أن ذلك العدد – على ما فيه من مبالغة متوقعة حمل معه الثقل السياسي والحربي للنرويج ودعمها للمشروع الصليبي خلال تلك المرحلة المبكرة من تاريخه .

وهناك نقطة هامة من الضروري تناولها عند دراسة تلك الحملة النرويجية وتتمثل في الطريق البحري Via Marina سلكه الملك النرويجي سيجورد إلى أن وصل إلى بلاد الشام .

والواقع أن تلك المرحلة لها جانبها من الأهمية إذ أنها استغرقت نحو ثلاث سنوات ، فقد خرج ذلك الملك من بلاده عام ١١٠٧م/٥٠١هـ ، ولم يصل إلى بلاد الشام إلا في عام ١١١٠م/٥٠٤هـ ، وليس في الإمكان فصل تلك المرحلة عن دور ذلك الملك في مشروعه الصليبي ، وذلك يعكس أن مرحلة ما قبل الوصول إلى مملكة بيت المقدس الصليبية قد شغلت القسم الأكبر من المرحلة الزمنية التي أمضاها ذلك الملك خارج حدود بلاده مما يدعونا إلى دراستها .

ومن الملاحظ في رحلته من النرويج إلى بلاد الشام وهي التي وصفها بعض الباحثين بأنه كان يجوب خلالها البحار على الطريقة النرويجية (٣١) ؛ إنها تميزت بالتوقف في عدة مناطق ، ومن الواضح أن هناك عدة دوافع دفعته إلى ذلك أولها طول المسافة من بلاده إلى هناك على نحو يحتم عليه التوقف عدة مرات للحصول على قسط وافر من الراحة من عناء السفر ، وثانيها رغبته في التزود بالمؤن والإمدادات اللازمة لإطعام العدد الكبير من المقاتلين الذين قدموا معه ، إذ أنه لم يكن يستطيع الاحتفاظ بتموين غذائي دائم طوال تلك الرحلة الطويلة لذلك العدد الكبير من المقاتلين ، وثالثها رغبته في تحقيق أكبر قدر من الدعاية السياسية الناجحة في أوساط الغرب الأوربي وتصوير النرويجيين على أنهم ذاهبون من أجل مساعدة الصليبيين في بلاد الشام ضد أعدائهم المسلمين .

ووفقا لما تقرره الساجا فان الملك سيجورد وأسطوله قد أبحر في خريف عام ١١٠٧م/٥٠١هـ عبر القنال الإنجليزي ووصل إلى إنجلترا في وقت كان يحكمها فيه الملك هنري الأول Henry I(١١٠٠-١٠٣٥م/٤٩٤-٥٢٩هـ) ، وقد أمضى عنده كل الشتاء هناك . وقدم هدايا قيمة لعدد من الكنائس الإنجليزية (٣٢) .

والواقع أن إنجلترا عدت أولى المحطات التي توقف عندها الملك النرويجي وأسطوله في طريقه صوب بلاد الشام ، وهناك زاوية مهمة من الممكن التعرض لها وهي أننا من الآن فصاعدا سوف نلاحظ أن الحملة الصليبية النرويجية بقيادة سيجورد ستحرص على تمضية الشتاء في حالة استرخاء في إحدى المحطات التي تتوقف عندها لتواصل من بعد ذلك المسير في فصل الربيع ، ويلاحظ أن ذلك تقليد إتبعه الفايكنج في تحركاتهم البحرية بصفة عامة ، وكان ذلك من عوامل طول مدة رحلتهم البحرية إلى أن وصلوا إلى هدفهم الأخير في بلاد الشام .

ومن بعد ذلك أبحر الملك سيجورد في ربيع عام ١١٠٨م/٥٠٢هـ بأسطوله باتجاه الغرب إلى منطقة فالاند VLLANDالواقعة إلى الغرب من فرنسا ، وفي الخريف وصل إلى منطقة جيليقية GULICIA؛ في شمال غرب الأندلس ، حيث أمضى هناك، ويلاحظ أن حاكم المنطقة الذي لا تذكر المصادر اسمه اتفق معه على أن يقوم بتزويده هو ورجاله بالتموين اللازم من أجل أن يتمكن من تمضية كل موسم الشتاء ، بيد أنه لم يتمكن من تنفيذ ذلك الأمر ابعد من فترة عيد الميلاد (٣٤) . ويقدر البعض أن سيجورد اختلق من الموقف أربعة لمهاجمة أملاك الحاكم فهاجم قصره ، وهو الذي كان حاكما على منطقة جيليقية المسيحية التابعة لمملكة ليون ، وقشتالة ، وقم نهب القصر والمنطقة المحيطة به (٣٥) ، ومن جراء ذلك امتلك الغنائم والأسلاب الوفيرة ، ومن بعد ذلك صار مستعدا للإبحار في الإتجاه الغربي من الأندلس (٣٦) وقد تمكن سيجورد في المرحلة السابقة من تزويد قواته بالموؤن والإمدادات . ولذلك وجدناه قد وصل إلى مدينة سنيتر Sintre(٣٧) ، وهي نفسها Cintraالآن التي تعد

جزءا من البرتغال ، ويلاحظ أنها وقعت بالغرب من البحر وجبال سيرادى فيـــاجيم ، وعرف عنها خصوبتها الزراعية على نحو ضمن لها شهرة كبيرة من منتجاتها (٣٨)

وقد خاض سيجورد ورجاله غمار معركة حربية هناك ، ووفق مـــا ترويـــه الساجا فإنه ومن معه من المقاتلين تمكنوا من إخضاع قلعة حصينة هناك ، وقتلوا كـــل الرجال الذين فيها نظرا لرفضهم التنصير ، وحصلوا على العديد مـــن الغنـــائم (٣٩) مثلما حدث من قبل .

وتكشف تلك الواقعة عن الطابع التنصيري في سياسة ذلك الملك الـــنرويجي ، إذ رغب شأنه في ذلك شأن غيره من ملوك الغرب الأوربي – في توسيع رقعة عـــالم المسيحية Christendom بزيادة عدد معتنقيها حتى بالوســـائل القســـرية ، وليـــس بخاف عنا أن الجانب التنصيري كان من أهم اهداف الحركة الفرنجية الصليبية علـــى مدى القرنين ١٢،١٣م/٦،٧هـــ .

ومن بعد ذلك ؛ أبحر الملك النرويجي مع أسطوله إلـــى لشـــبونه " اشـــبونه " Lishbon حيث خاض غمار معركة هناك ، كذلك وصل إلى مدينة تسميها الســـاجا الكاسى AL Kassi (٤١) وهي بالتأكيد قصر أبي داسل Alcacer doSalوكـــانت مدينة قديمة واقعة على نهر شطوبر Sado وعرفت لدى المسلمين باسم قصـــر بنـــي ودانس ثم أبي دانس القصر (٤٢) ، وقد حارب سيجورد المسلمين وغنم مغانم وفـــيرة (٤٣) .

والجدير بالذكر هنا ؛ أن كافة تلك القواعد لم تكن قد خضعـــت بعـــد لحكـــم المرابطين ؛ إذ أنه على الرغم من قضاء المرابطين على بني الأفطس حكـــام غـــرب الأندلس في عهد ملوك الطوائف وإســـقاطهم لبطليمـــوس ؛ عاصمـــة ملكـــهم عـــام ١٠٩٤م/٤٨٨هـــ إلا أن المراكز الثلاثة السابق الإشارة إليها ، ســـنترا ، ولشـــبونة ، والقصر لم يتمكنوا من الاستيلاء عليها حتى عام ١١١١م/٥٠٤هـــ (٤٤) .

والأمر المؤكد أن عزلة قواعد غرب الأندلس قبل فتح المرابطين كـــان لـــها دورها الكبير في إقدام الملك النرويجي على أن يعيث فيها فسادا ، وســـلبا ، ونـــهبا ، وقتلا (٤٥)

والحدث الهام التالي ؛ يتمثل في دخول الـــنرويجيين البحـــر المتوســـط بعـــد عبورهم المضايق الواقعة بين كالبى Calpeوجبل أطلس Mt. Atlasوذلك وفق مـــا يقرره وليم الصوري (٤٦) ؛ والمقصود بالموقع الأول بالطبع جبل طـــارق ، الأمـــر الذي يعكس أن الصليبيين وصلت إلى مسامعهم أخبار الطريق الـــذي ســـلكته الحملـــة النرويجية .

وقد أقدم الملك سيجورد على مهاجمة جزيرة فورمنتو Formento؛ إحـــدى جزر البليار الصغيرة ، وقد تمكن بعد عمليات حربية متعددة من الاســـتيلاء عليـــها ، وأحدث في أهلها مذبحة مروعة (٤٧) ، كذلك إتجه إلى جزيرة مينورقـــة Minorca حيث وجه بمقاومة عنيفة من جانب المسلمين هناك (٤٨) .

والجدير بالذكر ، أن جزر البليار لم تكن قد خضعت في ذلـــك الحيـــن هـــي الأخرى للسيادة المرابطية ؛ اذ أن ذلك حدث عام ١١١٦م/٥٠٩هـــ ، وذلك بعـــد مـــا يزيد على عام لغزوها من قبل قوات الحلف الثلاثي المكون من بيزا Poisa، وجنـــوة Genoaوإمارة برشلونة Barcelona (٤٩) .

ومن المفيد أن نلاحظ أن ذلك الملك النرويجي عمل على محاربة المســـلمين في الأندلس سواء في غرب الأندلس أو في الجزائر الشرقية ، كما حاربهم فيما بعد في بلاد الشام عندما وصل إلى مملكة بيت المقدس الصليبية على نحو عكـــس الارتبـــاط الوثيق بين الحركة الصليبية في غرب البحر المتوسط وشرقه .

ومن الملاحظ أنه في أعقاب ذلك وصل النرويجيون إلـــى جزيـــرة صقليـــة Sicilyجنوب إيطاليا التي غدت المنطقة التي استقر عندها الأسطول النرويجي حيـــث أمضى هناك وقتا طويلا ، وكان النورمان قد أخضعوها لسيادتهم وانتزعوها من أيـــدي المسلمين عام ١٠٩٠م/٤٨٤هـــ (٥٠) وقد تم استقبال الملك النرويجي ســـيجورد مـــن

جانب روجار الأول (١٠٨٥-١١١١م/٤٧٩-٥٠٥هـ) حاكم صقلية بحفاوة ، ووفق ما تقرره الساجا النرويجية فقد دعا ملك صقلية لأحد الأعياد هناك ، وإن لم تحدده المصادر .

وتعد جزيرة صقلية ذات دلالة خاصة في رحلة سيجورد البحرية إلى بلاد الشام ، فقد كانت خاضعة للسيادة النورمانية ، وبالتالي لم تكن تعني جبهة للحرب يخوضها ذلك الملك النرويجي على خلاف ما وجدناه في سياسته تجاه بعض المناطق في شبه الجزيرة الأيبيرية .

وهناك من يقرر أنه اصطنع لنفسه في تلك الجزيرة لقب الصليبي (٥١) The Crusader أو بالنرويجية Jorsalfary ، ولا ريب في أن مثل ذلك اللقب كان نوعا من الدعاية السياسية حتى إذا ما وصل إلى فلسطين وجد آثاره جلية على مستوى الدعاية له في صفوف الصليبيين في مملكة بيت المقدس الصليبية ، ومن جهة أخرى عمل على التآخي بين النرويجيين ، والنورمان في صقلية (٥٢) .

وتعد صقلية بمثابة المنطقة السابقة مباشرة على الهدف النهائي لرحلة سيجورد ورجاله البحرية (٥٣) ونعني به المملكة الصليبية ، وقد كشفت المسافة الطويلة التي قطعها على مدى ثلاث سنوات – كشفت بجلاء عن إصرارهم على المشاركة في المشروع الصليبي من خلال الدوافع التي أوضحناها سلفا .

مهما يكن من أمر ، فان الملك النرويجي سيجورد وقواته ؛ وصلوا أخيرا إلى فلسطين ، وهناك من يقرر أن ميناء الوصول كان ميناء عكا Acre(٥٤) ، بيد أن ذلك لا يجد دعما من جانب المصادر التاريخية ، إذ أننا نعلم أنه وصل إلى ميناء يافا Joppa – الذي عد ميناء بيت المقدس – وذلك في صيف عام ١١١٠م/٥٠٤هـ (٥٥) ، وكان لذلك الحدث أهميته الكبيرة بالنسبة للصليبيين ، وقد عكس تلك الأهمية الإشارت التي نجدها في المصادر التاريخية الصليبية التي أبرزت مقدم ذلك الملك ورجاله (٥٧) ، بعد أن تمكن الصليبيون من زرع كيانهم الدخيل في المنطقة على حساب المسلمين .

وعلى أية حال ، فقد أحسن الملك الصليبي بلدوين الأول Baldwin I ؛ وهو ملك المملكة الصليبية حينذاك ؛ وقد أجمعت المصادر التاريخية الصليبية ، وكذلك الساجا على حفاوة إستقبال الملك الصليبي لضيفه ، تقرر المصادر النرويجية أن الملك بلدوين أقام إحتفالا كبيرا للملك سيجورد والعديد من رجاله ، كذلك صحبه في رحلة خاصة وقطع معه كل الطريق البري المؤدي إلى نهر الأردن (٥٨) ، ومن المتصور أن تلك الرحلة كانت من أجل تعميد الملك سيجورد في مياه ذلك النهر ، ومن المعروف أن القديس يوحنا المعمدان St. John The Paptist الذي عاصر السيد المسيح عليه السلام اتجه إلى تعميده في مياه النهر المذكور ، (٥٩) ، ومن ذلك الحين صار لنهر الأردن قداسة خاصة لدى قلوب المسيحيين ، وصار موضع اهتمام الحجاج الأوربيين الذين قدموا إلى فلسطين من اجل الحج إلى المحارم المسيحية المقدسة ، حيث عد من المراكز الأساسية التي يتجهون إليها بالزيارة في المنطقة .

ومن بعد القيام بتلك الرحلة التي أراد منها الملك الصليبي فيما أراد إثارة العاطفة الدينية في نفس ضيفه النرويجي في تلك الفترة المبكرة من مقدمة إلى المملكة الصليبية ؛ عاد الملكان المذكوران أدراجهما إلى بيت المقدس . ومن ناحية أخرى ، قدم بلدوين الأول لسيجورد عددا من المتعلقات المقدسة ، وبأوامر من الأول وكذلك البطريرك وهو في ذلك الحين جبلين أوف سايران Gibelin of Sabran(١١٠٩-١١١٢م/٥٠٣-٥٠٦هـ) ثم أخذ شريحة من الصليب المقدس – كما يعتقد المسيحيون – وتم تقديمها للملك النرويجي وفي هذه المناسبة أقسم الأخير ومعه اثني عشر رجلا من رجاله – وهو نفس عدد المواربين – على إعلاء شأن المسيحية بكل ما أوتوا من قوة وان يقيموا قصرا أسقفيا في النرويج إذا ما استطاعوا إلى ذلك سبيلا (٦٠) .

ومن المنطق يقول أن الحفاوة البالغة التي قوبل بها الملك النرويجي من جانب الملك الصليبي مرجعها رغبة الأخير في كسب عطف النرويجيين بأي ثمن والحصول على أقصى حد ممكن من قدراتهم الحربية خدمة لمشاريعه العسكرية المرتقبة .

أضف إلى ذلك ، أن الاستقبال الحافل الذي قوبل به الملك سيجورد جاء كمقابل لمدة طويلة استغرقها في رحلته هو ومقاتليه إلى فلسطين ، وهو يعكس – فيما يعكس – نجاح أسلوب الدعاية السياسية ، الذي اتبعه ذلك الملك النرويجي حتى وصوله إلى هدفه الأخير ، ومن جهة أخرى ، أرادت المملكة الفرنجية الصليبية أن تظهر بمظهر رفيع المستوى في تعاملها مع أول ملك أوربي يطأ بقدميه أرضها من بعد قيامها لأن ذلك له انعكاساته الطيبة على مكانتها ، ومركزها الدولي في أوربا .

وتبقى زاوية من الممكن التعرض لها ، إذ أنه من الملفت للإنتباه ، أن المصادر التاريخية لا تقدم لنا أية إشارات بشأن كبار القيادات النرويجية التي صاحبت الملك سيجورد ، وكان تركيزها بصفة عامة على شخصية الأخير ، ولذلك لم يصل إلينا شيء عن أسمائهم أو أدوارهم التاريخية خلال تلك المرحلة ، ومن المحتمل أن عددا منهم كان من بين الاثنى عشر شخصا الذين أقسموا على إعلاء شأن المسيحية ضمن مراسم الاستقبال التي حصلت على شرف الملك النرويجي .

والواقع أننا لا نستطيع أن ندرك حقيقة دور الملك النرويجي سيجورد في الحركة الصليبية خلال ذلك الحين ، إلا من خلال ملاحظة الارتباط الوثيق بين الوجود الصليبي في بلاد الشام والغرب الأوربي ؛ فالحركة الصليبية في حقيقتها إفراز أوربي بكل ما تعنيه الكلمة على المستويات السياسية ، والحربية ، والاقتصادية ، والدينية

وقد ظل الارتباط وثيقا بين الصليبيين في بلاد الشام والغرب الأوربي على مدى القرنين الثاني عشر والثالث عشر م/السادس والسابع هـ ، وطوال مدة إستمرار ذلك الوجود الفرنجي الصليبي هناك ظل الدعم الأوربي بصفة عامة مستمرا ، ولم يستطع الصليبيون الاعتماد بصورة كلية على إمكانياتهم المحلية لمواجهه المسلمين ، وإنما عاش ذلك الكيان الصليبي كجنين لم يكتمل له النمو يعتمد على وطنه الأم أوربا ؛ خاصة خلال مرحلة تأسيس الوجود الصليبي في المنطقة ، وكذلك عندما كانت تشتد ضربات حركة الجهاد الإسلامي في مواجهته .

وتمثل الحملة الصليبية النرويجية إحدى حلقات الدعم العسكري الأوربي للوجود الصليبي في بلاد الشام خلال مرحلة تأسيس أركانه في المنطقة .

وتجدر الإشارة ؛ إلى أن الوسيلة المثلى لإدراك حجم المساعدة النرويجية وفعالياتها بالنسبة لمملكة بيت المقدس الصليبية ، التعرض لأوضاعها السياسية والحربية العامة وأهم الصعاب التي واجهتها .

وقد حكم المملكة الصليبية حينذاك الملك بلدوين الأول ، والذي يعد وبحق المؤسس الحقيقي للمملكة ، وقد واجه قضيتين أساسيتين خلال سنوات حكمه ، ألا وهما ؛ قضية نقص العنصر البشري ، وكذلك قضية تأمين حدود المملكة الصليبية من جهة الغرب من خلال إخضاع المدن الشامية الساحلية المسلمة.

والجدير بالذكر ، أن الوجود الصليبي في بلاد الشام في عهد ذلك الملك – على نحو خاص – عانى من مشكلة حادة لازمته كذلك فيما بعد ، وهي نقص العنصر البشري (٦١) ، إذ كان الغزاة الصليبيون يمثلون أقلية سكانية إذا ما قورنوا بالمحيط الإسلامي العام الذي تمتع بكثافة سكانية ، ولا نغفل أن البنية السكانية الصليبية كانت معرضة باستمرار للنقصان من خلال استمرار الصراع الحربي مع المسلمين ، ويلاحظ أن الكثيرين من الذين إشتركوا في الحملة الصليبية الأولى سرعان ما عادوا أدراجهم إلى الغرب الأوربي بعد إخضاع الأماكن المقدسة المرتبطة بذكريات المسيحية المبكرة للسيادة الصليبية (٦٢) . وينبغي ألا يغيب عن ذهننا أن الصليبيين لم يؤسسوا إماراتهم إلا بعد أن ضحوا بأعداد كبيرة من رجالهم من خلال أحداث الصدام الحربي مع القوى الإسلامية في بلاد الشام والجزيرة ، وهناك من يقرر أنهم أصيبوا بنقص خطير لا سيما فيما يتصل بأعداد عناصر الفرسان (٦٣).

ومما زاد من استفحال المشكلة ، أن أملاك الصليبيين كانت متسعة إذ سيطر الغزاة على مناطق متعددة كانت من قبل خاضعة للمسلمين ولم يكن عدد المدافعين يتناسب البته مع اتساع رقعة المملكة الصليبية (٦٤) .

وقد يقول قائل إن الأساطيل التي قدمت من المدن الإيطالية ، وبروفانس كانت تجلب بصفة مستمرة حجاجا من الغرب الأوربي ، غير أنـها كثـيرا مـا تعرضـت لهجمات البحرية الإسلامية في الشمال الإفريقي ، وإذا قدر لهم أن يصلوا إلـى ميناء يافا حيث اتجهوا منه إلى بيت المقدس ، كانوا يواجـهون بإغـارات المسـلمين (٦٥) خلال طريق يافا – القدس الصخري الوعر ، وقد أشارت مؤلفات الحجاج الأوربيين ؛ الذين قدموا إلى المملكة الصليبية في أوائل عهد الصليبيين بالمنطقة خلال حكم بلدوين الأول نفسه إلى ذلك ، ونجد مثالا وضاحا في صورة سايولف الذي زار بيت المقـدس والأراضي المقدسة خلال الفترة الممتدة من ١١٠٢–١١٠٣م ودانيال Danielالروسي الذي قام برحلته خلال المرحلة من ١١٠٦–١١٠٧م/٥٠٠–٥٠١هـ ؛ فقد أشار إلـى فتك المسلمين بعناصر الحجاج الأوربيين في ذلك الطريق وذكر أنـه مخيـف للغايـة (٦٦) . بالإضافة إلى أن تلك العناصر الوافدة لم تكن في بعض الأحيان تمثـل دعمـا بشريا مستمرا يفيد في عمليات القتال الحربي ضد المسـلمين نظـرا لارتبـاط تلـك العناصر بهدف محدد في صورة القيام بالحج المسيحي ثم العودة مـرة أخـرى إلـى بلادهم .

ومن خلال تلك الظروف السابقة ، إتجه الملك بلدويـن الأول إلـى أسـلوب الحرب الخاطفة وأن يجعل من جيشه وحدة حربية متنقلة تتنقل في سرعة خاطفة مـن الشمال إلى الجنوب ، ومن الشرق إلى الغرب (٦٧) وفق ما تمليـه عليـه ظـروف الصراع الحربي مع المسلمين ومتطلباته .

ولمواجهة ذات القضية ؛ اتجه ذلك الملك الصليبي – في مرحلة لاحقة – إلـى تشييد عدد من القلاع ، والحصون المنيعة من أجل تثبيت أقدام الصليبيين في المنطقـة ولتضييق الخناق على المدن التي أراد إسقاطها وانتزاعها من أيدي المسلمين ، وفـي هذا الصدد شيد حصن الشوبك Montrealعام ١١١٥م/٥٠٩هـ (٦٨) ؛ كي يسيطر عن طريقه على منطقة وادي عربة ، كذلك شيد قلعـة إسـكندرونة Scandalium جنوبي صور عام ١١١٧م/٥١١هـ ليشدد ضغطه العسكري على مدينة صور (٦٩) ،

وأقام قلعة ايله العقبة للتحكم في طريق القوافل بين مصر والشام ، وكذلك بنى قلعة في جزيرة فرعون I Le de Graye الواقعة قبالة ايلة في خليج العقبة (٧٠) ؛ وعلى ذلك نجده قد تحكم في رأس الخليج المذكور (٧١) .

ومن جهة أخرى ، اتجه بلدوين الأول إلى أن يقوم بإيجاد نوع من التوازن البشري من خلال عناصر المسيحيين الشرقيين في العاصمة الصليبية ونعني بها بيت المقدس ، خاصة بعد أن منع الصليبيون المسلمين ، واليهود من دخولها إلا في أضيق نطاق ، ومن خلال تصاريح خاصة ، وفي هذا المجال نجد أنه عمد إلى تعمير المدينة المقدسة بجذب عناصر الأرثوذكس ، والسريان الموجودين في شرقي الأردن وحوران ، وكذلك الموارنة في طرابلس ، والسريان ، والأرمن في أنطاكية ، وأيضا الأرمن والنساطرة في الرها (٧٢) وعمل على جذبهم إلى تلك العاصمة وكانت هناك عدة عوامل جذبتهم منها الإبتعاد عن المناطق الإسلامية ، والجاذبية الخاصة لمدينة بيت المقدس ثم إنه عمل على تقديم امتيازات لتلك العناصر ليشجعها على البقاء هناك (٧٣) ، ووفق ما يقرره وليم الصوري ، فانه بالفعل منح أولئك أجزاء المدينة التي ظهرت في حاجة شديدة لمقدمهم وامتلأت منازلها بهم (٧٤) .

كذلك عمل بلدوين الأول على الحصول على مساعدة القوى الأوربية من أجل سد ثغرة نقص عدد المقاتلين ، وقد شهد عهده تزايد دور الدعم البشري الأوربي للمملكة الصليبية .

أما القضية الثانية التي واجهته فكانت إخضاع المدن الشامية الساحلية على الرغم من نقص الموارد البشرية . وشكل إخضاع الساحل الشامي بالنسبة للصليبيين قضية حياة أو موت (٧٥) ؛ إذ أن إخضاعه كان يعني استمرار تدفق الدعم البشري والمالي ، والمعنوي الأوربي ، كذلك خنق القوى الإسلامية في بلاد الشام إقتصاديا وجعلها قوى برية حبيسة تحتاج إلى الصليبيين لتصرف منتجاتها التجارية على نحو يضمن لهم المكانة العليا من خلال عوائد المكوس أو الضرائب التجارية على نشاط

حركة الصادرات ، والواردات عبر المنافذ التجارية البرية والبحرية الخاضعة للصليبيين .

وبالإضافة إلى ذلك ؛ أدرك الفرنجة الصليبيون أن أمنهم لن يتحقق في المنطقة طالما أن الفاطميين يشنون الاغارات المستمرة عليهم متخذين من مراكزهم على الساحل الشامي نقاط انطلاق ضد المراكز الصليبية المجاورة .

وفي المرحلة السابقة على مقدم سيجورد للمنطقة ؛ تمكن الصليبيون في عهد بلدوين الأول من إخضاع عدد من المراكز الساحلية الهامة فسقطت حيفا Haifa، عام ١١٠٠م/٤٩٤هـ وكذلك أرسوف Arsuf، وقيسارية Caesareaعام ١١٠١م/٤٩٥هـ ، ثم عكا Acre عام ١١٠٤م/٤٩٨هـ ، وبيروت Beiruts عام ١١١٠م/٥٠٤هـ (٧٦) ومعنى ذلك أنه خلال العقد الأول من القرن الثاني عشر م/السادس هـ سقطت عدة مدن ساحلية هامة في قبضة الفرنجة الصليبيين ، وانسلخت عن سيادة الفاطميين السياسية .

وعندما وصل النرويجيون إلى فلسطين في عام ١١١٠م/٥٠٤هـ كانت هناك بعض المراكز الساحلية الهامة لا تزال في قبضة المسلمين في صورة عسقلان Ascalonفي الجنوب ، وصور Tyre، وصيدا Sidon في الشمال ، ويلاحظ أن مقدم النرويجيين جاء في وقت كانت المملكة الفرنجية الصليبية في أشد الحاجة إليها من خلال كافة الظروف السالفة الذكر ، ولا ريب في أن تلك الظروف أعطت لمقدمها أهمية خاصة ؛ إنعكست بدورها في نصوص المصادر التاريخية الصليبية المعاصرة ، والمتأخرة نسبيا التي أبرزت مقدمها .

على أية حال ، طلب الملك بلدوين الأول من الملك سيجورد أن يبقى مدة كافية في فلسطين ولا يسارع بالعودة ، ويقرر فوشيه الشارتري أنه حث النرويجيين على البقاء حبا في الرب وفي الأرض المقدسة ، ولو لوقت قصير من أجل المساعدة في توسيع النفوذ الفرنجي الصليبي ، وعلى حد قوله من أجل "تمجيد اسم الرب "

ويضيف أنه أوضح لهم أنه إذا ما أنجزوا شيئا من أجل المسيح ، فقد صار بإمكانهم العودة لبلادهم ، وهم يلهجون بالتسبيح والحمد لله والثناء عليه (٧٧) .

والواقع أن سيجورد قد حرص على معرفة رأي باقي القادة النرويجيين في ذلك العرض من جانب الملك الصليبي ، وبالفعل فإننا نعرف أنهم تداولوا فيما بينهم (٧٨) وكان ردهم إيجابيا ، وأوضحوا أنهم قدموا إلى المنطقة من أجل تكريس أنفسهم لخدمة المسيح ، وذكروا أنهم كانوا على إستعداد للتوجه بأقصى سرعة إلى أية مدينة ساحلية يرغب الملك الصليبي في إسقاطها (٧٩) .

ومن الممكن تصور أن عرض الملك بلدوين الأول قد صادف هوى في نفوس النرويجيين من أجل المشاركة في الحروب الصليبية ، ولا ريب في أن إلحاح ذلك الملك الصليبي عليهم بالبقاء أوضح حجم الآمال الكبار التي علقها على فعالياتهم البحرية ؛ إذ أن مقدمهم مثل للصليبيين فرصة جديرة بالإقتناص وليس من اليسير تكرارها ، ولذا كان عليه أن يحسن الإفادة إلى أقصى حد .

والجدير بالذكر أن النرويجيين قد طلبوا من المملكة الصليبية تقديم المؤن ، والإمدادات لهم خلال مدة العمليات الحربية (٨٠) ،ومن الواضح أن قضية المؤن والإمدادات كانت تؤرق النرويجيين منذ خروجهم من بلادهم منذ ثلاث سنوات خلت ، وكانت أعدادهم الكبيرة عاملا على جعل تلك الناحية ذات أهمية خاصة بالنسبة لهم .

وهناك ناحية هامة كشفت عنها المصادر الصليبية ألا وهي أن الملك الصليبي فكرفي أول الأمر في الاستعانة بالقوة النرويجية البحرية في الاستيلاء على عسقلان بيد أنه عدل عن ذلك (٨١) ؛ لإداركه أنه يحتاج إلى إمكانات عسكرية برية وبحرية أكبر مما في الإمكان في ذلك الحين ، وتم الاتفاق في النهاية على فرض الحصار على مدينة صيدا اللبنانية ، وهو أمر حاول أحد المؤرخين الصليبيين أن يوضح أهميته مشيرا إلى أنه أكثر مجدا من إسقاط عسقلان (٨٢) .

ومن الجلي البين ؛ أن مثل ذلك القول ينطوي على مغالطة واضحة ، إذ أن عسقلان كانت أشد خطرا على مملكة بيت المقدس ذاتها ، فقد عدت بوابة مصر، وكانت ذات

وجود فاطمي حربي فعال ولا أدل على ذلك من أن حاميتها الفاطمية قامت بثلاث غزوات رئيسة ضد أملاك الصليبيين في أعوام ١١٠١م/٤٩٥هـ، ١١٠٢م/٤٩٦هـ ١١٠٥م/٤٩٩هـ وثلاث إغارات صغيرة خلال أعوام ١١٠٧م/٥٠١هـ، ١١١٣م/٥٠٧هـ ،١١١٥م/٥٠٩هـ ، و بالرغم من قلة حاميتها إلا أنها أحيانا تفوقت على القوات الصليبية ووصلت إلى أسوار مدينة بيت المقدس وأشعلت بعض الحرائق هناك (٨٣) ، ونخلص من ذلك أن عسقلان كانت أشد خطرا من صيدا على مملكة بيت المقدس الصليبية خاصة أن صيدا ذاتها لم تمثل قاعدة هجمات ذات شأن على المواقع الصليبية بنفس القدر الذي كان لعسقلان .

ومن جهة أخرى ؛ فليس معنى ذلك أن صيدا لم تكن ذات أهمية للملكة الصليبية إذ عكس أحد كبار مؤرخيها أهميتها من خلال إشارته إلى أنها مدينة بحرية ذات موقع ملائم بين بيروت وصور وأنها شكلت جزءا كبيرا من فينيقيا (٨٤) ، ويلاحظ أنه إذا ما أمكن للصليبيين إسقاطها في قبضتهم صار عليهم مواجهة صور من ناحية ، وعسقلان من ناحية أخرى مع الافادة من الإمكانيات البحرية التي تقدمها لهم صيدا.

وهكذا فإنه خلال تلك المرحلة ، فضلت القيادة السياسية الصليبية أن ترجئ إلى حين أمر عسقلان وجعلت البديل عنها صيدا ولا يغفل حقيقة هامة تتمثل في أن بلدوين الأول ومن قبل مقدم النرويجيين إلى المنطقة طمع في الاستيلاء على صيدا دون جدوى وذلك في عام ١١٠٦م/٥٠٠هـ ، ومن بعد ذلك عام ١١٠٨م/٥٠٢هـ مما عكس إلحاح أمر تلك المدينة الساحلية اللبنانية على ذهن القيادة الصليبية حينذاك التي كانت تتحرق شوقا إلى فرض الهيمنة الصليبية على كامل الساحل الشامي .

وقد اتجه ذلك الملك الصليبي إلى مهاجمة صيدا في عام ١١٠٦م/٥٠٠هـ مستغلا في ذلك وصول أسطول كبيرمن عناصر الإنجليز ، والفلمنك ، والدانيين (٨٥) وعندما أدرك حاكمها حجم الخطر المحدق به اتجه إلى أن يقدم للملك الصليبي مبلغا كبيرا من المال (٨٦)، ونظرا لاحتياج المملكة الصليبية للدعم المالي لتنفيذ مشروعاتها

الطموحة فقد وافق-مؤقتا-على قبول ذلك العرض ، وأجل مشروعه حيالها ، وجعلها تحظى بالأمن لمدة عامين خاصة مع عدم إمكانية حدوث تغير كبير في موازين القوى قد يؤدي إلى زيادة خطر تلك المدينة في مواجهة الصليبيين .

ثم تواصلت مطامع الصليبيين في صيدا عام ١١٠٨م/٥٠٤هـ، إذ شجع بلدوين الأول في ذلك العام ، وصول أسطول بحري من الغرب (٨٧)؛ إذ وصلت سفن من بيزا ، وجنوة ، والبندقية ، وأمالفي ، وقد دفعه ذلك إلى فرض الحصار عليها برا وبحرا ، غير أن الأسطول الفاطمي قدم إلى المدينة المحاصرة ، وتمكن من إلحاق الهزيمة بالقوى الصليبية المتحالفة (٨٨) ، واستمر الأسطول الفاطمي يقوم بدوره في الدفاع عن صيدا إلى أن وصل إليه خبر وصول قوات من دمشق لحمايتها (٨٩)، فعاد أدراجه إلى مصر .

وهكذا ؛ فعند مقدم الملك النرويجي سيجورد وأسطوله كان إخفاق المحاولتين السابقتين في عامي ١١٠٦م/٥٠٠هـ ، ١١٠٨م/٥٠٢هـ ،ضد صيدا يؤرق القيادة الصليبية ؛ خاصة أن محاولة العام الأخير اشترك فيها أسطول بحري كبير، وعلى الرغم من ذلك لم تكلل بالنجاح .

وبصفة عامة أمام رغبة القيادة الصليبية في إخضاع صيدا ، وموافقة الملك النرويجي سيجورد ورجاله؛ بحث بلدوين الأول عن حليف صليبي آخر من القوى الصليبية المحلية في بلاد الشام فوجده في صورة برتراند أوف تولوز Bertrand Toulouse(٩٠) (١١٠٨-١١١٣م/٥٠٢-٥٠٧هـ) وهو الابن غير الشرعي لريموند الصنجيلي Raymond of Gilles(١١٠٢-١١٠٥م/٤٩٦-٤٩٩هـ) كونت طرابلس السابق ، وكان برتراند قد تولى أمر طرابلس منذ عام مضى ، وأراد أن يلعب دورا حربيا وسياسيا مدعما للملكة الصليبية خاصة أنه وصف بأنه كان تابعا أمينا للملك بلدوين (٩١) .

ومن الطبيعي ملاحظة أن مملكة بيت المقدس الصليبية تعاونت مع كونتية طرابلس الوليدة من أجل الحصول على دعم من القوات البرية التي لديها ،وكذلك

تعاونت مع الملك النرويجي لتنال من خلاله دعما بحريا ، ومن الواضـــــح أن الدعـــم النرويجي فاق الدعم الخاص بكونتيه طرابلس على اعتبار أن الأخيرة كانت في أعــوام عمرها الأولى ، ومن المتصور أن إمكاناتها العسكرية في ذلك الوقت المبكـــر كـــانت محدودة .

وقد عقد اجتماع هــام علـــى مســـتوى عـــال ، فـــي بيـــت المقـــدس عـــام ١١١٠م/٥٠٤هـــ ضم عددا من القيادات الصليبية في صورة الملـــك بلدويـــن الأول ، والملك سيجورد ، وبرتراند أوف تولوز (٩٢) .

والواقع أننا لا نعرف على وجه الدقة التحديد الزمني لعقد مثل ذلك الاجتمـــاع الهام ، ومع ذلك فمن المفترض أنه عقد في مرحلة زمنية ليست بعيدة عـــن يـــوم ١٩ أكتوبر ١١١٠م/٣ربيع الثاني ٥٠٤هـــ ، وهو اليوم الذي يعد بدايـــة لشـــن العمليـــات العسكرية المشتركة ضد صيدا (٩٣) ، ويدعم مثـــل ذلـــك الإفـــتراض أن المصـــادر التاريخية الصليبية المعاصرة والمتأخرة لا تشير إلى أية إجتماعات أخرى سبقت ذلـــك الإجتماع ، فهو بالتالي الأول والنهائي من نوعه الذي ضم أقطاب الصليبيين بما فيـــهم الملك النرويجي قبل عملية صيدا الحربية ، ولذلك من المنطقي تصور أنه عقـــد قبـــل مهاجمة تلك المدينة بفترة قصيرة ، بيد له أنه ليس في الإمكان تحديده أمـــــام صمـــت المصادر التاريخية .

وإذا نحينا جانبا التحديد الزمني لعقد الاجتماع المذكور ، فإننـــا نـــدرك أنـــه إحتوى على الخطط الحربية الخاصة بفرض الحصار على صيدا مـــن جـــانبي الـــبر والبحر معا (٩٤)، وأتجه الملك بلدوين وبرتراند أوف تولوز إلـــى تجـــهيز المعـــدات والجنود اللازمين لعملية الحصار (٩٥) ، وكـــان دور الـــنرويجيين المشـــاركة فـــي الحصار البحري .

وجدير بالذكر ، أن القوات النرويجية على الرغم من أنها كانت تحـــت قيـــادة الملك سيجورد ، إلا أن الأخير كان هو أيضا تحت القيادة الصليبية العليا في صـــــورة الملك بلدوين الأول خاصة مع إدراكنا أن الصليبيين كانوا على دراية بجغرافية المنطقة

وعلى خبرة بموقع صيدا وأفضل الوسائل لإسقاطها من خلال تجاربهم السابقة في التعامل معها .

وهكذا ، فقد تحرك بجيشه من عكا ، على حين سار النرويجيون من يافا(٩٦)، وحاصر الملك الصليبي وقواته وكذلك برتراند أوف تولوز مدينة صيدا عن طريق البر ، بينما حاصرها النرويجيون عن طريق البحر من أجل منع الدعم البري من جانب الدولة البورية في دمشق ، والدعم البحري الفاطمي من قاعدة صور البحرية الفاطمية .

وقد بدأت عملية الحصار في ١٩ أكتوبر عام ١١١٠م/٣ ربيع الثاني ٥٠٤هـ ويلاحظ في ذلك التحديد الزمني أن النرويجيين قاموا بمشاركة الصليبيين في ذلك الوقت على الرغم من أنهم من قبل كانوا يتخذون من فصل الشتاء مرحلة استرخاء عسكري ولا يسعون فيها إلى الاشتباك الحربي ، ولكن مع تغير الظروف التي أوضحناها كان ضروريا أمامهم أن يمتثلوا للصالح الصليبي العام .

ومن المؤكد أن حصار صيدا عام ١١١٠م/٥٠٤هـ ، كان متميزا بصورة واضحة ؛ على نحو أدى لمكاسب لصالح الجانب الصليبي ؛ إذ كان هناك دعم بحري نرويجي لعب دورا حيويا في تشديد الحصار على المدينة بالإضافة إلى مهاجمتها (٩٧) ، على نحو منع عنها أي إمدادات خارجية مما عجل بإسقاطها .

وقد ساعد على نجاح التحالف العسكري الصليبي بين النرويجيين ومملكة بيت المقدس أنه في العام المذكور لم تظهر فعاليات حقيقية للقوة البحرية الفاطمية ، وقد كان الأسطول الفاطمي موجودا في صور ، وعندما سمع قائده -والذي لا تشير المصادر التاريخية إلى اسمه - بأخبار وصول النرويجيين بأعداد أسطولهم الكبير ، وما يحمله من رجال لم يجرؤ على الخروج من قاعدته والاشتباك معهم (٩٨) ، ومن المحتمل أن قائد الأسطول الفاطمي قد أدرك أن مهاجمة ذلك الأسطول الكبير يمثل نوعا من المغامرة المحفوفة بالمخاطر قد تؤدي إلى حدوث كارثة بحرية تلحق

بالفاطميين ، ولذلك فضل أن يظل قابعا في صور تجنبا للمواجهة مع فعاليات الأسطول النرويجي (٩٩).

زد على ذلك ؛ أن الفاطميين في صور ، من المتوقع أنهم شعروا بحجم الدعم البحري النرويجي وخشوا أن يتجه الصليبيون إلى صور بعد انتهائهم من أمر صيدا ، فعملوا على حمايتها بدلا من تشتيت قدراتهم البحرية بين المدينتين في آن واحد ؛ وهو أمر ليس من اليسير تحقيقه عمليا باقتدار من خلال الظروف المحيطة .

ومع كافة الاعتبارات السابقة ينبغي ألا يغيب عن تصوراتنا حقيقة جوهرية ؛ وهي أن الخلافة الفاطمية حينذاك مرت بمرحلة حرجة من تاريخها إتسمت بضعف الخلفاء وتزايد نفوذ وزراء التفويض العظام ، وفي ذلك الحين كان هناك الخليفة الآمر بأحكام الله (١١٠١-١١٣٠م/٤٩٥-٥٢٤هـ)الذي سيطر على مقاليد الأمور في عهده الوزير الأفضل بن بدر الجمالي حتى وفاته عام ١١٢١م/٥١٥هـ، وقد وصف الآمر بأنه تهاون في أمر الجهاد ، ولذلك تغلب الصليبيون على السواحل ، وحصنوها في عهده ، وإذا كان قد أرسل الأساطيل لمواجهتهم وعليها العسكر فلم تكن ذات أية فعالية (١٠٠).

وهكذا فان كافة تلك الملابسات أدت إلى تحييد دور الأسطول الفاطمي في قاعدته في صور ، وعدم دخوله في صدام حربي مع الصليبيين على نحو دعم فعاليات الحملة الصليبية النرويجية .

ومثل الوضع السابق يدعو إلى المقارنة بين ما حدث خلال عام ١١١٠م/٥٠٤،وعام ١١٠٨م/٥٠٢هـ، ففي العام الأخير ، وعلى الرغم من الإستعانة بأسطول كبير من جانب القوى الأوربية إلا أن التدخل البحري الفاطمي حسم الأمر لغير صالح الصليبيين ، أما في عام ١١١٠م/٥٠٤هـ،فكان لغياب الأسطول الفاطمي دوره في تغيير الموقف العسكري لصالح الصليبيين بالإضافة إلى الدعم البحري النرويجي .

وهناك من تصور عدم إنفراد النرويجيين بتقديم العون البحـــري للصليبيين وصاحب ذلك التوجه يرى أن البندقية كان لها دورها هي الأخرى في عملية الحصار من ناحية البحر وأنه قد قدم إلى صيدا أسطول بندقي كبير تحت قيـادة دوق البندقية أورديلافو فالبير Ordelafo Falier، وانه اشترك مع الأسطول النرويجي في حصارها بحرا ، ويدلل صاحب هذا الرأي على ذلك بالقول بأن الملك بلدوين الأول تنازل لكنسية سان ماركو St. Marco بالبندقية والدوق عن بعض الممتلكات في عكا . (١٠١)

بيد أنه من الممكن عدم الأخذ بمثل هذا التصور على إعتبار أن المصادر التاريخية الصليبية في صورة ما ألفه فوشيه دي شارتر، والبرت دايكس ، ووليم الصوري لم تشر البتة إلى مثل هذا الدور البندقي في حصار صيدا وإسقاطها عام ١١١٠م/٥٠٤هـ على الرغم من أنها قد أشارت من قبل إلى حجم المساعدة الحربية من جانب المدن التجارية الإيطالية للاستيلاء على مدن أخرى واقعة على الساحل الشامي .

وفي تقديري أن عدد سفن الأسطول النرويجي كان كافيا لإخضاع مدينة صيدا من خلال الاشتراك مع القوة البحرية الصليبية ، ولم يكن الأمر يستدعي مساعدة بحرية من قوة أوربية أخرى غير النرويج .

ثم إن الاستدلال بأن الملك الصليبي قد منح البنادقة أملاكا في عكا لا يقدم دعما لتلك الرواية ؛ لأنه كان من الأجدر به أن يقدم لهم امتيازات في صيدا ذاتها (١٠٢)، كمكافأة على دورهم في إسقاطها ، الأمر الذي لم يحدث أصلا .

وقد قرر رنسيمان أن السفن النرويجية كاد يقضي عليها أسطول فاطمي قوي صغير قدم من مدينة صور ، ولم ينقذها إلا وصول أسطول للبنادقة يقوده الدوق أورديلافو فالبير (١٠٣) ،والواقع أن المصادر العربية وكذلك اللاتينية تؤكد على أن الأسطول الفاطمي لم يغادر قاعدته في صور كي ينقذ صيدا ، كما أنها لم تشر إلى أية مواجهة ما بين الأسطول الفاطمي والنرويجي ،ثم أن قطع الأسطول النرويجي بلغت

الستين – كما أوضحت –فكيف يستطيع أسطول فاطمي يوصف بأنه صغير ، وفي نفس الحين قوي أن يحقق فعاليات كبيرة ضده لولا التدخل البحري البندقي ؟.

والوقع أنه أمام صمت المصادر المعاصرة والمتأخرة عن الإشارة إلى فعاليات الأسطول البندقي يصعب قبول التصور السابق ، ويعني هذا أن الدعم البحري خلال عملية حصار صيدا لم يكن إلا من جانب قوة بحرية واحدة في صورة النرويج

ومن ناحية أخرى ، نجد أن تطورات هامة قد وقعت خلال عملية حصار المدينة ؛ إذ أن والي المدينة وهو الأمير مجد الدولة محمد بن عدي (١٠٤)، اعد خطة لإغتيال بلدوين الأول من خلال مسلم إرتد إلى المسيحية إلا أن المسيحيين المحليين في صيدا كاتبوا الملك الصليبي بالأمر فكشفت المؤامرة وقتل صاحبها شنقا (١٠٥) .

والواقع أن الرواية السابقة أوردها المؤرخ الصليبي وليم الصوري بصورة منفردة ، ولم ترد لدى المصادر التاريخية الصليبية الأخرى ، وكذلك العربية ، وعلى الرغم من ذلك فمن الممكن قبولها على إعتبار إمكانية حدوثها من خلال رغبة والي صيدا في التخلص من حصار الملك الصليبي ، وحليفه كونت طرابلس . ملك النرويج أما موقف المسيحيين المحليين المدعم للصليبيين فذلك أمر عهدناه في مواقف مختلفة وورود تلك الحادثة السابقة ثم حدوث شواهد تاريخية على مدى القرنين ١٢،١٣م/٦،٧هـ ، تؤكد دعم المسيحيين الشرقيين لاسيما في لبنان للحركة الصليبية(١٠٦) ،كل ذلك يجعلنا نأخذ بتلك الرواية ولا نستبعد إمكانية حدوثها .

ولا ريب في أن فشل محاولة الإغتيال كان لها أسوأ الأثر على وال صيدا وأهلها وأشعرهم بالإحباط الشديد ، ولم يكن من الممكن إختصار المواجهة مع الصليبيين من خلال عملية الإغتيال ؛ إذ أنها لم تكلل بالنجاح .

على أية حال ؛ نعرف أن الصليبيين جلبوا للحصار آلات كبيرة فاق ارتفاعها أسوار المدينة (١٠٧) واتجه أهل صيدا إلى حفر أسفل سور المدينة بحيث تنفذ إلى الأماكن التي توجد فيها الآن الحصار ووضع مواد حارقة هناك فألحقت بها الضرر (١٠٨) ،والجدير بالذكر هنا ، أن أهل صيدا إذا كانوا قد استطاعوا مقاومة

آلات الحصار من ناحية البر وهي التي جلبها الصليبيون معهم ، إلا أنهم لم يتمكنوا من مواجهة الأسطول البحري النرويجي الذي تسيد الجبهة البحرية ؛ إذ لم تشر المصادر التاريخية أدنى إشارة إلى مواجهتهم له على نحو يؤكد لنا أنه قام بدوره كاملا من خلال التنسيق العسكري مع المملكة الصليبية .

على أية حال ؛ فقد استمرت أحداث الحصار البحري والبري لصيدا مدة سبعة وأربعين يوما (١٠٩) عانى أهل المدينة من الضغط الحربي الصليبي عليهم ، وفشلت وسائل المواجهة ضد أعدائهم ، وقد طلبت الحامية من الملك الصليبي بلدوين الأول أن يسمح لها بالخروج سالمة وأن بإمكانه احتجاز الفلاحين الموجودين في صيدا من أجل القيام بعملهم في زراعة الأرض(١١٠)،ويلاحظ أن الملك الصليبي وكذلك الملك سيجورد وبرتراند أوف تولوز قد تدارسوا أمر استسلام المدينة ؛ واتفقوا على قبوله(١١١)، ومعنى هذا أن الملك النرويجي كان يشارك دائما في كل القرارات الهامة التي اتخذتها المملكة الصليبية لا سيما فيما يتصل بأمر بدء الحصار أو في رفعه عن صيدا؛ وذلك بوصفه شريكا متحالفا في النشاط الحربي ضد المدينة المذكورة .

وقد أخذ أهل المدينة كافة العهود والمواثيق لضمان عدم التعرض لهم من جانب الصليبيين حين دخولهم المدينة حتى لا تتكرر أحداث بيروت ، وما حل بها من تنكيل عندما سقطت في أيديهم في إبريل ١١١٠م/٥٠٤هـ (١١٢)، وبالفعل حصلوا على أمان على الأنفس والأموال (١١٣)وكان تاريخ خروج والي صيدا هو ٤ديسمبر ١١١٠م/٢٠جمادي الأولى ٥٠٤هـ (١١٤) ، وقد اتجه الأعيان إلى مدينة دمشق (١١٥)،حاضرة الدولة البورية وعلى رأسها الأتابك ظهير الدين طغتكين ، أما السكان الفقراء فقد صاروا من رعايا الملك الصليبي الذي حرص على إنهاكهم ماليا فطلب منهم فدية بلغت ٢٠ ألف دينار على نحو أدى إلى إفقارهم كما أشار البعض (١١٦)

وجدير بالذكر أن نجاح التحالف النرويجي مع مملكة بيت المقدس الصليبية في أمر صيدا أدى إلى نتائج متعددة بالنسبة للصليبيين المحليين في بلاد الشام ، وكذلك

بالنسبة للنرويجيين أنفسهم ،ثم الفاطميين، الأمر الذي عكس أهميـــة وفعاليـــات ذلـــك التحالف وتأثيره على أحداث المنطقة والصراع الصليبي الإسلامي حينذاك .

فالملاحظ أنه بعد تلك العملية العسكرية الناجحة صار الصليبيون يســـيطرون على كافة مدن الساحل الشامي فيما عدا مدينتي صور في منتصف الساحل ، وعسقلان في الطرف الجنوبي (١١٧)، وعدت صيدا من الآن فصاعدا بارونية صليبية يتولاهـــا يوستاش جارنيية Eustache Garnier سيد قيسارية Caesarea(١١٨) (١١١٠-١١٢٣م/٥٠٤-٥١٧هـ)الذي عمل بدوره على توطيد أقدامه من خلال زواجه من إيما Emmaابنته أخت البطريريك أرنولف مالكورن Arnlolf Malecorneبطريـــرك بيت المقدس (١١٩) .

ويتأكد لنا 'أهمية المكاسب التي غنمتها المملكة الصليبية من جراء تعاونها مع الحملة الصليبية النرويجية من ملاحظة أن تلك المملكة صارت تمتلك رقعة شاسعة من الأرض ، امتدت من بيروت حتى العريش الواقعة على حدود مصر باستثناء أقل القليل من المناطق التابعة للمسلمين ومن أمثلتها عسقلان وصور .

وهناك من يرى أن مملكة بيت المقدس صارت بعد ذلك تنقســـم إلـــى أربـــع بارونيات كبيرة تتمثل في صيدا ، ويافا ، وعسقلان ، والجليل بالإضافة إلى إمـــارتي الكرك والشوبك(١٢٠)، ومع إدراكنا لتوسع المملكة بعد إسقاط صيدا ؛ إلا أن عســقلان حينذاك كانت لا تزال تابعة للسيادة الفاطمية ، ولم تكن السيادة الصليبية قد امتدت إليـــها بعد .

أما بالنسبة للنرويجيين ؛ فكان حصادهم من جراء التحالف مكاســـب ماديـــة وأدبية معا ، أما على المستوى المادي فقد اعترفت الساجا صراحة بـــأن الـــنرويجيين حصلوا على كنز كبير من المال (١٢١)، وذلك ضمن حديثها عن الأسلاب ، والمغـــانم التي آلت إليهم ، كذلك نعرف أنهم حملوا بالهدايا الثمينة (١٢٢) .

أما المكسب الأدبي ؛–وهو أكثر استمرارية وبقاء – فقد تمثل فـــي مشـــاركة النرويجيين في المشروع الصليبي تحت قيادة الملك سيجورد ، وقـــد صـــار جليـــا أن

تحدي الموقع الجغرافي النائي للنرويج وبعدها عن مسرح العمليات العسكرية للصراع الإسلامي الصليبي قوبل من النرويجيين باستجابة حربية أدت إلى دور فعال لهم في صورة الحملة الصليبية النرويجية . وهكذا لم يعد إخضاع مدن الساحل الشامي حكرا على المدن التجارية الإيطالية مثل جنوة ، وبيزا ، والبندقية بالتعاون مع الصليبيين المحليين ، إنما ساهم النرويجيون هم أيضا بدورهم وخير مثال شاهد على ذلك دورهم في إسقاط صيدا .

ومن جهة أخرى ؛ حقق الملك النرويجي سيجورد مكانة سياسية بارزة ، إذ ظهر أمام ، المعاصرين لا سيما في بلاده على أنه مدعم المشروع الصليبي ، ولا أدل على ذلك من مطالعة نصوص المصادر التاريخية لا سيما الساجا التي تضعه في مكانة بارزة (١٢٣)باعتباره أحد قادة القوى الصليبية الأوربية في خلال العقد الأول من القرن الثاني عشر م/السادي هـ .

أما بالنسبة للخلافة الفاطمية ، فقد تأكد استمرارية ضعفها من خلال تساقط مراكزها على الساحل الشامي الواحدة تلو الأخرى ؛ إذ سقطت صيدا بعد أن ظلت تابعة لسيادتها على مدى المرحلة من ١٠٩٠م/٤٨٤هـالى عام ١١١٠م/٥٠٤هـ ولا ريب في أن إفتقاد الفاطميين للقوة اللازمة لحماية أملاكهم في الساحل الشامي ، والضعف العام الذي كانت عليه تلك الخلافة ؛ قد أدى إلى تزايد أطماع الصليبيين في أملاك الفواطم في بلاد الشام ، ثم في مصر ذاتها على نحو كان له أثره الكبير على مسار الصراع الصليبي الإسلامي في المرحلة التالية من تاريخ الحركة الصليبية في المنطقة .

نخرج من دراسة تأثيرات إسقاط صيدا على القوى المتعددة المعاصرة أنها كانت مع العمق بحيث عكست أهمية الحملة الصليبية النرويجية ذاتها ومشاركتها المطامع الفرنجية الصليبية للصليبيين المحليين في بلاد الشام .

والواقع أن هناك تساؤلا عما إذا كان الملك النرويجي سيجورد قد غادر مملكة بيت المقدس الصليبية فور الاستيلاء على صيدا ؟ أم انه مكث مدة من الزمن هناك ،

ومثل تلك الناحية لا توضحها المصادر التاريخية الصليبية التي تلوذ بالصمت في المرحلة التالية فيما يتصل بأخبار الملك النرويجي ومن معه ، بيد أن الساجا توضح انه أمضى وقتا طويلا في بيت المقدس في الخريف وفي بداية فصل الشتاء (١٢٥)، والمرجح أنه بقي هناك مدة من الزمن بعد إسقاط صيدا من أجل أن يستثمر النجاح العسكري الذي حققه من أجل الدعاية للنرويج ملكا وشعبا .

ومن العوامل التي تدعونا إلى الاعتقاد ببقاء ملك النرويج وأسطوله في المملكة الصليبية بعد انتهاء العملية العسكرية في صيدا ، أن الاحتفال بعيد الميلاد حدث بعد انتهاء العملية المذكورة بأسابيع قليلة في نهاية شهر ديسمبر عام ١١١٠م/٥٠٤هـ، ومثل تلك المناسبة كانت مبررا قويا لبقاء النرويجيين في الأراضي المقدسة من أجل الاحتفال بها هناك ، لا في طريق عودتهم إلى النرويج ، ولا يفوتنا القول بأنه في مثل تلك المناسبات الدينية كانت الأماكن المقدسة لدى المسيحيين في فلسطين محط ترحالهم من كافة أنحاء عالم المسيحية Christondom .

ومع ذلك ؛ فليس في الإمكان تقديم تحديد زمني دقيق لبقاء النرويجيين في مملكة بيت المقدس الصليبية بعد إنتهاء تعاونهم العسكري معها نظرا لصمت المصادر التاريخية وعدم إفصاحها عن تلك الزاوية .

على أية حال ، ففي أعقاب تحقيق الملك النرويجي للعديد من المكاسب من خلال تلك الحملة ، كان طبيعيا أن يعود أدراجه إلى بلاده ومعه مقاتلوه ، ويلاحظ في تاريخ العودة أن أحد الباحثين يقرر أنه كان طريقا بريا (١٢٦)، والواقع أن هذا القول لا ينطبق على الواقع التاريخي بشكل كامل ، إذ الملاحظ أن طريق عودة سيجورد إلى النرويج كان بحريا في قسم ، وبريا في قسم آخر .

أما القسم البحري ؛ فنلمسه من خلال أن ذلك الملك إتجه مع رجاله بسفنهم إلى جزيرة قبرص Cyprus(١٢٧)، وهي التي لم تذكر المصادر التاريخية أنهم مروا بها أثناء رحلة مقدمهم إلى المنطقة قبل عدة سنوات .

وكامتداد للطريق البحري ، واصل النرويجيون رحلتهم البحرية إلى العاصمة البيزنطية القسطنطينية Constantinople، وقد أحسن الإمبراطور البيزنطي الكسيوس كومنين Alexius Comnenus(١٠٨٠-١١١٨م/٤٧٣-٥١٢هـ)الترحيب بهم ، وأمر بفتح ميناء القسطنطينية من أجل استقبال السفن الزائرة (١٢٨)، ولا ريب في أن أخبار المساهمة النرويجية في مواجهة صيدا قد بلغت مسامع البيزنطيين ، ومن ثم أحسنوا استقبال الملك النرويجي ورجاله كرجال منتصرين .

أما الجانب البري في رحلة العودة ، فقد بدأ من العاصمة البيزنطية ، ومنطقي أنه كانت هناك عدة دوافع دفعت بالملك النرويجي إلى تفضيل العودة بالبر ، إذ أنه من خلال ذلك الطريق البري يمكنه المرور بمناطق الإمبراطورية البيزنطية ، ثم الدنمارك وأخيرا النرويج ، فهو بالتالي طريق توجد فيه قوى مسيحية ، ولا يمر بمناطق يسيطر عليها المسلمون كما هو الحال في غرب البحر المتوسط ؛ إذ أن قوة المرابطين البحرية كان لها دورها في ذلك الجانب من البحر المتوسط ، بالإضافة إلى أن ذلك الطريق يستغرق وقتا أكثر ومن خلاله يمكن تجنب التعرض للعواصف ، والأنواء ، وبالإضافة إلى ذلك هناك إحتمال قائم يتمثل في أن ذلك الملك أدرك أن عليه الإسراع بالعودة إلى بلاده عبر ذلك الطريق بعد أن طالت مدة إبتعاده عن النرويج عدة سنوات

والجدير بالذكر ؛ إنه أمام الرغبة في استخدام الطريق البحري في المرحلة التالية ؛ وتفضيل الطريق البري لم يكن هناك مبرر للاحتفاظ بقطع الأسطول النرويجي بعد أن أدت دورها ، خاصة أن النرويجيين كان بإمكانهم –على ما هو متوقع –تصنيع عدد آخر من السفن عند عودتهم إلى بلادهم ، ولهذا وردت إشارات إلى أن سيجورد قد تخلص من أسطوله بتقديمه إلى الإمبراطور البيزنطي الكسيوس كومنين(١٢٩)، كما ظل عدد من رجاله في خدمة ذلك الإمبراطور وعادت البقية مع الملك سيجورد إلى النرويج في صيف عام ١١١١م/٥٠٥هـ، وبذلك يكون قد أمضى أربع سنوات (١٣٠)، خارج حدود بلاده مشاركا في أحداث ما يعرف بالحملة الصليبية النرويجية .

وقد تمخض البحث عن عدة نتائج من الممكن إجمالها في الآتي :

أولا : توافرت عدة دوافع مجتمعة دفعت بالنرويج في عهد سيجورد وأخويه أيستين ، وأولاف للمشاركة في المشروع الصليبي من خلال الحملة الصليبية النرويجية التي قادها الملك النرويجي سيجورد ، وكانت المملكة الصليبية في أشد الحاجة إلى الدعم البشري ، والبحري لمواصلة إسقاط المدن الاستراتيجية الهامة على الساحل الشامي .

ثانيا : أفادت المصادر التاريخية النرويجية -في صورة الساجا- في تسليط الضوء على رحلة الملك النرويجي وكذلك تعاونه مع الصليبيين ، كما قدمت المصادر التاريخية الصليبية الأخرى تفاصيل هامة عن الدعم العسكري النرويجي للمملكة الصليبية وقد اتفقت النوعيتان من المصادر في الخطوط العامة للأحداث المتصلة بتلك الحملة ، مع وجود بعض نقاط الاختلاف بالطبع ، مع عدم إغفال أهمية المصادر التاريخية العربية المعاصرة واللاحقة في هذا الشأن .

ثالثا : أثبتت فعاليات تلك الحملة الصليبية النرويجية أن الحركة الصليبية ظاهرة أوربية عامة اشتركت فيها كافة الشعوب الأوربية بصورة أو بأخرى ، ولم يحل الموقع الجغرافي النائي دون مشاركة النرويجيين في إحداثها وعلى ذلك لم يكن الأمر قاصرا على فرنسا ، وإنجلترا ، وألمانيا ، وإيطاليا بل أن النرويج كانت لها بصمتها هي الأخرى ، مع ملاحظة أن الدور النرويجي لم يكن بنفس الحجم الكبير الذي كان للدور الفرنسي ، والإنجليزي ، وكذلك فعاليات المدن التجارية الإيطالية .

رابعا : أثبتت فعاليات الحملة الصليبية النرويجية أن الوجود الصليبي في بلاد الشام لم يكن يستطيع الاعتماد على إمكاناته الذاتية في مواجهة المحيط الإسلامي العام هناك ، خاصة خلال المرحلة المبكرة من تاريخ الصليبيين في المنطقة . وجاءت أحداث تلك الحملة لتكون حلقة في سلسة طويلة من النجدات ، والحملات الأوربية القادمة من الغرب الأوربي ، ومن الضرورة بمكان ملاحظة أن تلك الحملة النرويجية هي جزء لا يتجزأ من المشروع الصليبي العام الذي لم يتوقف طوال تلك المرحلة ،

وهذا يؤدي بنا إلى تصور دراسة تاريخ الحروب الصليبية في بلاد الشام على اعتبار عدد الحملات الرئيسة المعروفة والتي استهدفت الشام ومصر وتونس من الممكن أن يجعلنا نغفل أهمية حملات صليبية أخرى فرعية مثل الحملة الصليبية النرويجية وغيرها من الحملات الأخرى التي لم تحظ بذات الاهتمام الذي وجه للحملات الرئيسة وبالتالي فمن الإنصاف القول بان رؤية المشروع الصليبي كمشروع واحد عام ، من الممكن أن تجنبنا الرؤية المجزأة والتي قد لا تقدر أهمية الحملات الفرعية التي ساهمت بدورها هي الأخرى في تكوين جسد المشروع الصليبي ككل .

ذلك عرض للحملة الصليبية النرويجية ودور الملك النرويجي سيجورد في دعم الحركة الفرنجية الصليبية خلال المرحلة من ١١٠٧-١١١٠م/٥٠١-٥٠٤هـ .

الهوامش

(١) Mawer , The Vikings, Cambridge 1930,p.1

(٢) عن دوافع إغاراتهم انظر :

Painter , History Of the middle ages (284-1500) ,New York 1954 .p.89

ومن أمثلة هجماتهم وإغاراتهم :

ابن عذاري ، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب ،جـ٢،تحقيق كولان وبروفنسال، ط .بيروت ١٩٨٣،ص٨٧، أرشيبالدلويس، القوى البحرية والتجارية في حوض البحر المتوسط ،ت.احمد عيسى،ط القاهرة ١٩٦٠م،ص٢٣١.

(٣) Bailey , Viking age Sculpture in northern England London 1980 ,p80

Strayer and Munro , The middle ages(395-1500) , New york 1970, p.100

(٤) Stphenson ,Medieval History , New York 1934, p.200

Attwater , The Penguin dictionary of saints ,London,1978 ,p.48

والقديس أنسكر ولد بالقرب من أميان Amiens عام ٨٠١م/١٩٣هـ ، ويعد أول منصر في شمال غرب أوربا ، وكان راهبا في البدية في كوربي Corbie في منطقة بيكاردي ، ومن بعد ذلك في منطقة نيوبيكاردي (كورتي) في وستفاليا Westphalia قد ذهب إلى الدنمارك في عام ٨٢٦ م/٢١٨هـ من أجل أن ينصر بالإنجيل ، بيد أنه سرعان ما طرد من هناك ، واتجه من بعد ذلك إلى السويد حيث حقق هناك بعض النجاح ، وفي عام ٨٣١م/٢٢٣هـ نجد أن القديس أنسكر قد شغل منصبا هاما آلا وهو رئيس أساقفة هامبورج Hamburg وقد جعله البابا جريجوري الرابع Gregory IV(٨٢٨-٨٤٤م /٢٢٠-٢٣٦هـ) موجها نحو تنصير الاسكندنافيين ، وفي عام ٨٤٥م/٢٣٧هـ حطم الفايكنج هامبورج وقد تنقل من بعد ذلك إلى الدنمارك والسويد

وقد توفي القديس أنسكر في عام ٨٦٥م/٢٥٧هـ ، والجدير بالذكر أن يوم الاحتفال بعيده هو يوم ٣ فبراير من كل عام .

عن ذلك القديس انظر :

Attwater ,p .48 .

(٦) Ibid , p.258-259

وعنه أيضا Brooke , Ahistory of Europe from 911to 1198 , London 1938,p.352

(٧) والقديس سيجفر يد ، هو أسقف ومبشر تم تعيينه من أجل نشر المسيحية في صفوف السويديين ، ونعرف عنه أنه كان راهبا من York وقد أرسل مع عدد من المنصرين الإنجليز من أجل نشر المسيحية هناك ، ويقال أنه جعل مركزه في فاكسجو Vaxjo الواقعة في القسم الجنوبي من السويد، ونجح في عمله في منطقة سمالاند Smalandوفاستر جوتلاند Vastergotland، ومن المعروف عنه أنه عمد أحد الملوك الاسكندنافيين وهو الملك أولاف اسكوتكوننج Skotlonung ونلاحظ أنه توفي عام ١٠٤٥م/٤٣٩هـ ويوم الاحتفال بعيده هو ١٥فبراير من كل عام .

عن ذلك القديس انظر :

Attwater , p .303

(٨) عن الملك أولاف الأول ودوره أنظر :

Ancy .Brit , "Olaf " Vol.Chicago 1987, p.903 .

(٩) عن الملك أولاف الثاني انظر :

Attwaer ,p .258-259.

(١٠) كريستوفر دوسون ، تكوين أوربا ، ت .محمد مصطفي زيادة ، وسعيد عبد الفتاح عاشور ،ط. القاهرة ١٩٦٧م،ص٣١٩-ص٣٢٠ .

(١١) Ency.Brit ."Sigurd 1 ",Vol .X. p.798.

وعن التعريف بسيجورد انظر :

Gjersrt , History of Norwegian People , New York 1927, p312.

Fink ,"The Foundation of the Latin States (1099-1118)"

, In Setton , Ahistory of the Crusades , Vol. I ,Madison 1969, p.386.

(١٢) The Saga of Sigurd The Crusader (1107-1110),in wright Early Travels in Palestine , London 1848,p.50 .

(١٣) Ibid , p.50

(١٤) عن ذلك الخطاب انظر :

Robert the Monk , in Peters , The First crusade , The Chronicles of Fulcher of chartres and other source materials , philadelphia 1071, pp.1-4, Baldric of Dl , pp.6-10 , Guilbert of Nogent ,pp.10-13.,Fulcher of Chartres , A History of the Expedition to Jerusalem , Trans . by Rita Rian ,Tennesse 1969 ,pp.62-65 .

(١٥) The Saga of Sigurd ,p.50

(١٦) William of Tyre , A History of the deeds done beyond the Sea , Vol.I, Trans. By Babcock and Krey,New York, 943 ,p.486

(١٧) محمد فتحي الشاعر ، أحوال المسلمين في مملكة بيت المقدس الصليبية ،ط القاهرة . ١٩٩٠م،ص١١ .

(١٨) عصام سالم سيسالم ، جزر الإسلام المنسية ، التاريخ الإسلامي لجزر البليار ،ط بيروت ١٩٨٤م،ص٢٢٠ .

(١٩) Gjerset ,p.314 .

(٢٠) Ibid, p .313

(٢١) The Saga of Sigurd,p.50

والساجا في الأصل كلمة أيسلندية من الفعل Segin ويعني أن يقول To Say أول قول Saying، وليس لها مفهوم أدبي تكنيكي في الأيسلندية القديمة،ويمكن أن يفسر على أنه قصة طويلة تحتوي على عدد من الأحداث المتلاحقة ، وهناك من يرى أن الساجا المقصود بها الملحمة النثرية ، وان المرحلة الواقعة بين عامي ٩٣٠،١٠٣٠ م اعتبرت عند الأيسلنديين عصر إنشاء الملاحم النثرية ،

والواقع أن الساجا ارتبطت ببطولة قادة النرويج في العصور الوسطى ، وقد إعتقد أندرسون أن أبكر تاريخ للساجات يرجع إلى وقت متأخر من القرن الثاني عشـــر م/السادس هـــ .إلا أن مثل هذا التصور من الممكن معارضته علـــى إعتبـــار أن القرن العاشر م/الرابع هـــوليس الثاني عشر م/السادس هـــ ، قد شهد مثل تلـــك البدايات ، ولدينا عدد من الساجات خاصة بكبار القادة والملوك النرويجيين مثـــل إنجيل سكالجريمسون رنجال وأولاف القديس وعدد آخر غيرهم ، وهنـــاك مـــن الباحثين من يقرر أن الساجا ارتبط بها جانب أسطوري ، بيـــد أن مـــن الممكـــن معالجة ذلك من خلال مقارنة نصوصها بالمصادر التاريخية الأخرى عن الساجا انظر :

The Oxford reference dictionary , London 1962,p.726, Wright , The Geographical lore in the time of the Crusades ,New York 1965.,p.346, The Oxford English dictionary ,Vol. 1X, Oxford 1973, p.82, Anderson , "Saga ",in dictionary of the middle ages , New York 1989,p.616 .

(٢٢) William of Tyre, Vol.I,p.488,Note (60)

(٢٣) Ibid , p.486 .

(٢٤) Fulcher of Chartres ,p.199

أرنست باركر ، الحروب الصليبية ، ت. السيد الباز العريني ، ت.بـــيروت ،ب-ت،ص٤٤، عزيز سوريال عطية ، الحروب الصليبية أثرها على العلاقات بيـــن الشرق والغرب ، ت . فيليب رفلة ،ط القاهرة ب-ت،ص٥٦ .

(٢٥) lbert d'Aix ,HistoriaHierosolymitana , R.H.C., Hist. Occ ., T.1V , Paris 1879, p. 678.

(٢٦) The Saga of Sigurd , p.51.

(٢٧) Ibid ,p.57

(٢٨) ذيل تاريخ دمشق ، تحقيق سهيل زكار ، ط.دمشق١٩٨٣م ،ص٢٧٣ .

انظر أيضا :

حسين أحمد أمين ، الحروب الصليبية في كتابات المؤرخين المعـــاصرين لـــها ط.القاهرة :١٩٨٣م. ص٥٨،محمد كـــرد علـــي ، خطـــط الشـــام، جـــ١ ،ط دمشق١٩٨٣ ، ص٢٦٦، أمين معلوف ، الحروب الصليبية كما رآها العـــرب عفيف دمشقية ،ط, بيروت ١٩٨٩ ,ص١١٣ .

ويلاحظ أن ريتاريان Rita Rianفي ترجمة كتاب فوشيه الشارتري إلى اللغـة الإنجليزية أشارت في ص١٩٩ حاشية (١) إلى أن أبن القلانسي قـــد ذكـــر أن عدد سفن الأسطول النرويجي بلغت الستين سفينة وذلك بالاعتماد على الترجمـــة الإنجليزية التي قام بها هاملتون جـــب Hamilton Gibbلكتـــاب المـــؤرخ المذكور .

عن ذلك انظر :

Fulcher of Chartres ,p.199, note (1)

اعتمادا على :

The Damascus chronicle of the Crusades, Trans .by H.Gibb,London 1940 , p. 106.

غير أن نص المؤرخ المعاصر المذكور صريح تماما إذ أنه يقر أن العدد هـــو "نيف وستون " على نحو يخالف ما ذكر في الكتابين المذكوريـــن . عـــن ذلـــك انظر : ذيل تاريخ دمشق ،ص١٧٣ .

ومن ناحية أخرى ذكر السيد عبد العزيز سالم أن ابن القلانسي أشـــار إلـــى أن عدد السفن سبعين سفينة ، وهذا أمر يخالف ما ورد صراحة في كتاب المـــؤرخ الدمشقي ، عن ذلك انظر :

السيد عبد العزيز سالم،تاريخ مدينـــة صيـــدا فـــي العصـــر الإســـلامي،ط ١. الإسكندرية ١٩٨٦م.ص١٠٠

(٢٩) الكامل في التاريخ ، جـــ١ ،ط.بيروت ١٩٩٦م . ص ٤٧٩، أيضا : سعيد أحمد برجاوي ، الحروب الصليبية في الشرق،ط،بيروت،١٩٨٤م.ص٢١٣.

(٣٢) The Saga of Sigurd ,p.53

و أيضا Gjerset ,p.315

(٣٣) The Saga of siurd , p/51

(٣٤) Ibid , p.52

(٣٥) عصام سالم سيسالم ، المرجع السابق ،ص.٢٢ .

(٣٦) The Saga of Sugyrd ,p.52 .

(٣٧) عن تلك المنطقة انظر :

ابـــن سعيد ، المغرب في حلي المغرب ،جـــ١، تحقيـــق شـــوفي ضيـــف . القاهرة ١٩٥٣م،ص٤١٥، حسين مؤنس ، تاريخ الجغرافيـــا والجغرافيين فـــي الأندلس ، القاهرة ١٩٨٦م،ص٢٦١-ص٣٠٠،سحر السيد عبد العزيز سالم، تاريخ بطليوس الإسلامية وغرب الأندلس في العصر الإسلامي، جـــ١ ط.الإسكندرية ١٩٨٨م،ص٢١٧.

(٣٨) نفسه ، نفس المرجع ، ص٢١٧.

(٣٩) The Saga of Sigud ,p.52

(٤٠) عن الجانب التنصيري في مرحلة الحروب الصليبية انظر :

أسامة بن منقذ ، الاعتبار ، تحقيق قاسم السامرائي،ط.الرياض١٩٨٧ م ص١٢٧،ابن جبير الرحلة ،ط.بيروت١٩٦٤،ص٢٨١ .

Kedar, Crusade and mission , European approaches to the musloms , Princeton 1988, Baldwin ,"Mission to the east in the Thirteenth and Fourteenth Centuries " ,in Setton, A Hi- story of the Crusades Vol.V, Philadelphia 1985.The Saga of Sigurd ,p.53

ويلاحظ أن جيرست قد اعتقد من قبل أن منطقة Al Kassi مـــن المســـتحيل تحديد موقعها إلا أن المصادر العربية أفادت في تلك الزاوية أنظر رأيه : jerset, p.216

(٤٢) عن تلك المنطقة انظر :

الإدريسي ، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق ،جـ٢، تحقيق ديلافيلا وجابريلي وآخرون ،ط.القاهرة ب-ت،ص٥٣٩ .

(٤٣) The Saga of Sigurd , p.53

(٤٤) عصام سالم سيسالم ، المرجع السابق،ص٢٢٠ .

(٤٥) نفسه ، نفس المرجع ،ص٢٢٠،ص٢٢١

(٤٦) William of Tyre , Vol.I , p.486
right . The geographical Lore , p.11

(٤٧) Ggerset , p .316

(٤٨) عصام سالم سيسالم ، المرجع السابق ، ص ٢٢١، وعنها أنظر :
ابن سعيد ، كتاب الجغرافيا ، تحقيق إسماعيل العربي ، ط. بيروت ١٩٧٠م، ص١٦٨.

(٤٩) ابن خلدون ، العبر ، جـ٤،ص٣٥٥، عبد الرحمن الحجي ، التاريخ الأندلسي من الفتح الإسلامي حتى سقوط غرناطة ٩٢-٨٩٧هـ/٧١١-١٤٩٢م،ط. دمشق١٩٨٧،ص٤٢٦، السيد عبد العزيز سالم و العبادي، تاريخ البحرية الإسلامية في المغرب والأندلس،ط.بيروت١٩٦٩ م،٤٣ أحمد مختار العبادي دراسات في تاريخ المغرب والأندلس ،ط.الإسكندرية ب-ت،ص٣٢٤.

(٥٠) The Saga of Sigurd . p.54-55 .

(٥١) عصام سالم سيسالم ، المرجع السابق ، ص٢٢٢ .

(٥٢) أرنست باركر ، المرجع السابق ، ص٤٤،عزيز سوريال عطية ، المرجع السابق ص٥٧ .

(٥٣) Runciman , A History of the Crusades , Vol.II , London 1978,p.93 .

(٥٤) فهمي توفيق مقبل ، الفاطميون والصليبيون ،ط.بيروت١٩٧٩م،ص١٠٦ .

(٥٥) Funciman of Chartres , p.199 .

سعيد عبد الفتاح عاشور، الحركة الصليبية ،جـ١ ،ط.القاهرة١٩٦٣،ص٣١٠

(٥٦) Fulcher of Chartres , p.199

William of Tyre , Vol.I, p.486 .

(٥٧) Runciman ,Vol.II,p. 92 .

أيضا :صلاح الدين محمد نوار ، العدوان الصليبي على العالم الإسلامي ٤٩٠-٥١٥هـ/١٠٩٧-١١٢١م-ط.الإسكندرية ١٩٣٣م،ص٢٩١ .

(٥٨) The Saga of Singurd ,p.56

(٥٩) Attwater , p.191 .

وعن يوحنا المعمدان انظر :

متى ، الاصحاح (١) ، من ١الى ٦ ، الإصحاح الثالث من ١٣ - ١٧،مرقص، الإصحاح السادس من ١٤-٢٩،ولوقا ، الإصحاح التاسع من ٧-٩ .

Hastings , Dictionary of the Bible , New York 1952 , PP.509-510

Grant, Histrocal intrduction to the New Testament,New York 1952,pp.309-312 .

(٦٠) The Saga of Sigutd p.57

(٦١) Stevenson , 'The First Crusade " ,C.M.H., Vol.V, Cambridge 1979, p.304 .

أيضا : محمود الحويري ،الأوضاع الحضارية في بلاد الشام في القرنين ١٢،١٣م،ط. القاهرة ١٩٧٩م، ص١٨٥،ص١٨٦.

(٦٢) أنتوني بريدج ، تاريخ الحروب الصليبية ،ت . غسان سبانو ونبيل الجيرودي ط. دمشق ١٩٨٥م ،ص١١٨، مخائيل زابوروف ،الصليبيون في الشرق ، ت.إلياس شاهين ،ط. موسكو ١٩٨٦م، ص١٥٧

(٦٣) Stevenson , The Crusaders in The east , Cambridg 1907,p.39

(٦٤) سعيد عبد الفتاح عاشور ،الحركة الصليبية ،جـ١ ،ص٢٨٢ .

(٦٥) نفسه ، نفس المرجع ، ص٢٨٠.

رحلة الحاج سايولف في بيت المقدس والأراضي المقدسة ، ترجمة سعيد البيشاوي ، ط ١، عمان " دار الشروق ، ١٩٩٧م ،ص ٥ ، ٢٣ .

(٦٦) Daniel , Pilgrimage of Russiam A bbot Daniel in the Holy Land , Trans by Wilson , P.P.T.S. ,Vol. IV, London 1895,p9

وعن وصف ذلك الطريق انظر :

سيد فرج " القدس عربية إسلامية " ، الدارة ، العدد (٣) ، السنة (٨) ، يناير ١٩٨٤م ، ص١، عبد الرحمن زكي " القلاع في الحروب الصليبية " ، المجلة التاريخية المصرية ، م (١٥)، عام ١٩٦٩م ،ص٦٣، فتحي عبد العزيزعبد الله، دور الكنيسة في مملكة بيت المقدس اللاتينية حتى عام ١١٨٧م، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية الآداب – جامعة الزقازيق عام ١٩٨٦م ص١٢٢، علي السيد علي ،القدس في العصر المملوكي ، ط. القاهرة ١٩٨٦م،ص٢١٣.

(٦٧) سعيد عبد الفتاح عاشور، المرجع السابق ،جـ ص٢١٢، شفيق جاسر ،القدس تحت الحكم الصليبي ودور صلاح الدين في تحريرها ،ط. عمان ١٩٨٩م،ص٥٢ .

(٦٨) قلعة الشوبك ، وقعت على تل مرتفع أبيض في طرف الشام من جهة الحجاز في الجهة اليمنى من وادي عربة بين الطفيلة ، ومعان ، والى الشمال الشرقي من البتراء ، وقد وصفت قلعة الشوبك بأنها قلعة مبنية من الحجارة البيضاء ، وذات حصانة ومنعة كبيرة . عن قلعة الشوبك أنظر :

ياقوت ، معجم البلدان ، جـ٣ ، ط.بيروت ١٩٩٠م،ص٤٢٠، أبو الفداء ، تقويم البلدان تحقيق رينو ودي سلان ،ط. باريس ١٨٤٠م ، ص ٢٤٧، يوسف درويش غوانمة ، إمارة الكرك في العصر الأيوبي ،ط.عمان ١٩٨٤،ص٦٤ ، حاشية (٢) مولر ، القلاع أيام الحروب الصليبية ،ت . محمد وليد الجلاد ، ط. دمشق ١٩٨٤م،ص١٤٠، سعد محمد المومني ،القلاع الإسلامية في الأردن ، الفترة الأيوبية والمملوكية ، ط. عمان ١٩٨٨م، ص٢٤٣-ص٢٥٣ .

(٦٩) قلعة اسكندرونة ، وقعت بالقرب من صور ، وقد شيدت في موقع يسمى الكسندريوم Alexandriumعلى اسم الاسكندر المقدوني Alexander of Macedonia حيث بنى هناك قلعة ، من أجل مساعدته في إحكام سيطرته على مدينة صور ، ويلاحظ أن وليم الصوري قد أشار إلى أن اسمها ينطق بصورة شائعة على أنه سكاندليوم Scandalium ، وقد ورد ذكرها لدى عدد من الحجاج الأوربيين الذين زاروا مملكة بيت المقدس الصليبية .

عنها أنظر :

William of Tyre , Vol. I, P.514, Burchard of MontSion Descroption of The Holy Land , Trans. by .Stewart,P.P.T.S., Vol. XII , London 1869, p.10, note (1) وتجدر الإشارة إلى أن كتاب بورشارد قد نقل إلى العربية بعنوان : وصف الأرض المقدسة ، ترجمة سعيد البيشاوي ، عمان " دار الشروق " ١٩٩٥م ., Marino Sanut's , Secrets for True Crusaders to help them to recover the Holy Land , Trans. by A.Stewart , P.P.T.S.,Vol VII London 1896, p.8, Ludolph Von Suchem , Description of the Holy Land , Trans By A.Sewart , P.P.T.S.Vol. XII, London 1895,PP.61-62 .

شيخ الربوة الدمشقي ، نخبة الدهر في عجائب البر والبحر ، تحقيق مهرن ط.بطرسبرج ١٨٣٥م،ص٢١٣

(٧٠) سعيد عبد الفتاح عاشور ، المرجع السابق ،جـ١،ص٣١٩-ص٣٢٠ .

(٧١) أحمد رمضان ، شبه جزيرة سيناء في العصور الوسطى،ط.ا لقاهرة.١٩٧٧م ص٦٥-ص٦٦.

(٧٢) سعيد عبد الفتاح عاشور ،المرجع السابق ،جـ١، ص٣٢٢ .

(٧٣) Prawer,"The Settlement of The Latins in Jerusalem" Speculum , Vol. XXXII, Cambridge 1952,p.496.

(٧٤) William of Tyre Vol. I , p .508

(٧٥) مصطفى الكناني ، العلاقات بين جنوة والفاطميين في الشرق الأدنى (١٠٩٥- ١١١٧م/٤٨٨-٥٦٧هـ)

(٧٦) عن سقوط تلك المدن في قبضة الصليبيين أنظر :
Fulcher of Chartres , PP. 142, 151,176.
William of Tyre , Vol . I, p. 484 .

(٧٧) Fulcher of Chartres , p.199
.

(٧٨) William of Tyre , Vol . I , p.486 .

(٧٩) Ibid , p . 486

(٨٠) Ibid p. 487 .

(٨١) Fulcher of Chartres , p. 200 .

(٨٢) Ibid , p. 200 .

(٨٣) Ibid , p. 79, p. 250 .
أيضا : فتحية النبراوي ، العلاقات السياسية الإسلامية وصراع القوى الدولية في العصور الوسطى ١٠٠٠-١٣٠٠م ،ط.القاهرة ١٩٨٢م،ص١٥٣.

(٨٤) William of Tyre Vol. I, p.487
وأنظر عنها :
بنيامين التطيلي ، الرحلة ، ت . عزرا حداد ، ط. بغداد ١٩٤٣م،ص٩٠

(٨٥) Albert d'Aix , p. 632

(٨٦) Runciman , Vol . II, p. 91.
فايد حماد عاشور ، جهاد المسلمين في الحروب الصليبية، ط. بيروت ١٩٨٥م ص.١٣٥

(٨٧) Runciman , Vol. II, p.

(٨٨) ابن القلانسي ، المصدر السابق ، ص. ٢٦، المقريزي ، اتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء جـ٣ ، تحقيق محمد حلمي أحمد ، ط. القاهرة ١٩٧٣م .ص٤٣، أسامة زكي زيد ، صيدا ودورها في الصراع الصليبي الإسلامي ، ط. الإسكندرية ١٩٨١م،ص٨٧ السيد عبد العزيز سالم والعبادي ،

تاريخ البحرية الإسلامية في مصر والشام ،ط. بيروت ١٩٨١م،ص١١٢ .

(٨٩) ابن القلانسي ، المصدر السابق ، ص٢٦ .

(٩٠)عنه انظر : Fulcher of Charres , p.195 .
William of Tyre Vol. II, p. 478

ابن القلانسي، المصدر السابق ، ص٢٨٨-ص٢٨٩، السيد عبد العزيز سالم ، طرابلس الشام في التاريخ الإسلامي ،ط. الإسكندريـــة ١٩٦٦م ، ص١٤٦، عمرعبد السلام تدمري ، تاريخ طرابلس السياسي والحضاري عبر العصور ، عصر الصراع العربي – البيزنطي والحروب الصليبية ،جـــ١ ، ط. بيروت ١٩٨٤م . ص٤٨٦ .

Runciman , Vol III , pp. 65-70

(٩١) Fulcher of Chartres , p . 195

(٩٢) Albert d'Aix, p. 678

(٩٣) ابن القلانسي ، المصدر السابق ،ص٢٧٣، ابن الأثير ،المصدر السابق ، ص ٤٧٩، السيد عبد العزيز سالم ، تاريـــخ مدينـــة صيدا في العصر الإسلامي ص١٠٠

(٩٤) Albert d'Aix , p . 678

(٩٥) Ibid , p . 678 .

(٩٦) Fulcher of Chartres , p.200 .

والجدير بالذكر أن أحمد الحفناوي قد اعتقد أنه كان هناك أسطول صليبي آخـــر بجوار أسطول النرويجيين ، إذ يقول ما نصـــه " أصـــدر (أي بلدويـن الأول) أوامره للأسطول الصليبي الذي كان في مياه يافـــا بالاستعـــداد للاشتـــراك فـــي إخضاع صيدا .. وفي موضع يقول عن فعاليات الصليبيين ضد صيدا ".. فضلا عن ضربات الأسطول الصليبي والنروجي الموجهة ضد المدينة " .

أنظر :أحمد الحفناوي ،" الصراع من أجل صيدا فـــي العصـــر الوســيط " ، المنهل السنة (٥٠) ،م (٤٦) صفر ١٤٠٤هـ/نوفمبر ١٩٨٣/،ص ٧١ .

والواقع أنه لم يكن هناك سوى أسطــول بحري واحد ألا وهــو الأسطــــول النرويجي الذي كان مستقرا في يافا ولم تشر المصادر التاريخية الصليبية أدنـــى إشارة إلى وجود أي أسطــول غير أسطــول النرويجييـــن ، والمرجح أنــــه في حالـــة القــول بأن المملكة الصليبية كان بها أسطولها البحري الخاص بـــها حينذاك،لما ألحت على الملك النرويجي سيجورد بالبقاء من أجل الإســـهام فـــي العمليات الحربية ضد صيدا .

(٩٧) Albert dAix , p. 679 .

(٩٨) عن الأسطول الفاطمي في صور وعجزه من تقديم المساعدة لصيدا انظر :
Fulcher of chartres .200

ابن القلانسي ، المصدر السابق،ص٣٧٣،ابن الأثير،المصدر السابق،ص٤٧٩

Gabrieli, Arab Historians of the Crusades,Trans . byCostello , London , 1975, p.28 .

سعيد برجاوي ، المرجع السابق ، ص٢١٣، ص٢١٤.

ويقرر أ.د السيد عبد العزيز سالم ما نصه ؛ ".. ومع ذلك فقد حاولت هذه السفن (يقصد السفن الفاطمية) إختراق الحصار النرويجي ، ولكنها عجزت عن إمداد أهل صيدا بما كانوا يحتاجون إليه من سلاح وأقوات ومقاتله " .

السيد عبد العزيز سالم ، تاريخ مدينة صيدا ، ص ١٠١.

بيد أنني اختلفت مع تصوره على اعتبار ما أكدته المصادر التاريخية العربية والصليبية المعاصرة من عدم مواجهة الأسطول الفاطمي في صور للأسطول النرويجي .

(٩٩) السيد عبد العزيز سالم والعبادي ، المرجع السابق ، ١١٦ .

(١٠٠) ابن تغري بردي ، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ، جـ٥، ط. القاهرة ب. ت، ص١٧٨ .

وعن وزارة الأفضل أنظر :

محمد حمدي المناوي ، الوزارة والوزراء في العصر الفاطمي ، ط.القاهرة ١٩٧٠م،ص٢٧١ .

(١٠١) Heyd , Histoire de Commerce de levant au Moyen ages , Vol. I, leipzeg 1936, p. 142

(١٠٢) أسامة زكي زيد ، المرجع السابق ،ص٩٤.

(١٠٣) Runciman Vol. II , p92

(١٠٤) السيد عبد العزيز سالم ، تاريخ مدينة صيدا ،ص١٠٢، حاشية(٣).

(١٠٥) William of Tyre ,Vol. I, p. 488

(١٠٦) عن دور موارنة لبنان في دعم الحركة الصليبية انظر :

تجدر الإشارة إلى أن يعقوب الفيتري ترجم إلى العربية بعنوان : تاريخ بيت المقدس ،ترجمة سعيد البيشاوي ، ط ١ ، عمان " دار الشروق " ١٩٩٨م .

William of Tyre , Vol. II, p. 458, Jacques de Vitry ,p.79 , Salibi , The Maronites of Lebanon under The Frankish and Mameluke role " , R.E.A., T.IV, Anne 1957, p.289, Mayer The Crusades , Trans. by Gillingham , Oxford 1972, p.276.

لويس الحاج ، الجيش الفرنسي ،ط. بيروت ١٩٧٥، ص٤٨

(١٠٧) ويلاحظ أن لدينا وصفا لذلك البرج الذي جلبه الصليبيون لإخضاع صيدا من جانب ابن القلانسي المعاصر لتلك الأحداث إذ يقول " حملوا البرج وزحفوا به إليها ، وهو ملبس يحطب الكرم ، والبسط،وجلود البقر الطرية ليمنع من الحجارة ،والنفط ، وكانوا إذا احكموه على هذه الصورة ، نقلوه على بكر تركب تحته في عدة أيام متفرقة ". عن ذلك أنظر :

ابن القلانسي ، المصدر السابق ، ص٢٧٣-ص٢٧٤ .

(١٠٨) Albert d'Aix , p. 78

وعلى الرغم من تلك المقاومة الباسلة من جانب أهل صيدا والتي إعترفت بها المصادر الفرنجية الصليبية المعادية نجد أن أمين معلوف يذكر ما نصه " أن

أهلها لم يكونوا راغبين في القتال " على نحـــو يجعلنا لا نقبل تصوره انظر : أمين معلوف ، الحروب الصليبية كما رآها العرب ص١١٣ .

(١٠٩) ابن القلانسي، المصـــدر السابق ، ص ٢٧٤ أيضا :عباس العصيمي ، الدولة البوريـــة وعلاقتـــها بالصليبييـــن (٤٩٧-٥٤٩هـــ/١١٠٣-١١٥٤م) رسالة ماجستيـــر غيـــر منشورة ، كليـــة العلوم الاجتماعية ، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ،الرياض عام ١٩٨٧مص١٣٦ .

(١١٠) Fulcher of Chartres, p. 200

(١١١) Albert d'Aix , p.678.

(١١٢) Fulcher of Chartres, p.196-197, William of Tyre , Vol.1 ,P.484

ابن القلانسي ، المصدر السابق ،ص٢٦٩،صالح بن علي ن تاريخ بيروت تحقيق لويس شيخو ،ط. بيروت ١٩٢٧م.ص١٧ .

(١١٣) ابن القلانسي ، المصدر السابق،ص٢٧٤ .

(١١٤) نفسه ، نفس المصدر والصفحة .

وعن سقوط صيدا في قبضة القوات الصليبية انظر :

أبو الفداء ، المختصر في أخبار البشر ،جـــ٢،ط.بيروت ب-ت،ص٢٢٤، ابـــن كثير البداية والنهاية ،جـــ١٢،ط.بيروت ب-ت،ص١٧٢، الذهبي ، العبر فـــي خبر من غبر ، جـــ٢، ط.بـــيروت ١٩٨٥م،ص٣٨٥، ابـــن خلـــدون ، العـــبر وديوان المبتدأ والخبر ، جـــــ٥، ط. بـــيروت ١٩٧١م،ص١٩٣، الحريـــري ، الإعلام والتبيين في خروج الفرنج الملاعين على ديار المسلمين ، تحقيق مـــهدي رزق الله ط. الإسكندرية ١٩٨٤م.ص١٨.

(١١٥)ابن الأثير ،المصدر السابق ، جـــ١٠،ص٤٨٠ .

(١١٦)ابن القلانسي ، المصدر السابق ،ص٢٧٤، ابن الأثير ، ا لمصـــــدر الســـابق ، جـــ١٠، ص٤٨٠ .

Gabrieli.p. 28, Runciman , Vol. II, p.93

(١١٧)مصطفى الكناني ، المرجع السابق ، ص٢٤٢-ص٢٤٣، عباس العصيمي ، المرجع السابق ، ص١٣٦.

ويلاحظ أن عبد القادر اليوسف أغفل تماما دور النرويجيين في التوصل إلى تلك النتيجة بالنسبة لمملكة بيت المقدس الصليبية ، إذ ذكر ما نصه " استولى بلدوين الأول بمساعدة الأساطيل البيزية والجنوية ، والفينسية في الفترة من ١١٠٠- ١١١٨م على كافة مدن الساحل ما عدا صور وعسقلان ".

عن ذلك انظر :

عبد القادر اليوسف ، علاقات بين الشرق والغرب بين القرنين الحادي عشر والخامس عشر م.ط.صيدا ١٩٦٩م.ص٨٠

وذات الأمر وجدناه لدى ستيفنس الذي أشار إلى مساعدة الجنوية والبنادقة وأغفل أي دور للنرويجيين إذ ذكر أنه (أي بلدوين الأول) بفضل مساعدة الجنوية والبنادقة تمكن من إخضاع مدن الساحل الهامة مثل أرسوف ، وقيسارية ، وعكا ، وصيدا ، وبيروت،انظر :

Stevenson , p. 304 .

(١١٨) Runciman ,Vol. II, p.93 .

ويوستاش جارنيه Eustache Garnier هو فارس من هاربيل Harbel أو Herbelleوهي قرية وقعت بالقرب من تيروان Therouaneالواقعة بدورها في شمال غرب فرنسا ، وقد رافق جيش جودفري البيوني وورد إسمه في الأشعار اللاتينية التي مجدت الذين اشتركوا في أحداث الحملة الصليبية الأولى وهناك من يقرر أن أول إشارة وردت عنه كانت من خلال اشتراكه في معركة ضد المسلمين عام ١١٠٥م/٤٩٨هـ وذلك عندما رافق الملك الصليبي بلدوين الأول في معركة الرملة الثالثة عام ١١٠٥م/٤٩٨هـ ثم تردد اسمه مرة ثانية خلال أحداث حصار الفرنجة الصليبيين لمدينة طرابلس التي استولوا عليها عام

١١٠٩م/٥٠٢هـ كما أنه ورد خلال رد الفرنجة الصليبيين على الهجوم البري الذي قامت به حامية عسقلان عام ١١١٠م/٥٠٤هـ

عن يوستاش جارنييه انظر :

Fulcher of Chartres, p. 240 , p. 246, Albert d'Aix ,p.621 William of Tyre ,Vol. I,p484.Runciman , Vol. 11, p. 68, p. 85, p.95.

حسن عبد الوهاب حسين ، قيسارية في العصر الإسلامي ،ط. الإسكندرية ١٩٩٠م. ص٧٦،ص٩٤،حاشية (٨٩)،ص١٢٨،حاشية (٦) ،حسين مؤنس،نور الدين محمود سيرة مجاهد صادق ،ط.القاهرة ١٩٥٩م.ص١١١.

والجدير بالذكر أن الزميل الباحث الدكتور حسن عبد الوهاب حسين قد قرر أن أول إسهام ليوستاش جارنيه عقب حصوله على قيسارية هو المشاركة في حصار القوات الصليبية لصيدا الفاطمية والاستيلاء عليها ، وذلك في ديسمبر ١١١٠م/جمادى الأولى ٥٠٤هـ ، ويشير إلى أنه على الرغم من انه لم ترد في المصادر الصليبية طبيعة الدور الذي لعبه في أحداث ذلك الحصار إلا أن حصوله على صيدا في أعقاب سقوطها كبارونية يوضح أنه أسهم بدور فعال في ذلك الحصار .

عن ذلك انظر : حسين عبد الوهاب حسين : المرجع السابق :ص١٠١

والواقع أننا لا يمكننا تأكيد ما ذهب إليه الباحث على اعتبار أن المصادر الصليبية ذاتها لم تكشف النقاب عن ذلك الدور الذي أشار إليه، ومن المتصور أنه في حالة قيام يوستاش جارنييه بدور فعال في ذلك الحصار لأشارت إلى ذلك المصادر التاريخية الصليبية بوضوح كامل مثلما فعلت في أدواره الأخرى خلال تلك المرحلة ، وإغفالها ذكره في أحداث الحصار دليل وضاح على انتفاء ذلك الدور ، إذ أنها – كما تكشف عنه صفحات هذا البحث – توضح أدوار كل من الملك الصليبي بلدوين الأول ، والملك النرويجي سيجورد ثم برتراند أوف تولوز كونت طرابلس ،من ناحية أخرى فالملاحظ أن يوستاش جارنييه لم

يشارك في الإجتماع الذي عقد في مدينة بيت المقدس قبيل مباشرة حصار صيدا وهو الإجتماع الذي شارك فيه القادة الصليبيون الثلاثة المشار إليـــهم، وغيابــه يدعم التصور بعدم مشاركته الحربية في حصار صيدا .

(١١٩) Runciman , Vol, II, p.93

(١٢٠) أسامة زكي زيد ،المرجع السابق ،ص٩٩ .

(١٢١) The Saga of Sigurd , p. 57

(١٢٢) William of Tyre , Vol. I , p.488

(١٢٣) The Saga of Sigurd , p. 57

(١٢٤) أحمد الحفناوي ، المرجع السابق ، ص٦٩ .

(١٢٥) The Saga of Sigurd, p. 58

(١٢٦) Wight , The geographical Lote, p.111

(١٢٧) The Saga of Sigurd , p. 58

(١٢٨) Ibid , p . 58 .

(١٢٩) Fulcher of Chartres, p.199, note (2)

(١٣٠) William of Tyre , Vol . I, p.488,note (60)

ومن الملاحظ أن أهم أعمال سيجورد في النرويج بعد عودتـــه إلـــى بـــلاده وتوليـــه الحكم منفردا بعد وفاة أخيه ايستين ، بنـــاء عدد من الكاتدرائيات نجـــد منها في ستافنجر Stavanger؛ حيث أســـس هناك أسسقفية على نحو ســـاهم في نمو تلـــك المدينـــة عمرانيا بشكـــل كبير،وهناك من يشير إلـــى انـــه فـــي أعوام عمره الأخيره صار مفتقدا لقواه العقلية

عن ذلك انظر :

Fulcher of Chartres, p. 199, note (2).

والجدير بالذكر هنا ؛ أن لدينا بعض المعلومات عما يظن أنه جمجمـــة راس سيجورد ، فمـــن المعروف أنه في عام ١٦٣٦م، وجدت جمجمة إنســـانية فـــي أطلال حوائط كنيسة القديس هالفارد St. Hallvard في أوسلو Oslo ،وقـــد

اعتقد البعض أنها كانت تخص الملك سيجورد ، وكان إسم ذلك الملــك مكتوبــا على حائط حجري في موقع الجمجمة ن وفي عـــام ١٣٧٩م تـــم جلبــها إلـــى كوبنهاجن Copenhagen،حيث وضعت ضمن المجموعة الملكية للفن ، وبعـد قرن من الزمان تم منحها للمتحف الوطني الدنماركي،وفي عام ١٨٦٧م أعـــاد ذلك المعهد الجمجمة ومعها بعض المتعلقات القديمة الأخرى إلى أوسلــو حيــث صارت هناك ضمن المتحف الجامعي للمتعلقـــات القديمـــة الوطنيـــة وتجــدر الإشارة إلى أن هوية الجمجمة بوصفها لسيجورد الصليبي قد خضعت لبعــــض الشك ، وتظهرها التحقيقات الأنثربولوجية أنها ترجع إلـــى شـــخص يـــتراوح عمره بين الأربعين والخامسة والأربعين وهي ذات المرحلة العمرية التي كـانت لسيجورد(١٠٩٠-١١٣٠).

عن ذلك انظر البحث الأثري الذي قام به الباحث النرويجي بيرهولك ، والـــذي نشر في مجلة فيكنج عدد (٤٦) ، الصادر في أوسلو عام ١٩٨٢م ، الصفحـــات من ١١٢-١٢٣ وهي بالنرويجية :

Pet Holck , " Sigurd Jorsa Lfarers Hodeskalle " , Viking, 46,Oslo 1982, pp.112-113 .

الفصل الثاني

وليم الصوري مؤرخا للقلاع الجنوبية لمملكة بيت المقدس الصليبية في المرحلة من (١١٣٧-١١٥٠م/٥٣٢-٥٤٥هـ)

يتصدى هذا الفصل لدراسة المؤرخ الصليبي وليم الصـــوري Williamus Tyranus وتناوله للعمائر الحربية الصليبية في جنوب مملكة بيت المقـــدس خــلال المرحلة من ١١٣٧-١١٥٠م/٥٣٢-٥٤٥هـ وبالتالي يتعرض لأحـــد الموضوعــات الهامة في دراسة تاريخ الوجود الفرنجي الصليبي في بلاد الشام خلال القـــرن الثـــاني عشر م/السادس هـ .

وتتمثل أهمية الموضوع من خلال عدة إعتبارات ؛ فوليم الصوري يعد أبـــرز المؤرخين الصليبيين خلال القرن المذكور ، ويمثل مرحلة ناضجة من مراحل الكتابـــة التاريخية الأوروبية في العصور الوسطى . ولذا فمن الضرورة بمكان التعرف علـــى رؤية ذلك المؤرخ الصليبي البارز لعنصري الجغرافيا من ناحية ،والعمارة من ناحيـــة أخرى ، ودورها في الصراع الصليبي ـ الإسلامي ؛ وهاتان الزاويتان ـ في تقديـري كانتا من أهم الزوايا التي أثرت كتابته التاريخية فيما يتصل بالصراع بين الجانبين .

ومن زاوية أخرى ؛ فان ممكن أهمية الموضوع أن المرحلة موضوع البحـــث كان الوجود الصليبي خلالها في صراع مع الزمن من أجل إخضـــاع بـــاقي الســـاحل الشامي في صورة مدينة عسقلان Ascalonوذلك لتدعيم الارتباط بالقارة الأوروبيـــة وخنق القوى الإسلامية الشامية ، وجعلها قوى برية حبيسة ، وحتى يمكن التحكم فـــي اقتصاديات المنطقة ، وجعلها في قبضة الصليبيـــن ، وقـــد أدت القـــلاع والحصـــون الصليبية دورا فعالا من أجل تمكين الغزاة من السادة على الأرض ، وتثبيت أقدامـــهم فيها ، ومن ثم برزت أهمية دراستها على ضوء ما كتبه مؤرخ المملكة الصليبية الكبير

ويتجه البحث إلى دراسة ذلك المؤرخ الصليبي وإلقاء الضوء علـــى حياتـــه ، ومؤلفاته التاريخية ، وأسلوبه في الكتابة التاريخية ، ثم يتعـــرض لدوافـــع الصليبييـــن لإقامة القلاع في بلاد الشام كذلك يتعرض لتناول ذلك المؤرخ للقلاع الجنوبية لمملكـــة بيت المقدس الصليبية خلال المرحلة من ١١٣٧-١١٥٠م/٥٣٢-٥٤٥هـ .

أما عن خط الموضوع من الدراسة ، ففـــي تصـــوري المتواضـــع أن وليـــم الصوري نفسه لم يكتب عنه باللغة العربية سوى الفصل الذي كتبه الراحل أ.د. الســـيد

الباز العريني وخصصه لذلك المؤرخ ضمن كتابه مؤرخو الحروب الصليبية الصادر في القاهرة عام ١٩٦٢م، ثم الدراسة القيمة التي كتبها الراحل أ.د عمر كمال توفيق وصدرت في الإسكندرية عام ١٩٦٧م، ثم هناك تقديم الترجمة العربية لتاريخه التي كتبها أ.د حسن حبشي وصدرت في القاهرة عام ١٩٩١م ، وذلك على الرغم من تعدد الدراسات التي تناولت ذلك المؤرخ باللغات الأوروبية الحديثة ، أما القلاع الصليبية ، فهناك الدراسات التي قام بها الراحل د. عبد الرحمن زكي وكذلك تناولها العام ضمن دراسات أكاديمية كتبها باحثون عرب ، وهكذا فان ذلك الموضوع يتخصص في ذلك المؤرخ ، وفي تناوله للقلاع الصليبية في الجزء الجنوبي من المملكة الصليبية ، وخلال تلك السنوات القليلة من ١١٣٧-١١٥٠م/٥٣٢-٥٤٥هـ.

ولا نغفل حقيقة هامة ، ألا وهي أنه خلال العقود الماضية أمكن للباحثين تسليط الأضواء الكاشفة على سيرة وكتابة ذلك المؤرخ الصليبي ، على نحو أفاد بالضرورة في بحث تعرضها للقلاع الصليبية خاصة خلال تلك المنطقة ، والمرحلة الزمنية على نحو خاص ، وذلك بفضل العثور على جانب من كتاباته كان مفقودا وعثر عليه حديثا نسبيا .

ومع ذلك ، تواجه الباحث في الموضوع عدة صعاب منها ؛ قلة الإشارات المصدرية عن القلاع الصليبية في تلك المنطقة في المصادر التاريخية الأخرى ، بالإضافة إلى أن الأمر يحتاج إلى تحليل كل ما ورد بشأنها في ما ألفه ذلك المؤرخ الصليبي عن الموضوع ، ومقارنة ذلك ــ قدر الإمكان بالمصادر التاريخية العربية المعاصرة . كذلك من أجل محاولة الاقتراب من رؤية ذلك المؤرخ البارز لقضايا الصراع الصليبي ــ الإسلامي حينذاك .

والوقع أن هناك من يرى أن محاولة دراسة حياة المؤرخ وليم الصوري لا يعد أمرا ميسورا وقد تطلب ذلك جهود عدد من الباحثين منذ القرن السادس عشر م/ العاشر هـ ــ وممكن الصعوبة في الأمر النقص في المعلومات التاريخية ، الأمر الذي

دفع البعض إلى الإعتماد على الإشارات المحدودة التي وردت في تاريخ وليم الصوري وتناولته بصورة شخصية (١) .

ومع ذلك ، نجد أنه في عام ١٢٦٢م، اكتشف الأستاذ ر.بي.سي هايجنز R.B.C.Huygensمن جامعة ليدن Leidenالفصل المفقود من تاريخ وليم الصوري ، وهو الكتاب التاسع عشر Book Xix (٢) والذي تحدث فيه وليم عن عمله المبكر ، ودراساته في الغرب الأوربي (٣) ، وبفضل ذلك الاكتشاف صار الباحثون يعرفون المزيد عن الرجل وأطوار حياته المختلفة .

وقد ولد وليم الصوري في مدينة بيت المقدس عام ١١٣٠م/٥٢٤هـ بعد مرور ثلاثة عقود من سقوطها في قبضة الصليبيين عام ١٠٩٩م/٤٩٢هـ ، وانحدر من أسرة فرنسية متوسطة اشترك رجالها في أحداث الحملة الصليبية الأولى (٤) ، وقد درس وليم الصوري في بداية حياته في أحد المعاهد الدينية التي كانت موجودة في تلك المدينة المقدسة (٥) .

ويلاحظ أنه أمضى نحو عشرين عاما ، وخلال المرحلة الواقعة بين عامي ١١٤٥م/٥٣٠هـ ١١٦٥م/٥٦٠هـ في الدراسة في الغرب الأوربي (٦) ، وفي هذا الصدد نجد أن البعض قد تصور أن دراسته هناك كانت قاصرة على القانون (٧) ، بيد أن ذلك الاتجاه لا يجد سندا من الواقع التاريخي بشأن ذلك المؤرخ الصليبي ؛ إذ أننا نعرف انه تنقل بين باريس Paris،وشارتر Chrtres، وأورليان Orleansفي فرنسا، وبولوينا Poloniaفي إيطاليا (٨) ، ونعرف أنه درس على أيدي كبار أساتذة الفنون الحرة ، والفلسفة ، واللاهوت ، والقانون الكنسي ، والمدني (٩) ، ومن المستبعد تماما أن يمضي كل تلك الأعوام الطويلة ، وهو يدرس القانون فقط ، ومن جهة أخرى ، ففي حالة اقتصار دراسته على القانون لوجدناه يرتبط ببولونيا بإيطاليا فقط ، وهي التي اشتهرت بدراسة القانون ، بيد أن تواجده في فرنسا للدراسة يثبت بجلاء تنوع العلوم ، والفنون التي أقبل على النهل منها .

والوقع أننا ينبغي أن نلاحظ أنه في ذلك الوقت كان الغرب الأوربي يعيش نهضة علمية كبرى ، ألا وهي نهضة القرن الثاني عشر م/السادس هـ Renaisanse of the twelfth centuryوالتي ازدهرت فيها كافة العلوم ، والمعارف ، وهكذا تكون المدة الطويلة التي أمضاها وليم الصوري هناك عاملا على إثراء تكوينه الفكري بصورة كبيرة ، وهذه زاوية لا يمكن إغفالها عند دراسة عقلية ذلك المؤرخ الصليبي البارز .

وهكذا ، نجد أنه درس العديد من العلوم والمعارف حينذاك، وجاءت كتابته التاريخية نفسها لتعكس لنا أننا أمام مؤرخ متعدد التكوين العقلي على نحو ينفي تماما فكرة اقتصار دراسته على العلوم القانونية .

وقد استطاع وليم الصوري أن يجيد عددا من اللغات مثل اللاتينية ، واليونانية بالإضافة إلى معرفته بالعربية ، والعبرية ، والفارسية (١١) ، على نحو أدى ــ بلا ريب ــ إلى إثراء كتابته التاريخية من خلال تعدد لغات مصادره .

وبعد الاغتراب طلبا للعلم والمعرفة ، عاد أدراجه إلى مملكة بيت المقدس الصليبية في عام ١١٦٥م/٥٦٠هـ ، ومثل غيره من المتعلمين في ذلك العصر نجده قد عمل كرجل من رجال الكنيسة ، وسرعان ما وجد مكانا كنسيا في كاتدرائيات عكا Acre، وصور، ودخل في خدمة ملك بيت المقدس حينذاك وهو الملك عموري الأول Amary 1(١١٦٣-١١٧٤م/٥٥٨-٥٦٩هـ) وفي ذلك الحين كان أمرا معتادا في الغرب الأوربي ــ كما في الشرق اللاتيني Latin Orientأن يتخذ الملوك رهبانا من أجل مساعدتهم في إدارة أمور الحكم (١٢) ، وتوطدت علاقته بالملك المذكور ، ونجد أنه خلال الأعوام ١١٧٠-١١٧٤م/٥٦٥-٥٦٩هـ ، عمل على تربيته الملك المقبل بلدوين الرابع Baldwin IV ومن بعد ذلك وفي عام ١١٧٥م/٥٧٠هـ تقلد وليم الصوري منصبا كنسيا رفيعا ؛ إذ صار رئيسا لأساقفة صور Archishop of Tyre:(١٣) .

وهناك من يرى أن عام ١١٧٦م/٥٧١هـ مثل مرحلة جديدة في حياة وليم الصوري ، أن اسهمه فيها أخذ في الارتفاع وكان ذلك على أثر بداية ارتباطه بخدمة عموري (١٤) ، بيد أن هذا التصور من الممكن عدم الأخذ به ؛ إذ أن ذلك الملك الصليبي نفسه قد توفي عام١١٧٤م/٥٦٩هـ ، وبديهي أن إرتباط وليم الصوري به كان قبل العام المذكور بعدة أعوام .

ومن ناحية أخرى ، نجد أن ذلك المؤرخ قام بدور دبلوماسي هام ؛ إذ أنه قام في عام ١١٦٨م/٥٦٢هـ بسفارة دبلوماسية إلى الإمبراطورية الرومانية المتأخرة (البيزنطية) في عهد الإمبراطور مانويل كومنين manuel Comnenus(١١٤٥-١١٨٠م/٥٤٠-٥٧٦هـ) (١٥).

زد على ذلك إشتراكه على مستوى عال في النشاط الكنسي الأوربي ،من ذلك أنه حضر في عام ١١٧٩م/٥٧٥هـ ، مجمع اللاتيران الثالث The Third Lateran الذي إحتوى على حشد من الأساقفة الكاثوليك من كافة أنحاء أوربا وتم عقده في روما (١٦) .

ومنطقي أن تكون لوليم الصوري طموحات واسعة ، وقد ملك عليه فؤاده أمل الوصول إلى بطريركية بيت المقدس ، إلا أن هرقل رئيس أساقفة قيسارية Caesaria تمكن من الحصول عليها (١٧) .

بقي أن نذكر جانبا من الجوانب الشخصية المتصلة بذلك المؤرخ ؛ إذ أننا نعرف أن أحداثا محزنة لحقت به ، من ذلك وفاة والدته عام ١١٨١م/٥٧٦هـ ، كذلك مقتل أخيه رالف Ralphفي إحدى المعارك مع المسلمين (١٨) .

وقد مات وليم الصوري عام ١١٨٤م/٥٧٩هـ ، وقد حرمه موته المبكر من الفوز بالترقية التي كان يتحرق شوقا إليها (١٩) ، وهي الخاصة بمنصب بطريرك بيت المقدس ، وهناك من يقرر أنه مات عام ١١٩٣م/٦٨٩هـ ، بيد أن ذلك التصور أمر غير منطقي فالمعروف أن تاريخه نفسه ينتهي فيما قبل حطين عام ١١٨٧م/٥٨٣هـ (٢٠) ، وفي حالة الافتراض أنه عمر حتى ذلك الوقت لامتدت

أحداث تاريخه إلى أبعد من المدى الذي بلغه ، ولتناول أحداث سقوط المملكة الصليبية، ولربما نال ما طمح إليه من مناصب ، بيد أن ذلك أجمعه لم يحدث أصلا ، وعلى ذلك ليس من اليسير قبول تحديد عام ١١٩٣م/٥٨٩هـ على أنه عام وفاة ذلك المؤرخ الصليبي .

أما مؤلفات وليم الصوري التاريخية ، فنعرف أن الملك عموري الأول ، كان مهتما بتسجيل أحداث عهده وقد عنى بتوسيع حدود مملكة بيت المقدس الصليبية تجاه مصر مستغلا في ذلك ما كانت عليه الدولة الفاطمية في عهدها الثاني من ضعف شديد ، وثراء عريض ،ولما كانت مجهوداته في هذا الشأن أهم عمل قام به الصليبيون منذ استيلائهم على الساحل الشامي ، فقد طلب من وليم الصوري القيام بكتابة تلك الأحداث وغيرها تخليدا لها .

وقد قام وليم بتأليف كتاب أسماه " أعمال الملك عمورى "Gesta Amalrici Regis (٢١)، كما ألف كتابا آخر بعنوان " أعمال ملوك بيت المقدس " Gesta Hierosolymitanorum أكمل ما بدأه المؤرخون الصليبيون السابقون وبدأه بأحداث عام ١١٢٧م/٥٢١هـ وهي السنة التي إنتهى فيها تاريخ فوشيه الشارتري Fulcher Chartres(٢٢) ، مؤلف كتاب تاريخ الحملة على بيت المقدس Gesta Francorum Jherusalem Peregrinatium ، ويضاف الى ذلك ، نجد انه ألف كتاب أعمال الأمراء الشرقيين (٢٣) Gesta Orientalium Principum ، بيد أنه مفقود ، وعلى الرغم من ذلك فان المؤرخ وليم الطرابلسي William of Tripolisقد أفاد منه ، ونقل عنه بعض النقول عندما ألف كتابه " بحث في حالة العرب " Actatus de statu Saracenorum (٢٤) .

ويلاحظ أن وليم الصوري قام في عام ١١٨٢م/٥٧٣هـ ، بوضع كتاب أعمال ملوك بيت المقدس ، وكذلك كتاب أعمال الملك عمورى في كتاب واحد بعنوان "تاريخ الأعمال التي جرت فيما وراء البحر "(٢٥) Historia rerum inpartibus transmarinis gestarum .

والواقع أن هذا الكتاب الأخير قد نظر إليه أحد الباحثين على إعتبار أنه العمل الرئيسي من جانب الكتابة التاريخية في العصور الوسطى (٢٦) ،كما أنه احتل مركزا أساسيا بين المصادر اللاتينية التي وصلت إلينا عن تاريخ الحروب الصليبية ، فهو المصدر الرئيسي عن المرحلة الممتدة من عام ١١٢٧م/٥٢١هـ حتى عام ١١٨٤م/ ٥٨٠هـ ، بالإضافة إلى أهميته في معالجة المرحلة السابقة على عام ١١٢٧م/٥٢١هـ ، وقد جعله ذلك الكتاب في نظر البعض من أعظم مؤرخي العصور الوسطى (٢٩) ، واعتبره باحث آخر مؤرخ يتفوق على كافة زملائه من المؤرخين المعاصرين لتلك العصور (٢٩) .

ومن الممكن تقسيم الكتاب الأخير الذي ألفه وليم الصوري ومصادره إلى عدة أقسام ؛ القسم الأول ، وهو الذي تناول فيه المرحلة الواقعة من فتح المسلمين لبلاد الشام عام ٦٤٠م/١٩هـ حتى عام ١١٢٧م/٥٢١هـ وفيها اعتمد على المصادر المعاصرة وكذلك شهود العيان ، وحتى أولئك الذين كتبوا مؤلفاتهم في الغرب الأوربي مثل فوشيه الشارتري ، ورايموند دي أجليير Raymond d'Aguillier مؤلف كتاب تاريخ الفرنج غزاة بيت المقدس Historia Francorum qui ceperunt iherusalem والبرت ديكس Albert Von Achen مؤلف كتاب تاريخ بيت المقدس Historiae Hierosolymitana ، أما القسم الثاني فيمتد من عام ١١٢٨م/٥٢٢هـ إلى عام ١١٦٢م/٥٥٧هـ وفيها اعتمد على الأرشيفات ، والوثائق الملكية الرسمية ، وكذلك روايات شهود العيان ، أما القسم الثالث فيمثل في المرحلة الواقعة من عودته حتى عام ١١٨٤م/٥٨٠هـ وفيها نجد كتابته على جانب كبير من الإتقان ، وساعده على ذلك اتصاله بمراكز صنع القرار السياسي الصليبي ، وإجادته لعدة لغات (٣٠) ، ناهيك عن موهبته الشخصية وإفادته بما تعلمه في الغرب الأوربي ؛ وهي التي لعبت دورا حاسما في تكوينه كمؤرخ متميز .

وبصفة عامة يمتاز كتابه بأنه يعبر عن وجهتي النظر الدينية ، والدنيوية فيما يتصل بالأحداث التي تعرض لها ، وذلك بحكم المناصب التي تولاها ذلك المؤرخ (٣١) .

ومن الممكن القول ويحق أن وليم الصوري جمع مادة كتابه بعناية ، واستقى معلوماته على أوسع نطاق (٣٢) ، وكل ذلك كتبه من خلال أسلوب تغلب عليه الصفة العلمية ، وكذلك التحليل المنطقي (٣٣) ، ومن خلال روح موضوعية ــ مع عدم إغفال ميوله الصليبية بالطبع ــ حتى في حالة غضبه من بعض التصرفات غير المسئولة (٣٤) ، كما أنه حرص الحرص أجمعه على عدم نقل الروايات ذات البعد الأسطوري أو التي يغلب عليها طابع المبالغة (٣٥) ، والدليل على روح الموضوعية لديه أنه أحيانا إمتدح قادة المسلمين من ذلك إشادته بنور الدين محمود ووصفه له بأنه أمير عادل ، وشجاع ، ومتدين(٣٦) ، وكذلك تقديره لصلاح الدين الأيوبي (٣٧) ، أما تجنب البعد الأسطوري ، والمبالغات فهو أمر يتضح لنا بجلاء عند متابعة روايات كتابه على الرغم من أن ذلك الجانب فاضت به المصادر التاريخية الأوربية من مرحلة العصور الوسطى .

وترى إحدى الباحثات ما نصه " ليس كتاب وليم الصوري تاريخ الأعمال التي تمت فيها وراء البحر عملا أصيلا في صياغته مثل كتاب أعمال الفرنجة الفذ الفريد" (٣٨) .

وفي تقديري أن مثل ذلك التصور يحوي إجحافا بالمؤرخ الصليبي وليم الصوري نظرا لإختلاف نوعية كل من المؤرخين ؛ فالمؤرخ المجهول Anonymous صاحب كتاب أعمال الفرنجة وحجاج بيت المقدس Gesta Francorrum et aliorum Hietrosolymitanotum كان أحد الرجال المحاربين بين الذين شاركوا في أحداث الحملة الصليبية الأولى ، وكان تحت قيادة القائد النورماني بوهيمند Bohemond (٣٩) ولم يكن له ذلك التكوين العلمي الذي كان لمؤرخ مملكة بيت المقدس الصليبية وليم الصوري .

زد على ذلك ؛ أن المؤرخ المجهول أرخ لمرحلة زمنية قصيرة لا تتجاوز الأربع سنوات ١٠٩٥م/٤٨٩هـ إلى ١٠٩٩م/٤٨٢هـ ، بينما وليم الصوري تناول مرحلة زمنية أكبر بصورة واضحة ــ كما أسلفت الإشارة من قبل ــ خاصة خلال المرحلة الممتدة من عام ١١٢٧م/٥٢١هـ إلى عام ١١٨٤م/٥٨٠هـ .

وهكذا فتصور أعمال الفرنجة على أكثر أصالة من تاريخ الأعمال التي جرت فيما وراء البحر أمر ليس من اليسير قبوله ؛ خاصة إذا ما لاحظنا أن وليم الصوري نفسه كانت لديه " رؤية مستقبلية " على إعتبار أنه توقع إنهيار مملكة بيت المقدس الصليبية من قبل سقوطها على أيدي المسلمين بقيادة صلاح الدين الأيوبي عام ١١٨٧م/٥٨٣هـ في أعقاب حطين ، وتلك الزاوية كانت مفتقدة لدى المؤرخ المجهول على نحو يميز وليم الصوري عليه .

ومن زاوية أخرى ، فان نفس الباحثة في موضوع آخر تذكر عنه أنه بذل جهدا مضنيا في سبيل جمع المعلومات عن الحوادث التي لم يتسن له مشاهدتها (٤٠)، "وكان هذا أفضل ما يمكن عمله " ، على نحو يعكس تقديرها الشخصي له ، ويبدو أن إعجابها بالمؤرخ المجهول جعلها ترى تلك الرؤية التي أجحفت بكتابة وليم الصوري التاريخية .

زد على ذلك ؛ أنه لا أدل على قيمة وأهمية كتاب وليم الصوري ، تاريخ الأعمال من أن هناك من المؤرخين من الذين عاصروا المرحلة التالية لعصر مؤلفه عملوا على كتابة ذيول مكملة له (٤١) ، على نحو يوضح تأثيره على الكتابة التاريخية الأوربية في المرحلة التالية لعصره .

والواقع أنه على الرغم من المكانة الكبيرة التي تعلقها الباحثون على وليم الصوري وتاريخه ، إلا أنه لم يسلم من النقد ، وفي هذا المجال يلاحظ أن النقد الرئيسي الذى يوجه إليه ارتبط بمجال تحديده الزمني للأحداث الذي لم يكن دقيقا أحيانا ، وقد يرد البعض على ذلك بأن معظم الحوليات التي ألفت خلال العصور الوسطى في

أوربا لم تسلم من ذلك المأخذ ، إلا أنه في تاريخ وليم الصوري كان الأمر على نطاق متسع نسبيا (٤٢) .

ويلاحظ أن ذلك الاتجاه نجده لديه عندما تعرض لبعض الأحداث التاريخية التي تجد اتفاقا على تحديدها الزمني لدى المؤرخين الآخرين سواء من المسلمين أو الأوربيين المعاصرين لها (٤٣) .

ومن أمثلة أوجه النقد التي توجه لذلك المؤرخ الصليبي أن تحديداته الزمنية لم تكن دقيقة بالنسبة لتوليه بعض الملوك الصليبيين ، كذلك ما حدث بشأن الحملة الصليبية الثانية التي جرت عام ١١٤٧-١١٤٨م/ ٥٤٢-٥٤٣هـ ويتضح من خلال عرضه أنه لم يكن يعرف الكثير عما حدث فعلا سواء في آسيا الصغرى Asia Minor ، أو في دمشق (٤٤) .

وتقف وراء تلك الناحية لدى وليم الصوري عدة إعتبارات محتملة ، فهناك من الباحثين من يقرر عدم توافر المعلومات لديه في بعض الأحيان (٤٥) كما أن هناك تصور أن بعض التواريخ الواردة في تاريخه من المحتمل أن أحد النساخ قد أضافها في زمن مبكر لخطوط الكتاب (٤٦) ، كما أن هناك من يقرر أن من أسباب ذلك أنه لم يقم بتحويل التقاويم المسيحية ، والهجرية التي جاءت في المصادر المختلفة التي رجع إليها إلى نظام موحد، ويبدو أنه لم يتبين ضرورة التوفيق بين التقاويم المختلفة إلا في مرحلة متأخرة (٤٧) .

أيا كان الأمر ؛ فعلى الرغم من أوجه النقد التي توجه إلى ذلك المؤرخ الصليبي ، إلّا أن ذلك لا يقلل من قيمته كمؤرخ ، وقيمة كتابته التاريخية كأحد أهم المصادر التاريخية عن عصر الصليبيات ، ومن الممكن معالجة الثغرة السابقة من خلال مقارنة النصوص المصدرية للتوصل إلى أرجح التحديات الزمنية للوقائع التاريخية .

وتبقى زاوية أخيرة في الحديث عن وليم الصوري وكتابته التاريخية ، وهي أنه يعد وبحق نموذجا دالا على التقاء الغرب الأوربي بالشرق الإسلامي في العصور

الوسطى ؛ ولا سيما خلال مرحلة الحروب الصليبية ، فقد ذكرنا من قبل كيف أنه تلقى علوم ومعارف الغرب الأوربي خلال نهضة القرن الثاني عشر م/السادس الهجري الإضافة إلى أنه أتقن اللغة العربية وكانت جسرا له لكي يطالع المصادر التاريخية العربية ، وهكذا نجده لا يكتفي بالمصادر التاريخية الأوروبية ، بل أنه يتجه إلى المصادر العربية ، بل استفاد مما ألفه سعيد بن بطريق المشهور بـأوتيخوس (٢٦٣-٣٢٨هـ/٩٤١-١٠٠٦م) مؤلف كتاب التاريخ المجموع على التحقيق والتصديق في معرفة التواريخ من عهد آدم إلى سنى الهجرة (٤٨) . وفي تقديري أن معرفة ذلك المؤرخ الصليبي للغة العربية ، وإطلاعه على المصادر التاريخية المكتوبة بها خير برهان يعكس التغير الذي حدث من خلال التقاء الغرب بالشرق على أرض بلاد الشام

والآن من الضرورة بمكان التصدي ــ في صورة مختصرة ــ لدوافع الصليبيين لتشييد قلاعهم في بلاد الشام ، ومنها ننطلق إلى تناوله رؤية ذلك المؤرخ الصليبي للقلاع الجنوبية لمملكة بيت المقدس خلال المرحلة من ١١٣٧-١١٥٠م/٥٣٢-٥٤٥هـ .

والواقع أنه من الممكن تقسيم دوافع الفرنجة الصليبيين لتشييد قلاعهم إلى مشكلات الموقع الجغرافي للوجود الصليبي في بلاد الشام ، ثم مواجهة نقص العنصر البشري في صراعهم مع أعدائهم المسلمين ، وتأمين طرق الحج المسيحي إلى المحارم المسيحية المقدسة في فلسطين ، وتأمين الأديرة المقامة من جانب الصليبيين ، بالإضافة إلى تمزيق وحدة المسلمين السياسية وإسقاط مدنهم .

أما مشكلات الموقع الجغرافي للوجود الصليبي في بلاد الشام فالملاحظ أن مملكة بيت المقدس الصليبية مثلت موقعا جغرافيا جعلها بصفة مستمرة معرضة لخطر الهجوم من جانب القوى الإسلامية المجاورة ، فالأراضي التي خضعت لسيطرة الصليبيين إمتدت من الشمال إلى الجنوب وشملت إمارة أنطاكية Antioch وإمارة طرابلس Tripolis ، ومملكة بيت المقدس اللاتينية The latin kingdom of jerusalem ، وقد بلغ طولها ما بين أربعمائة وخمسمائة ميل ، وكان هذا الكيان

الطولي الممتد يعاني من نقص عرضه الذي تـراوح بيـن خمسـين وسـبعين ميـلا ،بالإضافة إلى أنه على الجانب الصحراوي لتلك الدولة الساحلية كانت هنـاك مدينتـا دمشق ، وحلب الإسلاميتين القويتين ، ولم يستطع الصليبيون إخضاعهما ، وقد شـكلتا خطرا دائما في مواجهة الوجود الصليبي (٤٩) في المنطقة .

أما نقص العنصر البشري ؛ فنعرف أن الصليبيين عانوا في الأصل من تلـك المشكلة المزمنة التي لازمت تاريخ وجودهم في بلاد الشام ؛ ويلاحظ أنه بعـد نجـاح الحملة الفرنجية الصليبية الأولى في زرع كيانات الصليبيين في المنطقة عاد الكثيرون منهم إلى الغرب الأوربي (٥٠) ، كما أن مقدم الحجاج إلى فلسطين لم يكن ليمثل دعما بشريا مستمرا ومضمونا ، وفي المقابل كانت سهول ووديان أنهار مصر ، والشـام ، والجزيرة تضمن للمسلمين تفوقا عدديا نسبيا بالمقارنـة بأعدائـهم ، وكـان العنصـر البشري في ذلك العصر هو الذي يدير آلة الحرب ويستولي على المواقع الحربية ، ولم تكن الأسلحة قد تطورت بالصورة التي يمكن أن تقلل دور الجانب البشري ، وأهميتـه الحربية .

ولا أدل على إدراك القيادة الصليبية لتلك الزاوية مـن أنـها عملـت علـى مواجهتها . بصورة جزئية ــ من خلال استقدام عناصر المسيحيين الشرقيين من لبنـان ، والرها ،وحوران وغيرها للسكن في بيت المقدس في عهد الملك الصليبـي بلدويـن الأول (٥١) (١١٠٠-١١١٨م/٤٩٣-٥١٢هــ) . ومن جهة أخرى عملوا على تثبيت أقدامهم في المنطقة من خلال إقامة العديد من القلاع والحصون المنيعـة مـن أجـل تعوضهم عن قلة العنصر البشري في مواجهة أعدائهم .

أما تأمين طرق الحج المسيحي ، فنعرف أن المركز الدولـي لمملكـة بيـت المقدس (٥٢) الصليبية كان يرتبط ارتباطا وثيقا برعاية الحجاج القادمين إلى فلسـطين ، من أجل القيام بشعائر الحج ، وقد قدم إلى هناك الآلاف منهم من كافة بقـاع عـالم المسيحية Christendom، وكان تأمينهم خلال رحلتهم إلى تلك البقاع بمثابة خـير دعاية سياسية للقيادة الصليبية في أوربا ، ولذا ؛ عمل الصليبيون على تشييد العديد مـن

القلاع على طرق الحج لتأمين حماية الحجاج من خطر مهاجمة المسلمين (٥٣) ، ونفس الأمر يقال بالنسبة للأديرة التي شيدها الصليبيون إذ عملوا على إقامة قلاع من أجل حماية عناصر الرهبان (٥٤) من خطر العمليات العسكرية في صراع الفرنجة الصليبيين مع المسلمين .

أما تمزيق وحدة المسلمين السياسية وإسقاط مدنهم . فنحن – نعرف أن الصليبيين حرصوا على تجنب وحدة المسلمين بأي ثمن ، وعملوا على التفريق بين مصر ، والشام على نحو خاص من أجل أن تظل كيانات المنطقة تعاني من التفكك والتشرذم وتتعامل كل قوة مع الصليبيين بصورة منفردة على نحو يدعم احتلال الصليبيين للمنطقة ، وقد أقاموا بالفعل عدة قلاع حصينة من أجل تحقيق ذلك الهدف المنشود .

وأخيرا نذكر أن الغزاة الصليبيين عملوا على إقامة القلاع من أجل مساعدتهم على إسقاط المدن الإسلامية التي استعصت عليهم ، ومن أمثلة ذلك قلعة صنجيل التي شيدها ريموند الصنجيلي Raymond de saint Gilles (٥٥) عام ١١٠٤م/٤٩٨هـ من أجل إسقاط مدينة طرابلس التي طال حصارها ، وكذلك تشييد الصليبيين لقلعة اسكندرونة Scandalium(٥٦) من أجل إسقاط مدينة صور Tyre،التي إستعصت عليهم بفضل مناعتها الطبيعية التقليدية ، ومقاومة أهلها للصليبيين بالإضافة إلى الدعم الفاطمي لها ، وكذلك تشييدهم لعدد من القلاع الحصينة من أجل إسقاط مدينة عسقلان Ascalonوضمها للسيادة الصليبية .

وهكذا فمن خلال كافة تلك الظروف السابقة شيد الصليبيون العديد من القلاع الحصينة فاق عددها ما تم تشييده من قبل سواء في العصر الروماني ، أو البيزنطي أو خلال الحكم العربي لبلاد الشام (٥٧) . وحوطت مملكة بيت المقدس الصليبية نفسها بسلسلة من القلاع والحصون شيدت في مناطق استراتيجية هامة بالقرب من المسالك ، والمنافذ والدروب المؤدية إلى قلب فلسطين من الشمال ، وكذلك من الجنوب والشرق

أما الساحل فكان بمثابة بوابتها الطبيعية على الغرب الأوربي من أجل ضمان الحصول على الرجال ، والعتاد، والأموال (٥٨) .

ويلاحظ أن المرحلة موضوع البحث ونعني بها السنوات من عام ١١٣٧م/٥٣٢هـ إلى ١١٥٠م/٥٤٥هـ قد شملت جانبا من عهد كل من الملك فولك الأنجوى Fulk of Anjou (١١٣١-١١٤٤م/٥٢٦-٥٣٩هـ) ،والملك بلدوين الثالث Baldwin 111 (١١٤٤-١١٦٢م / ٥٣٩-٥٥٧هـ) وقد هدفا إلى تأمين حدود المملكة الصليبية الجنوبية ، وحسم قضية عسقلان لصالحها ، وذلك من خلال إقامة عدة قلاع حصينة تعمل على إنهاكها ، تمهيدا لإسقاطها ؛ الأمر الذي حدث في عهد الملك الأخير وبالتحديد في عام ١١٥٣م / ٥٤٨هـ .

وإذا كان هذا هو الحال بالنسبة للحدود الجنوبية الغربية للمملكة الصليبية ؛ فان حدودها الجنوبية الشرقية كان لها جانبها الآخر من الأهمية فتم تأمين منطقة ما وراء الأردن من خلال إقامة تحصينات حربية هناك .

والجدير بالإشارة ، أن المؤرخ الصليبي وليم الصوري قد كشف النقاب عن أن القيادة الصليبية أدركت ضرورة استعمال القلاع الحربية وذلك بعد دراسة وصفت من جانبه بأنها دراسة طويلة (٥٩)، ولا ريب في أن الصليبيين أدركوا أن القاعدة السائدة في عصرهم هي السيطرة على القلاع من أجل ضمان السيطرة بالتالي على الأرض (٦٠) ، وطبقوا ذلك على وجودهم في بلاد الشام .

وقد أوضح وليم الصوري أنه بالنسبة للمنطقة الجنوبية من حدود المملكة الصليبية ، إتجه الصليبيون إلى تنفيذ ذلك الأمر من أجل مواجهة الخطر الذي كان كالتنين الذي يطل برأس من رؤوسه ، وذلك كلما فقدوا واحدا منها (٦١) . ويعني ذلك حامية عسقلان المصرية على نحو يعكس فعاليتها وأدراك الغزاة لضرورة القضاء عليها بحل حاسم وناجع في أقرب وقت ممكن تجنبا لحرب إستنزاف طويلة ومريرة لا قبل بهم بها .

ومن ناحية أخرى ؛ أدرك ذلك المؤرخ أن تلك القلاع كانت بمثابة مستودعات لحشد الجنود من أجل أن يتحركوا في أسرع وقت لمواجهة الخطر المحدق بالمملكة في تلك المنطقة ؛إذ أشار إلى أنه بإمكان القوات الصليبية أن تتجمع بسهولة داخل تلك الحصون ،وأن تواجه في يسر ومن خلال موقعها القريب إغارات الأعداء ومن بعد ذلك أمكن استقلالها من أجل الانقضاض على عسقلان ذاتها (٦٢).

وتفيد اشارة في توضيح أن الحل العسكري الخاص بتشييد القلاع في تلك المنطقة تم اتخاذه بعد تأن ودراسة لطبوغرافية المكان ، واحتياجات الصليبيين الحربية ، وإمكاناتهم ، وإمكانات خصومهم ، ومن زاوية أخرى ،أدرك ذلك المؤرخ الصليبي بصورة كاملة **أهمية القلاع المشيدة في حالتي الدفاع** ، ودورها في كسب مواقع جديدة تضم لحساب **الغزاة ، وتضعف قدرات** المسلمين العسكرية .

وهكذا فقد تم تشييد عدد من القلاع في كل من الاتجاهات المذكورين ، وهي بيت جبرين Bethgibelin عام ١١٣٧م/٥٣٢هـ ، ثم قلعة يبنى Ibelin عام ١١٤١-١١٤٢م/٥٣٦-٥٣٧هـ ، كذلك قلعة تل الصافية Blanchegarde عام ١١٤١/٥٣٦هـ ، وقلعة الكرك Krak عام ١١٤٢م/٥٣٧هـ، وأخيرا قلعة غزة Gaza عام ١١٤٩-١١٥٠م/٥٤٤-٥٤٥هـ ، وسنتناول فيما يلي رؤية المؤرخ الصليبي وليم الصوري لتلك القلاع بالتفصيل .

وفيما يتصل بقلعة بيت جبرين ،نجد أن ذلك المؤرخ يقرر أن موقعها على بعد أثني عشر ميلا من عسقلان . ومن المعروف أيضا أنها وقعت على الطريق من عسقلان الىحبرون Hebron؛ أي الخليل (٦٣) . وقدم عرضا موجزا لتكوينها المعماري بقوله إنها محاطة بسور على جانب من المناعة مع أبراج ، ومتاريس ، وخندق (٦٤) .

ويلا حظ انه أدرك أهمية موقعها وذكر انه كان ملائما بصوره تامه ،فقد وقعت عند سفح الجبال القائمة تماما عند بداية السهل الممتد دون انقطاع من تلك

الجبال إلى ما أسماه بئر سبع Beersheba(٦٥) .ومما يذكر في هذا الصدد أن الصليبيين أطلقوا على قلعة بيت جبرين خطأ اسم قلعة بئر سبع (٦٦).

ومن زاوية أخرى ، أوضح ذلك المؤرخ أن الصليبيين عندما قاموا بتشييد تلك القلعة إحتاجوا إلى مساعدة جميع السكان الموجودين في المنطقة كما تم إحضار البطريرك والنبلاء الصليبيين كذلك (٦٧) ، وفي تقديري أن حضورهم عكس أهمية العمل ذاته على إعتبار أنه في مجال تأمين حدود المملكة الصليبية ضد هجمات حامية عسقلان الفاطمية ، بالإضافة إلى أن وجود البطريرك نفسه كان حافزا معنويا دينيا من أجل إنجاز البناء في همة وحماس ، وبأسرع وقت ممكن .

وإضافة إلى ذلك ؛ يفيد تناول وليم الصوري لتلك القلعة في أنه يلقي الضوء على هيئة الاسبتارية Hospitallers وهي التي قامت أصلا من المستشفى التي أسسها الأمالفيون أهل مدينة أمالفي Amalfi الإيطالية في بيت المقدس ، وقد صارت الهيئة تعرف في ذلك العصر باسم Ordor Equitum Hospitaliorum Sancti Johannis Hierosolymitani(٦٨) .

وكان عمل الهيئة المذكورة خيريا علاجيا في المقام الأول ، بيد أنها في عهد مقدمها ريموند دى بوى Raymond du puy ، إتجهت وجهة حربية (٦٩) إلى جانب عملها الأصلي .

وفي هذا المجال أشار ذلك المؤرخ إلى أن قلعة بيت جبرين أعطاها الصليبيون لهيئة الإسبتارية المذكورة من أجل أن تتعهد بالدفاع عنها (٧٠) وعن المنطقة المجاورة لها . وينظر الباحثون باهتمام كبير لتلك الحادثة على اعتبار أنها كانت أول عمل حربي يعهد به لهيئة الإسبتارية ويقدرون أن أمر قلعة بيت جبرين كان بداية تحول الهيئة المذكورة من مجرد العمل الخيري العلاجي إلى العمل الحربي أيضا على نحو جاء دليلا على أن المملكة الصليبية صارت من الآن فصاعدا تعتمد على عناصر الهيئات الحربية The Military Orders أو الرهبان المقاتلين The Fighting Monksكالاسبتارية وغيرها ؛ وهو أمر سيتصاعد فيما بعد حتى تصير

كافة القلاع الصليبية يعهد بها لتلك العناصر ، وقد جاء ذلك التحول من خلال تزايد الأخطار المحيطة بالكيان الصليبي فاتجهت المملكة إلى توفير المساعدة الحربية في صورة الإفادة من تلك العناصر المحاربة والتي أظهرت كفاءتها في هذا المجال .

والملاحظ في رواية وليم الصوري عن قلعة بيت جبرين أنه على الرغم من ذكره لأمر تشييدها ضمن أحداث عهد الملك الصليبي فولك أوف أنجو ؛ إلا أنه لا يشير إلى تاريخ ذلك الحدث ، وأن رأى البعض أن ذلك تم عام ١١٣٤م/٥٢٩هـ(٧١)، أو عام ١١٣٥م/٥٣٠هـ، أو عام ١١٣٦م/٥٣١هـ (٧٢) وان كنت أرجح عام ١١٣٦م/٥٣١هـ ، على اعتبار أنه العام الذي عهد بأمر تلك القلعة لهيئة الاسبتارية ومن المتصور من خلال حجم الأخطار المحدقة بالمملكة الصليبية ، أقدمت الأخيرة على إعطاء القلعة المذكورة لتلك الهيئة ، خاصة أن نص وليم الصوري في هذا الشأن يصور الأمرين ؛ أمر الإنشاء وأمر إسناد حماية القلعة لهيئة الاسبتارية بصورة متتابعة دون انفصال ، وفي حالة أن يكون تاريخ الإنشاء متباعد عن تاريخ الإسناد ، لذكر كلا في موضع مستقل ، الأمر الذي لم يحدث ؛ مما يدعم تصوري بأن عام إقامة قلعة بيت جبرين كان نفسه عام تقديمها لهيئة الإسبتارية على الأرجح .

والجدير بالذكر ، أن ذلك المؤرخ رصد نتائج إقامة القلعة المذكورة على وضع حامية عسقلان ، فقد أشار إلى أنه عندما إكتملت من كافة جوانبها قل عنف هجمات الأعداء في ذلك الموقع منذ ذلك الحين (٧٣)، ودل ذلك على نجاح خطة الصليبيين في تأمين حدودهم ، حيث أن الأثر قد ظهر منذ تشييد أول قلعة في المنطقة على نحو كان يعكس أيضا أن المكاسب ستتزايد لصالح الغزاة بتشييد المزيد من القلاع في مواجهة حامية عسقلان .

أما قلعة يبنى Ibelin؛ فقد تناولها وليم الصوري وأشار إلى أنها أقيمت في المنطقة الواقعة بالقرب من مدينة الرملة Ramlah ، وعلى مسافة قريبة من اللد Lydda(٧٤) ، ومن المعروف أنها وقعت على مسافة عشرة أميال إلى الجنوب الغربي من اللد (٧٥) وقد أوضح أن الصليبيين إستفادوا من مميزات الموقع المرتفع

الذي وجد في المنطقة ، حيث وجدت هناك هضبة مرتفعة فوق سهل من السهول . (٧٦) ومنطقي أن الغزاة أدركوا أن سيطرتهم على تلك الهضبة من شأنها التحكم في المنطقة المشيدة فيها القلعة بصورة محكمة .

وفيما يتصل بالهدف من إنشائها ؛ نجد أن ذلك المؤرخ يؤكد ما ذكره من قبل بشأن قلاع جنوب مملكة بيت المقدس الصليبية ؛ إذ ذكر أن الهدف كان إعاقة أهل عسقلان ، والحيلولة دون أن يقوموا ـــ على الأقل ـــ باجتياح المنطقة كيفما شاءوا (٧٧)من أجل مهاجمة الصليبيين .

وفيما يتصل بالقلعة المذكورة ؛ يلاحظ أن إشارته بشأنها تتميز على إشاراته عن القلاع الصليبية الأخرى من حيث أنه ذكر مدى توافر مصادر المياه اللازمة ، من أجل تزويد المدافعين عنها باحتياجاتهم اليومية ، ولفترات زمنية طويلة ، خاصة في حالات الحصار المتوقع للقلعة ، وقد أشار إلى أن الموقع الذي وقع اختيار الصليبيين عليه توافرت فيه الآبار القديمة بأعداد كبيرة ،وقدمت لهم كمية كبيرة من الماء لم تكن كافية فقط من أجل أعمال بناء القلعة بل أيضا لسد احتياجات الناس (٧٨) .

والواقع أن التناول السابق لموقع قلعة يبنى يدل على أن الصليبيين ، حرصوا على تشييد قلاعهم في مواقع ذات مميزات طبوغرافية متعددة على نحو يضمن في النهاية تميز القلعة المشيدة ، الأمر الذي يدعو إلى التصور أن تلك القلاع لم تشيد إلا بعد دراسة دقيقة للمواقع الجغرافية الأكثر تميزا وملاءمة لإقامة مثل تلك العمائر الحربية الحصينة ، وإذا ما أدركنا أن نفس تلك الدقة التي اختار بها الغزاة موقع إقامة قلعة يبنى كان في عشرات القلاع الصليبية الأخرى ؛ لعرفنا كيف تفاعل المشروع الصليبي مع الواقع الجغرافي في بلاد الشام لضمان نجاحه وإطالة عمره إلى أبعد حد ممكن على حساب القوى الإسلامية .

والملاحظ في رواية وليم الصوري بشأن قلعة يبنى أنها لم تتعرض لتكوينها المعماري ، فلم يقدم أدنى اشارة عن ذلك ؛ على الرغم من أنه ذكر ذلك الأمر بالنسبة لقلة بيت جبرين السالفة الذكر ، ومن المحتمل أنه لم تتوافر لديه معلومات كافية من

أجل التعرف على ما كان لدى تلك القلعة من أسوار ، وأبراج ، وخنادق ، وغيرها من التكوينات المعمارية للقلاع الصليبية في ذلك العصر؛ ولذلك غض الطرف عند ذلك الجانب .

أما أثر إقامة قلعة يبنى فنجد أنه أوضح ذلك من خلال الربط بين قلعتي بيت جبرين ، ويبنى في آن واحد ، بمعنى أنه لم ينظر إلى كل قلعة بصورة منفصلة بل من خلال فعالياتها وتأثيرها على الوضع الأمني في الجزء الجنوبي الغربي من حدود المملكة الصليبية ولذا وجدناه يذكر أن تشييد الصليبيين لقلعتي بيت جبرين ويسميها بئر سبع ، ويبنى حقق لهم تقدما كبيرا في مواجهة الإغارات الشجاعة ، الجريئة التي قام بها رجال حامية عسقلان ، وتم التخفيف من حدة هجماتهم ، وأحبط الصليبيون بذلك مشاريعهم الهجومية ضدهم (٧٩). والأكثر أهمية من ذلك أنه كشف النقاب عن حقيقة هامة ألا وهي أن الغزاة بعد أن عانوا من هجمات رجال حامية عسقلان ، وبعد أن كانوا هم أنفسهم في موقف دفاعي ، تحولوا بفضل إقامة تلك القلاع ـ إلى الهجوم ؛ إذ أنه أشار إلى أن الصليبيين تمكنوا من إنهاكهم بشن هجمات أقوى ، وسببوا من جراء ذلك الرعب في نفوسهم ، وصاحبه خطر فرض حصار مفاجئ عليهم (٨٠) .

والملاحظ في تناوله لقلعة يبنى أن لغته أخذت شكلا أكثر ثقة في قدرات الصليبيين الحربية بأخذهم زمام المبادرة بالهجوم ، ولا نغفل أنه تناول صراحة قدرة الصليبيين على فرض الحصار المفاجئ لعسقلان على نحو أثار الرعب في نفوس سكانها ، وحاميتها الفاطمية .

وهكذا فان رؤية وليم الصوري لقلاع جنوب المملكة الصليبية لم تكن رؤية منفصلة بل أنها شمولية ، وفي نفس الحين أدرك معها نتائج إقامتها على الواقع الأمني الصليبي في مواجهة النفوذ الفاطمي في المنطقة ، ومطامع الصليبيين التوسعية هناك .

وعلى الرغم من تلك الرؤية الهامة لذلك المؤرخ الصليبي إلا أنه في تناوله لقلعة يبنى تشابه عرضه مع عرض أمر قلعة بيت جبرين من حيث إغفال تاريخ تشييدها إذ لم يذكر شيئا عن تلك الزاوية . وإن وجد من الباحثين من يقرر أن ذلك

وقع عام ١١٤١-١١٤٢م/٥٣٦-٥٣٧هـ(٨١) ، ومع ذلك ليس في الإمكان الأخذ بذلك التحديد الزمني بصورة نهائية ؛ نظرا لصمت مؤرخ المملكة الصليبية من ناحية ، وإغفال المصادر التاريخية الأخرى لذلك التحديد ، وتظل مسألة إيجاد تواريخ دقيقة لتشييد مثل تلك القلاع الصليبية أو ارتباطها بعناصر الرهبان الفرسان — تظل مسألة اجتهادية يختلف بشأنها الباحثون وعلى الرغم من ذلك من الممكن القول — وفق تقديري — إن إقامة قلعة يبنى تم خلال المرحلة الممتدة من عام ١١٣٧م/٥٣٢هـ ، وهو العام المرجح لتشييد قلعة بيت جبرين فيه — كما أسلفت الإشارة من قبل — وعام ١١٤٤م/٥٣٩هـ وهو عام وفاة الملك الصليبي فولك الانجوى على إعتبار أن وليم الصوري نفسه أشار إلى قلعة يبنى وتشييدها فيما بعد قلعة بيت جبرين ،كما تناول أمرها خلال عرضه أحداث عهد الملك المذكور ، وكل تلك الإعتبارات تجعلني أرجح أن يكون أمر تشييدها قد وقع خلال المرحلة من ١١٣٧م/٥٣٢هـ إلى ١١٤٤م/٥٣٩هـ .

وإذا انتقلنا إلى تناول وليم الصوري لقلعة صليبية أخرى من قلاع جنوب الصافي غرب المملكة الصليبية مثل قلعة تل الصافية Blanchegarde نجد أنه من أدق ما وصلنا من تناول ذلك المؤرخ لتلك العمائر الحربية في تلك المنطقة .

والملاحظ في حالة تلك العمائر أنه أوضح أمرا اسمها تل الصافي Telli Saphi على أنه يذكر في العربية تل الصافية أو يترجم على أنه التل أو الجبل الجلي الواضح ، وعرفت في اللغة الدارجة باسم بلانكفورد وتعني برج المراقبة الأبيض (٨٢) ، ومثل ذلك الأمر نراه من خلال إتقان وليم الصوري لعدد من اللغات ومنها العربية ، ومن ثم شغفه بالتالي بالأسماء ، واختلافها من لغة إلى أخرى ، ومع ذلك النطاق الجغرافي الذي يختص به البحث وخلال المرحلة الممتدة من ١١٤٧الى١١٥٠م/٥٣٢-٥٤٥هـ لا نجد يتبعه إلا في قلعة تل الصافي ، ولم نجده في تعرضه لقلعتي بيت جبرين ويبنى مما يعكس أنه استعمل ذلك الأسلوب اللغوي في الحالات التي رأى فيها جدواه في تاريخه .

أما عن اختيار موقع قلعة تل الصافي ، فإن ذلك المـــؤرخ الصليبـــي يقـــرر صراحة أن ذلك كان من خلال عملية دقيقة بحضور الملك الصليبي ــ والمقصود بـــه فولك الأنجوى ، والبطريرك ورجال الكنيسة (٨٣) ، ومعنى ذلك أن إختيار موقع تلـــك القاعدة ، كان أمراً دقيقاً ، وحيويا بدليل حضور صفوة القيـــادات السياســـية والدينيـــة الصليبية الأمر الذي عكس أهمية الأمر الذي أقدم الصليبيون عليه .

وإذا كان وليم الصوري قد أشار عند تناوله لقلعة بيت جبرين إلـــى حضـــور البطريرك والنبلاء الصليبيين ، فإنه في حالة قلعة تل الصافي ذكـــر حضـــور الملـــك الصليبي شخصيا مما عكس اختلاف الأمر عن ذي قبل وأن الأمر كان يحتاج حضـــور الملك نفسه من أجل مباشرة إقامة تلك القلعة التي من الجلي البين أن الصليبيين علقـــوا على تشييدها الآمال الكبار بدليل ملابسات اختيار موقعها وحجم ما أورده عنها مـــؤرخ المملكة الصليبية خلال القرن الثاني عشر م/السادس الهجري . أما عن موقع القلعة فقد أشار إلى أنه على بعد ثماينة أميال من عسقلان وكن قريبا مـــن القلعتيـــن الســـابقتين وأعني بهما بيت جبرين ، ويبنى (٨٤) اللتان شيدتا في مواجهة عسقلان الأمر الـــذي يعكس حقيقة هامة ألا وهي أن الصليبيين بإقامتهم لثالث قلعة فـــي المنطقـــة، وخـــلال سنوات قليلة في مقابل المدينة المذكورة أرادوا تشييد خط دفاعي من القلاع الحصينـــة يؤدي في النهاية إلى فرض السيادة الحربية ، والسياسية الصليبية عليها الأمـــر الـــذي حدث فعلا فيما بعد .

ومن زاوية أخرى أشار إلى مميزات الموقع المشيدة فيه القلعـــة ؛ إذ أقيمـــت على جبل عال ، بالمقارنة بالأرض الأكثر استواء المجاورة له (٨٥) ، وقـــد وصـــف الموقع بأنه كان جيد التحصين من الناحية الطبيعية (٨٦) ، وهو بذلـــك يتشـــابه مـــع موقع قلعة يبنى سالفة الذكر .

والأمر المؤكد أن الصليبيين كانوا قد صاروا خبراء بطبوغرافية المنطقة بعـــد أن شيدوا من قبل قلعتين ، وها هي الآن القلعة الثالثة تشيد ؛ على نحو دعـــم رصيـــد

خبرتهم في إقامة العمائر الحربية في تلك المنطقة المقابلة لحدودهم مع الأملاك الفاطمية .

أما التكوين المعماري للقلعة المذكورة ، فنجده يوضح أنها شيدت من الحجارة المنحوتة على أسس صلبة قوية ، وأنها زيدت بأربعة أبراج ، ذات إرتفاع ملائم (٨٧)

زد على ذلك ؛ إن وليم الصوري في تناوله لقلعة تل الصافي ، أشار إلى مسألة تزويد القلعة بالمؤن والإمدادات ، فقد تعرض إلى حشدها بالأطعمة ، والأسلحة (٨٨) ، بالإضافة إلى الرجال الذين عهدت إليهم المهام الحربية المناطة بهم مع ملاحظة أن تلك الإمدادات كانت عنصرا هاما من أجل مواصلة الضغط على عسقلان وإعطاء الصليبيين حرية الحركة ضدها في أي وقت شاءوا على نحو قدم لهم ميزة المبادرة العسكرية بالهجوم الأمر الذي لم يكن متاحا لهم من قبل تشييد تلك القلاع

أما نتائج تشييدها فنجد ذلك المؤرخ يوضحه بجلاء ؛ إذ صار من الممكن للصليبيين النظر دون أية معوقات من القلعة المذكورة على مدينة عسقلان مباشرة (٨٩)، وهي ميزة لم نجدها لدى القلاع الصليبية السابقة كبيت جبرين ، ويبنى والتي أشار إليها في تاريخه ، ويعطي ذلك الإنطباع بأن قلعة تل الصافي كانت قريبة من عسقلان ، ومن المحتمل أنها كانت أقرب من شقيقتها ، وهذا يدل على أن القلعة المذكورة اتخذها الصليبيون كوسيلة لرصد تحركات المسلمين في المدينة المذكورة ، ومَثّل ذلك تفوقا استراتيجيا للصليبيين أفتقد مثيله المسلمون ، وهذا بدوره يفسر لنا الاسم الذي أطلقه الغزاة على تلك القلعة بأنها "برج المراقبة الأبيض " .

من ناحية أخرى ؛ نجد أن وليم الصوري ، وفي عرضه لقلعة تل الصافي على نحو خاص ذكر نتائج تشييدها على المستويين الحربي ، والعمراني ؛ وبالنسبة للجانب الأول نجد أنه يقرر أن أهل عسقلان بعد إقامتها ووجود كافة تلك القلاع في مواجهتهم بدأوا يستنجدون بالخليفة الفاطمي في مصر ؛ من أجل نجدتهم على إعتبار أن عسقلان كانت آخر الأملاك الفاطمية (٩٠) في تلك المنطقة ، بيد أن الفاطميين في ذلك الحين

كانوا من الضعف بحيث تركوا مدينتهم تلقى نفس المصير الذي واجهته باقي المدن الساحلية الشامية بالوقوع في قبضة الصليبيين .

أما ما أتصل بالنتائج العمرانية ، فقد أوضحها ذلك المؤرخ الصليبي ، وهي تتعلق بالاستيطان الصليبي في المنطقة ؛ إذ ذكر أن الذين كانوا يقطنون المنطقة المجاورة لقلعة تل الصافي من العناصر بدأوا يكتسبون ثقة كبيرة في قدرات تلك القلعة الحربية ، بالإضافة إلى قلعتي بيت جبرين ، ويبنى ، بدأ العمران ينتشر في المنطقة اعتمادا على الحماية التي وفرتها تلك العمائر الحربية الصليبية ، وقامت ضواح كثيرة ومتعددة ، وتم استقرار أعداد كبيرة من الأسر هناك ، وذلك بالإضافة إلى المزارعين في الحقول ، وصارت المنطقة أكثر أمنا نظرا لتوافر المؤن والإمدادات (٩١) ،و نغفل هنا حقيقة هامة وهي أن القلعة كانت تضم بالإضافة إلى القوات المدافعة جميع السكان الذين يلجئون إليها عند الخطر (٩٢) .

والواقع أن تناول وليم الصوري لذلك الجانب يعد أهم ما أورده بشأن التأثير العمراني للقلاع الصليبية ، على إعتبار ندرة الاشارت المصدرية الصليبية الخاصة بالاستقرار، والاستيطان الصليبي في بلاد الشام ، فهو يكشف لنا عن حقيقة هامة ألا وهي أن الصليبيين عجزوا عن الاستقرار في تلك المنطقة طالما هددتهم حامية عسقلان ، ولكن بعد تشييد قلعة تل الصافي ـ وفعاليات القلعتين السابقتين ـ أمكن للغزاة أن يحظوا بقدر من الأمان على نحو شجعهم على الاستقرار في المنطقة على حساب الوجود السكاني المسلم ، وهكذا تكون القلاع الصليبية التي شيدت في المنطقة لا سيما تل الصافي قد اسهمت في تغيير التركيبة السكانية في المنطقة لصالح الغزاة الصليبيين بصورة لم تتأت لهم من قبل .

ومن ناحية أخرى ؛ فعلى الرغم من الإشارات الهامة التي قدمها ذلك المؤرخ الصليبي عن قلعة تل الصافي إلا أنه لم يقدم لنا تحديدا زمنيا خاصا بتاريخ تشييدها ، وإن اتجه أحد الباحثين إلى القول بأن ذلك كان عام ١١٤١م/٥٣٦هـ(٩٣) .

وبالإضافة إلى ذلك ، هناك تناول المؤرخ وليم الصوري لإحدى القلاع الصليبية التي شيدت في الجهة الجنوبية الشرقية من حدود المملكة ، ونذكر في هذا المجال قلعة الكرك التي أقيمت في عهد الملك فولك الأنجوى.

وقد حدد وليم الصوري موقعها بأنها في المنطقة العربية الثانية Arabia Seconda، وأشار إلى أن مؤسسها هو باجانوس Pagauus الذي عمل ساقيا عند الملك الصليبي المذكور،وامتلك مناطق واقعة فيما وراء الأردن Transjordan(٩٤)

والملاحظ أنه لم يذكر شيئا عن تكوينها المعماري ، وإنما ذكر أمر حصانتها وأرجع ذلك إلى طبيعة موقعها ، وكذلك الوسائل الاصطناعية (٩٥) ، التي أقامها الفرنجة الصليبيون لتدعيم دفاعاتها . والواقع أن تناول ذلك المؤرخ الصليبي لقلعة الكرك كان مقتضبا للغاية ، فلم يقدم لنا تحليلا لاسمها أو مميزات موقعها ، الأمر الذي وجدناه لدى عرضه لقلاع أخرى في جنوب غرب المملكة الصليبية .

والواقع أن كلمة كرك ذات أصل أرامي من كلمة كاركو Karkoالتي تعني القلعة (٩٦) ، وهناك من يرى أن كلمة كرك قد أطلقت عند مؤرخي الحركة الصليبية اللاتين على كل موقع حصين يماثل في حصانته وموقعه الكرك ، مثل كرك مواب Kark Moabite والشوبك " مونتريال " Krak de Montreal ، وسموها كرك مونتريال ، أو كرك الشوبك ، وحصن الأكراد وأسموه كرك الفرسان Krak des Chevaliers وقلعة صهيون وأسموها كرك صهيون Krak Sahyun (٩٧).

وقد وقعت قلعة الكرك في الطرف الجنوبي الشرقي من البحر الميت The dead sea على بعد ١٢١ك.م جنوبي مدينة عمان ، وبلغ ارتفاعها ٣١٠٠متر فوق سطح البحر ، وشيدت فوق قمة جبل (٩٨)، وتنحدر سفوحه من الجانبين بشدة حتى وادي الكرك الذي يتشعب إلى كل من وادي الست ، ووادي الفرنجة (٩٩)، ويلاحظ أن تلك الوديان التقت معا قرب عين سارة ؛ التي بعدت كيلو متر بعد غرب المدينة ، ومثلت مع قمة الجبل إنحدارات قوية في الشرق ، والشمال أكثر انحدارا منها في

الغرب (١٠٠) ،ولا ريب في أن ذلك يؤكد ما ذكره وليم الصوري بصـــورة مقتضبـــة للغاية بشأن حصانتها الطبيعية .

والجدير بالذكر هنا أن المنطقة التي أحاطت الكرك وامتدت من البحر الميـت حتى البحر المتوسط اشتملت على قسم هام من الأردن ، وفلسطين ، وتعد منطقـــة ذات أهمية إستراتيجية خاصة ، إذ مرت بها طرق الاتصال بين مصر ، والشام ، والعراق، كما أنها مثلت المعبر الذي كان على المسافرين أو المتسللين أو الغزاة أن يسلكوه مـــن الجنوب إلى الشمال ، وكذلك من الشرق إلى الغرب وبالعكس ، وتلك المنطقة بامتدادها إلى جنوب فلسطين تسمى باب مصر الشرقي (١٠١) مما يعكس أهمية القلعة المذكورة

وينبغي ألا ننظر إلى قلعة الكرك بمعزل عن القلاع الصليبية التي شيدت من قبل في المنطقة ، ولا سيما تلك التي وجدت لتحمي الحدود الجنوبية الشرقية للمملكة الصليبية ، ومنها تلك التي شيدت من قبل ذلك في عهد الملك الصليبي بلدوين الأول Baldwin I(١١٠٠-١١١٨م/٤٩٢-٥٢١هـ) ومن بعد ذلك ، فقد أقام قلعة الشوبك krak de Montreal وذلك عام ١١١٥م/ ٥٠٩هـ (١٠٢) ، وهناك أيضا قلعة ايلة (العقبة) التي شيدت عام ١١١٦م/ ٥١٠هـ ، ثم قلعة جزيرة فرعون Graye(١٠٣) ولا نغفل قلعة هامة أخرى آلا وهي قلعة الوعيرة Al Wu'airahوهي التي أقيمت في وادي موسى الواقع في وادي عربة فيما وراء الأردن (١٠٤).

والملاحظ أن سيطرة الصليبيين على الأردن ، ووادي عربة بما فيـــها تلـك الحصون ومنها الكرك أتاحت لهم فرصة التحكم في صحراء النقب ، حيث كانت ايلـــة على خليج العقبة خاضعة لسيادتهم (١٠٥) .

ومن زاوية أخرى ؛ نجد وليم الصوري لا يحدد زمنيا تاريخ بناء قلعـــةالكرك وإن كان هناك من الباحثين من يرى أن ذلك تم عام ١١٤٢م/٥٣٧هـ ، إذ طلب الملك فولك الانجوى من نديمه سالف الذكر أن يقيم قلعة الكرك (١٠٦) ، وســـميت القلعـــة بصخرة الصحراء أو كما ورد في بعض المراجع Petra Deserti(١٠٧) وقـــد أدى

تشييدها إلى تأمين حدود المملكة هناك ، وقطع الطريق بين مصر والشام بالإضافة إلى إعتراض طريق حج المسلمين إلى الأماكن المقدسة الإسلامية بالحجاز .

وأخيرا هناك تعرض وليم الصوري لقلعة غزة التي شيدت في عـــهد الملــك بلدوين الثالث ، وقد أشار إلى أن الصليبيين عملوا على بنائها حتى يمكـــن محـــاصرة عسقلان من ناحية الجنوب مثلما حوصرت من الشمال والشرق من خلال القلاع التـــي شيدت هناك (١٠٨) ، ومعنى ذلك أنها جاءت مكملة لجهد الصليبيين في بنـــاء قــلاع بيت جبرين ، ويبنى ، وتل الصافي ، وتظهر لنا الإشارة الأخيرة مـــرة أخـــرى ذلــك المؤرخ وهو يربط بين فعاليات كافة القلاع المشيدة في المنطقة وأن الأمر كان بمثابـــة إستراتيجية صليبية عليا نحو إقامة خط دفاعي صليبي محكم من عـــدد مـــن القـــلاع الحصينة سواء في عهد فولك الانجوي ، أو بلدوين الثالث واستمرت على الرغم مـــن تبدل وتغير الملوك الصليبيين ، مما يعكس نجاح مشروع الصليبيـــن فـــي إضعـــاف قدرات عسقلان العسكرية من خلال إقامة القلاع .

وقد ألقى الضوء على تكوينها المعماري بإيجاز من خلال ذكره أن الصليبيـــن عملوا على إقامة سور وشيدوا حوائط وأبراج خاصة بها (١٠٩) ، ويلاحظ أن قلعـــة غزة لم تستمر على هذا الحال ؛ إذ نعرف أن العديد من الأسوار قـــد شـــيدت (١١٠) وأحاطتها وصارت تمثل جزءا هاما وحيويا في عمارتها ، الأمر الذي يعكس أن القلاع الصليبية كانت تتطور مع مرور الزمن .

ومثل إشارته عن قلاع جنوب غرب مملكة بيت المقدس الصليبية في المرحلة موضوع البحث ، لا نجد وليم الصوري يذكر لنا تاريخا لإنشاء قلعة غزة ، وإن كـــان هناك من الباحثين من يقرر أن ذلك تـــم فـــي شـــتاء عـــام ١١٤٩-١١٥٠م/٥٤٤-٥٤٥هـ (١١١) ، ودلالة مثل ذلك التحديد الزمني إنه يوضح أن قلعة غزة كانت مـــن أخريات القلاع الصليبية المشيدة في تلك المنطقة قبل إسقاط عسقلان ذاتها فـــي عـــام ١١٥٣م/٥٤٨هـ ؛ إذ شيدت قبل إسقاطها بثلاث سنوات فقط .

زد على ذلك ؛ أن روايته بشأن قلعة غزة ، تتشابه مع ما ذكره بشأن قلعة بيت جبرين من حيث ذكره أن القلعتين المذكورتين عَهِدَ الفرنجة الصليبيون بأمرهما لعناصر فرق الرهبان الفرسان ، وان كان الفارق بينهما في صورة سيطرة الإسبتارية على بيت جبرين ، بينما خضعت قلعة غزة لعناصر الداوية Templars وهي الهيئة الصليبية المنافسة لها ، التي ولدت محاربة من يومها الأول وأسسها فارسان فرنسيان هما ؛ هيو دي بان Hugh de paynes، وجود فري سانت أومير Godfrey de saint Omer وكرستها ، البابوية في عام ١١١٨م/٥١٢هـ (١١٢) .

وقد قرر وليم الصوري أنه تم إعطاء قلعة غزة لفرسان الداوية من أجل أن تظل في أيديهم إلى الأبد ، خاصة أنهم كانوا ــ في تقديره ــ رجالا على جانب من الشجاعة ، ومحاربين أشداء ،وعملوا على مهاجمة عسقلان بصورة علنية ، أو من خلال الكمائن (١١٣)،على نحو يعكس اختلاف أساليب الصليبيين العسكرية حيالها حينذاك .

ونكشف روايته بشأن قلعة غزة أن عناصر الداوية ، عملوا على إنهاك المدينة الباسلة بالإغارات المتعددة على نحو أدى في النهاية إلى إضعافها تمهيدا لإسقاطها فيما بعد ومع ذلك ، لم يوضح لنا تاريخ سيطرة الداوية على قلعة غزة ، وان وجد من الباحثين من يقرر أن ذلك تم عام ١١٤٩ أو ١١٥٠م/٥٤٤ أو ٥٤٥هـ (١١٤)، وهو بذلك يتوافق مع تحديد تاريخ تشييدها ، أي أن المملكة الصليبية عندما أقدمت على بناء القلعة المذكورة ،رأت أن عناصر الداوية يجب عليها الدفاع عنها من أجل تحقيق الآمال المعقودة على القلعة المذكورة.

وهكذا ، تناول المؤرخ وليم الصوري أمر القلاع التي أقيمت في جنوب المملكة الصليبية سواء جنوبها الغربي ، أو الشرقي خلال المرحلة الممتدة من ١١٣٧م/٥٣٢هـ إلى ١١٥٠م/٥٤٥هـ .

ولنا عدة ملاحظات على ما أورده ذلك المؤرخ الصليبي في هذا الشأن ويمكن إجمالها في الآتي :

أولا : قدم وليم الصوري مادة تاريخية على جانب كبير من الأهمية بشأن دوافع الصليبيين لتشييد عمائرهم الحربية في المنطقة المذكورة ، ومن الممكن الإفادة من عرضه ذلك في إدراك دوافع الصليبيين لبناء القلاع الحصينة في المناطق الأخرى من بلاد الشام ، وقد كشف تناوله أن الصليبيين بعد مرور عقود قليلة من الأعوام على إحتلالهم لفلسطين صاروا خبراء بطبوغرافية المنطقة ، وأفضل الأجزاء التي تصلح لتشييد القلاع استغلالا لمميزات بعض المناطق عن غيرها من حيث الارتفاع ، والحصانة الطبيعية ، وتوافر مصادر المياه إلى غير ذلك من الجوانب الهامة ، على نحو كان له أثره في النهاية على ميزان القوى بين المسلمين والصليبيين لصالح الأخيرين خلال تلك المرحلة .

ثانيا : من الملاحظ أن ذلك المؤرخ الصليبي اهتم بتوضيح أمر القلاع الجنوبية الغربية أكثر من اهتمامه بالقلاع الجنوبية الشرقية ، فعلى حين تناول جوانب شتى بالنسبة للأولى أقتضب بصورة جلية تناوله لقلعة الكرك ، ولم يقدم للباحثين المادة التاريخية المتميزة في هذا الشأن . والواقع أنه من الممكن تعليل ذلك على أساس عدة اعتبارات فهناك كثرة عدد قلاع الجنوب الغربي بالمقارنة بالجنوب الشرقي ،ثم هناك مسألة وفرة المعلومات أو ندرتها خاصة أنه كتب أمر تشييد تلك القلاع بعد إنتهاء بنائها بأعوام طويلة . ويضاف إلى كل ذلك هناك ملاحظة أن الملك الصليبي عموري الأول كانت سياسته التوسعية نحو مصر، وكانت الحدود الجنوبية الغربية للمملكة الصليبية هي نقطة انطلاقه من أجل تنفيذ مشروعه التوسعي هناك ، ولذلك أهتم المؤرخ الصليبي وليم الصوري بتجلية تاريخ تلك المنطقة في المرحلة السابقة على توسع ذلك الملك ، ثم لا نغفل زاوية أخرى وهي أن الجهة الجنوبية الغربية كان بها خطر عسقلان ، أما الجهة الجنوبية الشرقية فكان الأمر مختلف بشأنها لأن القلاع أقيمت بها لتمزيق وحدة المسلمين وحماية المملكة دون أن يكون هناك مثل ذلك الخطر الذي وجد في الجهة الأخرى ، وأمام كافة الاعتبارات السابقة كان طبيعيا أن نجد اختلاف حجم إشارات وليم الصوري لقلاع كل جهة بالمقارنة بالأخرى .

ثالثا : استطاع ذلك المؤرخ الصليبي من خلال عرضه للقلاع الصليبية في المنطقة المذكورة وخلال المرحلة الزمنية المشار إليها أن يقدم لنا تصورا هاما عن بدايات وتطور سيطرة عناصر الرهبان الفرسان في صورة الاسبتارية Hospitallers ، والداوية Templars على القلاع الصليبية ، وهو أمر سيتصاعد ـ فيما بعد ـ على نحو تكون لهم السيادة على العمائر الحربية المشيدة في بلاد الشام من جانب الصليبيين على مدى القرنين ١٢، ١٣م/٦، ٧ هـ ، مع عدم إغفال دور هيئة التيوتون التي سيطرت على قلعة القرين Montfort (١١٥) .

رابعا : أفادت إشارات المؤرخ الصليبي المذكورة في توضيح أثر القلاع الصليبية في تدعيم حركة الاستيطان الصليبي في المنطقة على حساب الوجود السكاني المسلم بالطبع ، ويعد تناوله لتلك الزاوية على نحو خاص من أثرى الزوايا في تعرضه للقلاع الصليبية ونتائج تشييدها ، خاصة إذا ما وضعنا في الإعتبار صمت المصادر التاريخية المعاصرة عن قضية انتشار الصليبيين واستقرارهم إلا فيما ندر ، خير مثال دال على ذلك ما ذكره بشأن قلعة تل الصافي Blanchegardeودورها في دعم استقرار الصليبيين حولها بعد أن وجدوا فيها الأمان من اغارات حامية عسقلان الفاطمية بالإضافة إلى فعاليات القلاع الأخرى في نفس المنطقة المذكورة .

خامسا : كشف تناول وليم الصوري للقلاع الجنوبية لمملكة بيت المقدس الصليبية خلال المرحلة المذكورة عن اختلاف مسميات تلك القلاع ، فهناك أسماء عربية للبعض منها ، ومقابل ذلك أسماء أخرى استعملها الصليبيون بالإضافة إلى معرفتنا بوجود أسماء خاطئة استعملوها للدلالة على مواقع بعض القلاع ، وقد استطاع ذلك المؤرخ الصليبي بفضل تكوينه اللغوي المتعدد أن يوضح لنا أحيانا تلك الزاوية الهامة على نحو أثرى تناوله لقلاع المملكة الصليبية خلال تلك المرحلة ، مع ملاحظة أنه لم يحرص على إيراد ذلك الجانب اللغوي بالنسبة لكافة العمائر الحربية الصليبية ، وإنما لواحدة منها وفق ما تصوره من إحتياج عرضه التاريخي لأن يبرز ذلك البعد .

سادسا : على الرغم من كافة الإعتبارات السابقة والجوانب الإيجابية التي وردت لـــدى وليم الصوري وتناوله لتلك القلاع خلال المرحلة المذكــــورة ، إلا أن هنـــاك بعــض القصور لديه في صورة عدم إيراده للتحديد الزمني الخاص بالقلاع المشيدة ؛ إذ خلـــت إشاراته من أي تحديد في هذا الشأن باستثناء إيراده لها خلال عهد ملـــك مـــن ملـــوك الصليبيين أمكن معرفة مدة حكمه، كما أن هناك اقتضابـــه الحديـــث بشـــأن التكويـــن المعماري لتلك القلاع أو عدم ذكره ألبته ، وفي حالة إيراده كان من الممكن لرواياتـــه التاريخية في هذا الشأن أن تتوافر لها أهمية أكبر . وعلى الرغم من ذلك ؛ فإن وليـــم الصوري قدم لنا تناولا هاما للقلاع الجنوبية لمملكة بيـــت المقـــدس الصليبيـــة خـــلال المرحلة من ١١٣٧الى ١١٥٠م/٥٣٢الى ٥٤٥هـــ ، على نحو كان له أثره في تســـليط الضوء على تاريخ الصليبيين في بلاد الشام خلال تلك المرحلة

الهوامـــش :

(١) عمر كمال توفيق ،" المؤرخ وليم الصوري "، مجلة كلية الآداب – جامعة الإسكندرية ، العدد (٢١) عام ١٩٦٧م ص١٨١–ص١٨٢ .

(٢) أنظر: Huygens, Guillaume de Tyr etudiant un chaptre de: Son Histoire retrouve , latoumus, xxl, 1962, pp.811-829 .

(٣) Edbury . "William Of Tyre, Historian Of The Crusades and the Kingdom of Jerusalem (1130-1184)", B.F.A.U.A. Vol. xxxV 1978, P.44

(٤)جمال الدين الشيال ، التاريخ الإسلامي وأثره في الفكر التاريخي الأوربي في عصر النهضة ، ط. بيروت ب.ت،ص٧٠

(٥)عادل زيتون ، العلاقات السياسية والكنسية بين الشرق البيزنطي والغرب اللاتيني في العصور الوسطى ،ط.دمشق ١٩٨٠م،ص٣٤

(٦)بيرل سمايلى ، المؤرخون في العصور الوسطى ،ت. قاسم عبده قاسم القاهرة ط. ١٩٨٤م،ص١٤٢

(٧)السيد الباز العريني ، مؤرخوا الحروب الصليبية ،ط. القاهرة ١٩٦٢م ص١٢٧

(٨) Edbury , p.44

(٩) بيرل سمايلي ، المرجع السابق ،ص١٤٢ .

Krey, "William of Tyre ,The making of Historian in the middle ages ", Vol. XV, 1941,P.152

(١٠)عن نهضة القرن الثاني عشر الميلادي في الغرب الأوربي أنظر هذه الدراسة الممتازة .

Haskins, The Renaisance of Twlfth century . Cambridge 1928

سعيد عبد الفتاح عاشور ، حضارة ونظم أوربا في العصور الوسطى ، ط.بيروت ١٩٧٦م،ص١١١–ص٢٣١ .

(١١) عن إجادة وليم الصوري لعدد من اللغات أنظر : يعقوب الفيتري : تاريخ بيت المقدس ، ص ١٨.

أسامة زكي زيد ،صيدا ودورها في الصراع الصليبي الإسلام ، ط.الإسكندرية ١٩٨١م، ص٣١، حاشية (١)، محمود الحريري ، الأوضاع الحضارية في بلاد الشام في القرنين ١٢،١٣م،ط. القاهرة ١٩٧٩م،ص٣٠، مصطفى الكناني ، العلاقات بين جنوة والفاطميين في الشرق الأدنى ١٠٩٥–١١٧١م/٤٨٨–٥٦٧هـ ،ط. الإسكندرية ١٩٨١م،ص٢٢ حاشية (١) .

(١٢) Edbury , p.44.

(١٣) Barker, The Crusades, London 1949, p.108

Runciman, A History of the Crusades Vol. II London 1978, p.476 .

(١٤) عمر كمال توفيق ، المرجع السابق، ص١٨٤.

(١٥) Edbury , p.44 .

(١٦) Ibud, p. 48

Ency .Amer., “William of Tyre “, Vol. XXVIII, U.S.A. 1985,P. 786

(١٧)حسن عبد الوهاب ، تاريخ قيسارية الشام في العصر الإسلامي ،ط. الإسكندرية ١٩٩٠م،ص٤٤.

(١٨)حسين عطية ، إمارة أنطاكية الصليبية والمسلمون ١١٧١–١٢٦٨م/٥٦٧–٦٦٦ هـ ، ط. الإسكندرية ، ١٩٨٩م ص٣٤ .

(١٩)بيرل سمالي ، المرجع السابق، ص١٤٢ .

(٢٠)هاري المزبارتز، تاريخ الكتابة التاريخية ،ت. محمد عبد الرحمن برج ،ط. القاهرة ١٩٨١م،ص١١١ .

(٢١)عبد الله الربيعي ، أثر الشرق الإسلامي في الفكر الأوربـــي خـــلال الحـــروب الصليبية ،ط. الرياض ١٩٩٤م، ص٩١ .

(٢٢)نفسه ، نفس المرجع والصفحة .

(٢٣)جمال الدين الشيال ، المرجع السابق ، ص ٧٢

(٢٤)أحمد رمضان أحمد ، المجتمع الإسلامي في بلاد الشام في عصر الحروب الصليبية،ط.القاهرة ١٩٧٧م،ص٣٢٢ .

(٢٥) عبد الله الربيعي ، المرجع السابق ،ص٩١.

ويلاحظ بالنسبة للكتاب المذكور أن النص اللاتيني الخاص به يوجد في الباترولوجيا اللاتينة

عن ذلك أنظر P.L.,Vol. CCL.(250), 201-892

.

كما يوجد كذلك في مجموعة مؤرخي الحروب الصليبية المؤرخون الغربيون: انظر :

R.HC., Hist Occ. T.I

عن ذلك أنظر :

Rohricht ,Chronologisches Verzeichniss Landes, Bezuglichem Literature Von 333 Bis 1878, Berlin 1890, p.23 .

كما صدرت له ترجمة باللغة الإنجليزية وهي التي إعتمدت عليها في إعداد هذا البحث وهي من إعداد بابكوك وكراي وصدرت في نيويورك عام ١٩٤٣م أنظر:

William of Tyre , History of the deeds done beyond the sea , trans. By Babcok and Krey , New York , 1943 .

(٢٦) dbury , p.43

(٢٧)عمر كمال توفيق ، المرجع السابق ،ص١٩٣

(٢٨) Runciman ,Vol. II.p.477.

وأيضا Pernoud, The Crusades , Trans byEnid Mclood , London 1926p.289 .

حيث يعتبره أحد أكثر مؤرخي العصور الوسطى أهمية .

(٢٩) Archer "On the accession dates of the early kings of jerusalem ", E.H.R., Vol. I v, 1889, p.89.

(٣٠) حسن عبد الوهاب ، المرجع السابق ص٢١ .
أيضا ، مصطفى عبد العزيز العسقلاني ، عسقلان ودورها في الصراع الصليبي الإسلامـــي ،رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية الآداب ، جامعة الإسكندرية عام ١٩٩٢م، ص١٣

(٣١) حسن عبد الوهاب ، المرجع السابق ،ص٢١.

(٣٢) هاري المزبارتز ، المرجع السابق،ص١١١.

(٣٣) Barker , p.108 .

(٣٤) بيرل سمايلي ، المرجع السابق ،ص١٤٦.

(٣٥) عمر كمال توفيق ، المرجع السابق ، ص١٩٠ .

(٣٦) William of Tyre , Vol. II ,p.394 .

(٣٧) Ibid, p. 489 .

(٣٨) بيرل سمايلي ، المرجع السابق ،ص١٤٦.

(٣٩) Michaud, Bibliotheque des Croisades . T.I, Paris 1882,p. 24-25

(٤٠) بيرل سمايلى ، المرجع السابق،ص١٤٦ .

(٤١) La Monte,"Some problems in crusading Historiography" ,S.,Vol.XV,1940,p.60

عن ذلك بالتفصيل أنظر :

-Cintinuation de Guillaume de Tyre dite du manuscrit de Rotehlin (1229-1261) ed . R.H.C., Hist . Occ., T.II, Paris 1869 , pp. 489-639 .

-William of Tyre , Guillaume de Tyre et se Continuateurs .Texte par paulin , Paris 1879 .
-William of Tyre , Die lateinische fortsetzuny, (Latin Continuation) ed Salloch , Leipzig 1934 .
-Lamb, The Crusades, The Flame of Islam New York   :أيضا
1930, p.470

(٤٢)عمر كمال توفيق ، المرجع السابق ، ص ١٩٢ .

(٤٣) أسامة زكي زيد ، المرجع السابق، ص ٣٢-ص٣٣.

(٤٤) -Edbury , p.47-48 .

(٤٥) -Runciman. Vol. II, p. 477.

(٤٦) - Ibid ,p.477

(٤٧) عمر كمال توفيق ، المرجع السابق ، ص١٩٣ .

(٤٨) جمال الدين الشيال ، المرجع السابق ،ص١٩٣، زبيدة محمد عطا، الشرق الإسلامي والدولة البيزنطية زمن الأيوبيين ، ط. القاهرة ١٩٩٤م،ص٢١

(٤٩) محمود الحويري ، المرجع السابق ،ص١٨٤-ص١٨٥ .

(٥٠) - Prawer , 'West confronts east in the middle ages ", B.I.A.C.C., Vol. X11, 1989, p.15 .

انتوني بردج ،تاريخ الحروب الصليبية ،ت. غسان سبانو ونبيل الجيرودي ،ط. دمشق ١٩٨٥م ، ص١١٨، ميخائيل زابوروف ، الصليبيون في الشرق ، ت. إلياس شاهين ، ط. موسكو ١٩٨٦م، ص١٥٧.

وقد عبر بلدوين عن الأمر من خلال إشارته إلى أن المشكلة الكبرى التي واجهت اللاتين في سوريا كانت الأمن الحربي ، وكانوا أقلية في أرض غريبة،وكان عدد القوات التي يمكن أن يقدمها النبلاء محدودا، ويلاحظ أن الدعم المحلي كان في مناسبات محددة ولم يكن ثابتا ،لذلك لم يكن في الإمكان الاعتماد عليه .

عن ذلك أنظر :

Baldwin, " The latin states under Baldwin III and Amairic I -(1143-1147) , in setton , A History of the Crusades , Vol. I, Madison 1969 , p .529 .

(٥١) William of Tyre , Vol. II,p. 508.

(٥٢) عنه بالتفاصيل أنظر:

-Smail, "The international status of the latin kingdom of jeru- salem 1150-1192" ; in the eastern Mediterranean lands 1977, pp.23-43 in the period of the crusades , ed . by P.M. Holt , London

ترجمت هذه الرحلة إلى العربية بعنوان : رحلة الحاج الروسي دانيال الراهب في الديـار المقدسة ، ترجمة سعيد البيشاوي وداود أبو هدبة ، ط ١، عمان ، ١٩٩٢م .

(٥٣) - Daniel, Pilgrimage of the Russian Abbot Daniel in the Holy Land , Trans. by wilson , pp.T.S. Vol. IV, London 1958, p.9 .

(٥٤) William of Tyre , Vol. II , p.133.

(٥٥) عنها -Fetellus , Description of the Holy Land , Trans . by: J.R.: Macpherson, P.P.T.S. Vol . V,London 1896,p.33.

الادريسي، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق ،جـــ٤، تحقيق ديلافيلا و جايريلي وآخرون ،ط. نابولي ١٩٧٧م،ص٣٧٣.

-Fedden, Crusader Castles , Beirut 1957, p.24.

Boase,"Military architecture in the Crusader states in Palestine and Syria",in setton,A History of the crusades,Vol IV,Madison 1977, p.142

سميل ، الحروب الصليبية ، ت. سامي هاشم ،ط. بيروت ١٩٨٢م ص ٢١٢- ص٢١٤،محمد محمد مرسي الشيخ ، الإمارات العربية في بلاد الشام في القرنين

الحادي عشر والثاني عشر الميلاديين ، ط. الإسكندرية ١٩٨٠ م،ص٢٣٩ .

(٥٦) -Fulcher of Chartres , History of the expedition to erusalem Trans , by Rita Rian , Tennesse 1967 , p.220, Theoderich,

Description of the Holy places , Trans . by Aubrey stewart, P.P.T.S., Vol, London 1896, p.59 .
Burchard of Montsion , Description of the Holy land , Trans by Aubrey Stewart , P .P .T .S.,Vol London 1896, p.10, note (1) ,
Ludolph von Suchem , Descroption of the Holy Land , Trans . byAubrey Stewart , P.P.T.S., Vol . xll , London 1895, p. 61-62

(٥٧) عبد الرحمن زكي ، " القلاع في الحروب الصليبية " المجلة التاريخية المصريةم(٥١)، عام ١٩٦٩م، ص١٩ .

(٥٨) يوسف درويش غوانمة ، دراسات في تاريخ الأردن وفلسطين في العصر الإسلامي ،ط. عمان ١٩٨٣م،ص١٤٥ .

(٥٩) –William of Tyre, Vol, II , p.81

(٦٠) شين ماك جلين ،" بعض الأوهام عن التكتيك الحربي في العصور الوسطى " ت. إسحق عبيد مجلة الثقافة العالمية ، العدد (٦٥) ، يوليو ١٩٩٤م،ص(٦٢)

(٦١) -William of Tyre , Vol. II,P. 81.

(٦٢) –Ibid , p.81 .

(٦٣) –Ibid, p. 81.

عن موقع قلعة بيت جبرين أنظر :

ياقوت ، معجم البلدان ن تحقيق وستنفيلد ، ط. لبزج ١٨٨٩م،ص٧٧٦، شيخ الربوة الدمشقي ، نخبة الدهر في عجائب البر والبحر ، تحقيق مهرن ، ط. بطرسبرج ١٨٣٥م، ص ٢٠١، نبيلة مقامي : فرق الرهبان الفرسان في بلاد الشام في القرنين ١٢،١٣م، رسالة ماجستير كلية الآداب ، جامعة القاهرة عام ١٩٧٤م ،ص١٢، حسن عبد القادر ، أسماء المواقع الجغرافية في الأردن وفلسطين ط. عمان ١٩٧٤م،ص١٩.

-Le strange , palestine under the Mosems , description of Syria and the Holy land from 650 to 1500, Beirut 1965, p .413 .
-Johns, palestine of the Crusaders , Jerusalem 1946,p.18 .

(٦٤) - William of Tyre , Vol .II,p.81

(٦٥) -Ibid , p.81.

(٦٦) - Runciman, Vol. II, p.299

(٦٧) سعيد عبد الفتاح عاشور ، الحركة الصليبية ، جـ١،ط. القاهرة ١٩٨٢م ، ص٥٥١، محمود الحويري، المرجع السابق ، ص١٩١ العريني ، الشرق الأوسط والحروب الصليبية ، جـ١،ط. القاهرة ١٩٦٤م،ص ٣٧٤، آدم سميث ،الجغرافيا التاريخية للأرض المقدسة ،ط. بيروت ، ب.ت ،ص١٦٢.

ومن ناحية أخرى أطلق عليها الصليبيون أحيانا تعبير : Eleutheropolis

عن ذلك أنظر : -Fettelus , p.41

(٦٧) -William of Tyre , Vol. II,P.81 .

(٦٨) -Hume, Medical work of the knights Hospitallers of saint John of Jerusalem , Baltimore 1940, p.3

(٦٩) -Hearnshaw,"Chivalry and its place in History",in chivalry aseries of studies to illustrate civilizing influences ,ed.by Edgar prestige, London 1924, p.12 .

(٧٠) -William of Tyre , Vol.II,p.82 .

(٧١) دائرة المعارف الإسلامية ، " مادة بيت جبرين " ،جـ٨ ،ت. خورشيد وآخرون ط. القاهرة ،ب،ت،ص٤٩٧.

(٧٢) -Runciman , Vol.II,P.229, note(3)

حيث يرى عام ١١٣٥م/٥٣٠هـ .

(٧٣) -William of Tyre , Vol. II,p.82.

(٧٤) -Ibid, p.130 .

(٧٥) -Runciman, Vol. II,p.229.

وأنظر عن موقعها أيضا :

إبراهيم سعيد فهيم ، يافا ودورها في الصراع الصليبي الإسلامي ١٠٩٩-١٢٩١ م/٤٩٢-٦٩٠هـ ، رسالة ماجستير غير منشورة كلية الآداب –

جامعة الإسكندرية عام ١٩٩١م،ص٩٨، حاشية رقم (٢) .

(٧٦) -William of Tyre , Vol. II, p.130 .

(٧٧) - Ibid, p.130 .

(٧٨) - Ibid, p.130 .

(٧٩) -Ibid, p.131.

(٨٠) - Ibid, p.131 .

(٨١) مولر ، القلاع أيام الحروب الصليبية ، ت. محمد وليد الجلاد ، ط.دمشق م، ص١٦

(٨٢) -William of Tyre , Vol. II,p.131 .

(٨٣) -Ibid, p.131 .

(٨٤) -Ibid, p.131 .
-Nicolson,'The Growth of the latin states (1118-1144)",In Setton A History of the Cruades , Vol. I, Madison 1965, p. 444 .

(٨٥) -William of Tyre , Vol. II,p.131

(٨٦) -Ibidp.131

(٨٧) -Ibid, p.131 .

(٨٨) -Ibid, p.132 .

(٨٩) -Ibid, p.132 .
Benvenisti, The Crusaders in the Holy land , Jerusalem 1970 ,p.116

(٩٠) -William of Tyre , Vol. II,p.131

(٩١) -Ibid, p.132

(٩٢) مجموعة من الباحثين ، الحروب والحضارات ،ت. أحمد عبد الكريم ،ط. دمشق ١٩٨٤م،ص٢٧٩ .

ويشرح بوس الموقف قائلا ما معناه إن أهمية القلعة كانت على نحو خاص من

الزاوية الاقتصادية ، فالقريـــة المحصنــة كانت توفر مكــانا حصينا للمزارعين وعندما إزدادت مقاومة المسلمين للصليبييــن كانــت أسوار القلاع تقوم بمهمة حماية الفارين من المزارعين الذين يلجأون إليها.

عن ذلك أنظر أيضا

:-Boase , p.153. Smail , The Crusaders in Syria and the Holy land ,London 1973,p.90

(٩٣) مولر ، المرجع السابق ،ص١٦

(٩٤) -William of Tyre , Vol. II,p.127

ويلاحظ أن اسم باجانوس (باين) قد تردد مرارا خلال تلك المرحلة ، ومن الممكن أن نشير إلى ثلاثة أفراد مختلفين حملوا ذلك الاسم وهم ؛ساقي المملكة Butler of the Kingdom و شخص آخر كان مستشارا خــلال المرحلة من ١١١٥-١١١٨م/٥٠٩-٥١٢هـ ثم هناك هيــودي بايــن Hugh de Paynes والذي يقال إنه قام بدور هام خلال أحداث الحملة الصليبية عام١١٢٨م/٥٢٢هـ

عن ذلك أنظر : - William of Tyre , Vol. II,p.127 not (28)

(٩٥) -Ibid, p.127

(٩٦) يوسف درويش غوانمة ، إمارة الكرك الأيوبية ،ط.عمان ١٩٨٢م،ص٤٦.

(٩٧) نفسه ، نفس المرجع ،ص٤٨ .

(٩٨) نفسه ، التاريخ الحضاري لشرق الأردن في العصر المملوكي ،ط.عمان ١٩٨٢م،ص٢٥٩ .

(٩٩) مولر ، المرجع السابق،ص٥٧ .

(١٠٠) سعد محمد المومني، القلاع الإسلامية في الأردن في الفترة الأيوبية والمملوكية ط. عمان ١٩٨٨م،ص١٥٦ .

(١٠١) يوسف درويش غوانمة ، إمارة الكرك الأيوبية ،ص٥٢ .

(١٠٢) عنها أنظر :

ياقوت ، معجم البلدان ، جـ٣،ط.بيروت ١٩٩٠م،ص٤٢٠، أبو الفداء ، تقويم

البلدان ، تحقيق رينو وديسلان ". باريس ١٨٤٠م،ص٢٤٧، مرمرجى الدومنيكى ، بلدانية فلسين العربية ط.بيروت ١٩٨٧م،ص٢٧٤ .

(١٠٣) أحمد رمضان أحمد ، شبه جزيرة سيناء في العصور الوسطى ، ط، القاهرة ١٩٧٧م،ص٦٥-ص٦٦.

(١٠٤) عن تلك القلعة أنظر :

-Savignac, "Au airah ", R.B.,T. XII,1903,pp.114-130.
-Runciman , Vol. II,230 .

(١٠٥) سعيد عبد الفتاح عاشور ، المرجع السابق،جـ٢ص٦٩١ .

(١٠٦) مولر ، المرجع السابق ، ص١٦ .

-Duggan, The story of the Crusades (1079-1291), London 1936, p.7

(١٠٧) -Suhlumgerger , Renauld de Chatillion, Paris 1893,p153.
Conder , The Latin kingdon of Jerusalem , London 1897 ,p.101.

(١٠٨) - William of Tyre , Vol. II,p.202.

(١٠٩) -Ibid , p202.

وعن تشييد قلعة غزة أنظر :

Jacques de Vitry , History of Jerusalem , Trans . by Stewart, P.P.T.S., Vol. XI, London 1896, p.14 .

(١١٠) –Mayer , The Crusades, Trans . by John Gilingham, Oxford 1972,p.151 .

(١١١) أنظر تعليق بابكوك وكراي في هامش ترجمة وليم الصوري الانجليزية :
- William of Tyre , Vol. II,p.230 not (27)

(١١٢) عن هيئة الداوية أنظر :

William of Tyre , Vol. II,p.254. Fetellus , p.39 .
إبراهيم خميس ، العلاقات السياسية بين جماعة الفرسان الداوية والمسلمين من ١٢٩ الى ١٢٩١م/٥٨٩الى ٦٩٠هـ , رسالة دكتوراه غير منشورة ، كلية الآداب

جامعة الإسكندرية عام ١٩٨٣م.

(١١٣) William of Tyre , Vol. II,p.203.

(١١٤) عن ذلك أنظر: -Archer, The Crusades , London 1894, p.173,Northup;The knights Templars in the Holy land (1118-1187) M.A. Thesis , Uuiversity of California 1943, p.41.

(١١٥)عنها أنظر :حسن عبد الوهاب ، جماعة الفرسان التيوتون في الأرض المقدسة حوالي١١٩٠-١٢٩١م/٥٨٦-٦٩٠هـ،ط.الإسكندرية ١٩٨٩م، ص١٨٨-١٨٩ مولر ، المرجع السابق ،ص٩٨-٩٩.

الفصل الثالث

أضواء على الطب في المناطق الصليبية

في المرحلة من

١٠٩٨-١١٧٤م/٤٩١-٥٧٠هـ

يتناول هذا الفصل بالدراسة الجوانب الطبية في المناطق الصليبية خلال المرحلة من ١٠٩٨- ١١٧٤م/٤٩١-٥٧٠هـ، أي خلال المرحلة الواقعة من استقرار الصليبيين في شمال الشام حتى وفاة الملك الصليبي عموري الأول (١١٦٣-١١٧٤م/٥٥٩-٥٧٠هـ) وهو بالتالي يتعرض لما يتصل بالجوانب الطبية لدى الفرنجة الصليبيين الذين قدموا إلى المنطقة كغزاة منذ أخريات القرن الحادي عشر الميلادي/ الخامس الهجري ، ويتصدى لتلك الجوانب الطبية لدى الغرب الأوربي في العصور الوسطى كمدخل للموضوع الأصلي . كما يتعرض لأنواع الأمراض التي واجهت الفرنجة الصليبيين والمؤسسات العلاجية في صورة المستشفيات وأساليب العلاج لديهم ، ونوعيات الأطباء الذين عملوا في صفوف الصليبيين سواء من العناصر اللاتينية أو من العناصر المحلية في بلاد الشام كاليهود ، والمسيحيين الشرقيين ، والمسلمين ، كذلك يتعرض البحث لمستوى الطب الصليبي ، وقيام الصليبيين بالإفادة من طب المسلمين من خلال حركة الترجمة من العربية إلى اللاتينية .

والجدير بالذكر ؛ أن دراسة الطب في المناطق الصليبية خلال المرحلة من ١٠٩٨-١١٧٤م/٤٩١-٥٧٠هـ يعد موضوعا على جانب كبير من الأهمية في دراسة تاريخ العلاقات بين الشرق والغرب في العصور الوسطى وخاصة خلال مرحلة الحروب الصليبية ، ويلاحظ أن الباحثين كثيرا ما اتجهوا إلى دراسة الموضوعات ذات الطابعين الحربي والسياسي المتصلة بالوجود الصليبي في بلاد الشام في ذلك العصر وتجنبوا التعرض للنواحي الطبية على الرغم من أهميتها في دراسة أوضاع الصليبيين الحضارية . وان وجدت لدى مؤلفات الباحثين إشارات عن ذلك فهي قليلة ونادرة ولا تشفي غليل الباحث المتطلع إلى المزيد عن تلك الناحية .

ويعاني الباحث المتصدي بالكتابة التاريخية عن الجوانب الطبية في المناطق الصليبية خلال المرحلة الزمنية المذكورة من مشكلة قلة إن لم يكن ندرة الإشارات المصدرية؛ فالمؤرخون الصليبيون المعاصرون لتلك المرحلة وكذلك المتأخرون، علوا نصب أعينهم الاهتمام بقضايا الصراع الحربي بين الصليبيين والمسلمين في ذلك

العصر ، وندرت في مؤلفاتهم الإشارات المتصلة بالطب والأطباء ، وإن وردت في مؤلفاتهم ذرات متناثرة هنا وهناك .

أما المصادر العربية ذاتها ، فهي تعاني من نفس الأمر بصورة أكثر تزايدا ، خاصة من خلال ملاحظتنا أن المؤرخين المسلمين المعاصرين لتلك المرحلة جعلوا جلّ اهتمامهم التصدي لقضية الجهاد الإسلامي في مواجهة الصليبيين ، وتطور حركة الإفاقة الإسلامية ضد الغزاة ، ولذلك خلت مؤلفاتهم — في الغالب الأعم — من تناول أوضاع الصليبيين لاسيما أوضاعهم على المستوى الطبي ، وذلك باستثناء ما نجده فيما ألفه أسامة بن منقذ (ت٥٨٢هـ/١١٨٨م) الذي خبر الصليبيين وبالتالي قدم لنا رؤية هامة عن الجانب الطبي لديهم من خلال إتصاله الوثيق بهم .

وعلى الرغم من قلة الكتابات التاريخية عن هذا الموضوع باللغة العربية ، إلا أن هناك بعض الدراسات التي قام بها باحثون غربيون ومن أمثلتها دراسة هيوم عن العمل الطبي لفرسان الاسبتارية الصادرة من جانب معهد تاريخ الطب التابع لجامعة جون هو بكنز ، وصدرت في بالتيمور عام ١٩٤٠م ([١])، كذلك دراسة آن وودنجز عن ممارسة الطب في الدول الصليبية في سوريا وفلسطين في المرحلة من ١٠٩٦-١١٩٣م ونشرت في مجلة التاريخ الطبي في عام ١٩٧١م([٢])، ويلاحظ أن الدراسة الأولى إختصت بالإسبتارية فقط واهتمت بكل مرحلة الحروب الصليبية ، أما الدراسة الثانية اهتمت فيها الباحثة بالطب لدى الهيئات الحربية الصليبية كما أنها أغفلت تماما أمر حركة الترجمة في المجال الطبي من العربية إلى اللاتينية . وعلى الرغم من كافة تلك الاعتبارات إلا أنها ألقت الضوء على الطب لدى الصليبيين على نحو أفاد في البحث .

---

١ Hume, Medical Work of The Knights Hospitallers of St. John of Jerusalem , institute of History of Medicine of The John Hopkins University , Baltimore 1940

٢ Woodings, The Medical Resources and practice of The Crusader States in Syria and Palestine (1096-1193)" , M.H., VoL.XV, No. 3, July 1971, pp.268-277 .

وواقع الأمر أن المدخل الحقيقي لدراسة الطب في المناطق الصليبية خلال المرحلة من ١٠٩٨-١١٧٤م/ ٤٩١-٥٧٠هـ يتمثل في التعرض بإيجاز للطب في الغرب الأوربي خلال المرحلة السابقة أي من القرن السادس حتى القرن الحادي عشر الميلادي .

والواقع أن من الأهمية بمكان إدراك أن الكنيسة في أوربا العصور الوسطى قد نظرت إلى المرض على اعتبار أنه عقاب إلهي من جراء الذنوب والآثام التي إقترفها الناس (١) ، ومن ثم وردت إشارات خاصة بمهاجمة كبار رجال الكنيسة للأطباء ودورهم في علاج الأمراض ، من ذلك ما نعرفه من أن جر يجوري أسقف تور Gregory of Tours (٥٤٠-٥٩٤م) قد أنزل عباراته القاسية على الأطباء وقد قرر أن وظيفتهم تؤدي إلى إلحاق الآلام بالمرضى أكثر من أن تعمل على تخفيف حدتها (٢) .

وعلى الرغم من تلك النظرة العدائية ، إلا أن ذلك لم يمنع وجود منشآت خاصة بالعلاج في صورة المستشفيات التي لعبت دورها الهام في طب أوربا العصور الوسطى .

وفي هذا الصدد نذكر أن القرن السادس الميلادي ، قد شهد في إسبانيا ظهور بيت للضيافة Xenodocium وقد أسس من جانب أسقف ميريدا Merida وكان يحتوي على عدد من الأطباء،وتمت فيه معالجة اليهود والمسيحيين على حد سواء (٣) وفي نفس القرن هناك من يقرر ظهور ما يعرف بنزل الرب Hotel de Dieu في ليون Lyons بفرنسا الذي أفتتح عام ٥٤٢م، وكذلك نزل الرب في باريس Paris الذي افتتح هو الآخر ولكن في القرن التالي وبالتحديد في عام ٦٦٠م، وفي تلك المؤسسات كان هناك الاهتمام بأرواح ، وأجساد النزلاء من خلال دور الرهبان في هذا الصدد (٤) . وبالتالي ليس من المقبول ما تصوره أحد الباحثين في قوله أن أول مستشفى في الغرب الأوربي قد ظهرت في صورة مستشفى Les Qumnze vimgts. في عهد الملك الفرنسي لويس التاسع وأنها شيدت خلال المرحلة من

١٢٥٤-١٢٦٠م/٦٥٠-٦٥٦هـ (٥) والواقع إن ظهورها كان من قبل ذلك بقرون عديدة .

ومن زاوية أخرى ، من الملاحظ أنه فيما يتعلق ببيت الضيافة أو xenodocium، هناك من يقرر أنه فيما قبل عام ٨٠٠م . وكانت الوثائق اللاتينية تستعمل التعبير اليوناني المذكور كوصف للمنازل ذات الأعمال الخيرية العامة ، وكانت كلمة Hospital اللاتينية شائعة الاستعمال أيضا بيد أن الكتاب كانوا يستخدمون التعبير اليوناني (٦) .

وفي غالة الميروفنجية ظهرت مستشفيات وصفت بأنها " حقيقية " أولها أسسها الأسقف براكتوس أوف أوفرين Praeiectus of Avvergne في كليرمونت Clermontبفرنسا خلال القرن السابع الميلادي وثانيها كانت من جانب أسقف غير محدد وفي نفس الوقت في بواتو Poitou ، وكلاهما كانت مؤسسات صغيرة الحجم ، وكانت الأولى التي في كليرمونت تتسع عشرين من المرضى ، والثانية تتسع لأثني عشر شخصا (٧) .

وفي ا لقرن الثامن ، قدمت لنا إشارات تفيد بان الشاعر الكوين Alcuin قد وصف مركزا طبيا في مملكة شارلمان Carolus Magnus (٧٤٢-٨١٣م/٧٤-١٤٥هـ)، وقد وصف وجود الأطباء ، ولم يسعه إلا أن يقدم دعاية لهم بأن يوفقهم الرب في عملهم العلاجي (٨) .

وهناك من الباحثين من يقرر أن الوثائق التي رجعت إلى المراحل الميروفنجية والكارولنجية ، تناولت على نحو متكرر النزل Hospices ، وكانت تقام مجاورة للأديرة أو المدن الرومانية الباقية في إيطاليا والأجزاء الجنوبية من فرنسا وان القليل من تلك النزل كان بمثابة مستشفيات حقيقية (٩) .

ومن ناحية أخرى ، أسس أدلارد أوف كوربي Adakard of Corbie ، بيتا للضيافة في القرن الثامن م/ الثاني هـ ، وكان ما أقامه يشابه ذلك النزل الذي أقيم في القرن التاسع م/الثالث هـ والذي وصفه ثيودوولف Theodulf الأسقف والشاعر

الكارولنجي في قصيدة أوضح فيها أن المريض ، والمتعب كان بإمكانه أن ينال قسطا من المعاونة (١٠) .

والى جانب المستشفيات كانت هناك الأديرة تقوم بدورها العلاجي ، ولا أدل على ذلك من أن إحدى المخطوطات الطبية من القرن التاسع م/الثالث هـ تناولت دير القديس جال St. Gall تظهر فيه الغرف وفيها قسم مخصص للرهبان الذين هم في حالة مرضية سيئة ؛ ومعهم الأطباء والمديرين (١١)، وكان العلاج من خلال استعمال نوعيات من الأعشاب أو اتباع نظام غذائي محدد (١٢)، ويلاحظ أن تلك الأديرة كانت لها صيدلياتها من خلال الحدائق التي زرعت بها مختلف أنواع الأعشاب الطبية (١٣).

وقد استمرت تلك المؤسسات السابقة في عملها العلاجي بصورة أو بأخرى فإذا ما وصلنا إلى القرن الحادي عشر / الخامس هـ وجدنا أن العديد من المستشفيات أخذت في الانتشار في الغرب الأوربي (١٣) .

أما الأمراض التي تم علاجها ، فهناك ثمانية أمراض عدت مراض معدية ، وهي الطاعون الدملي ، والتدرن الرئوي ، والصرع ، والجرب ، والحمرة ، والبثرة الخبيثة ، والرمد الحبيبي ، الجزام ، وكذلك الأوبئة التي كانت تحل بالغرب الأوربي مثل ذلك الوباء الذي وقع في فرنسا ، وألمانيا في أعوام ٩٩٤م/٣٧٨هـ، ١٠٤٣م/٤٤٤هـ ، ١٠٨٩م/٤٨٢هـ ، وقد أسماه الفرنسيون Malades ardents (وباء احتراق) (١٥) .

وفيما يتعلق بأساليب المعالجة الطبية خلال تلك المرحلة فان إشارات المصادر التاريخية بشأنها قليلة ونادرة .

ومع ذلك يمكن ملاحظة بعض أمثلتها الدالة عليها إذ أن كاسيو دورس Cassiodorus المستشار الخاص بثيودريك Theadorich الفاتح الاستروجوتيك وحاكم إيطاليا ، في خطاب مكتوب إلى الطبيب الملكي في القرن السادس يعطي فكرة عن وسائل التشخيص Diagnosis في ذلك العصر ؛ إذ يوضح أن الطبيب الماهر

يستطيع من خلال نبض الأوردة الكشف عن مظاهر إختلال جسد المريض تماما مثلما تظهر دلالات البول لعينيه (١٦)

ومن جهة أخرى ، نجد أن أيزيدور الاشبيلي Isidor of Seveille في وقت مبكر من عام ٦٠٠م يكتب أنه من الضروري بمكان علىالطبيب أن يعرف شيئا ما عن التنجيم Astronomy على إعتبار أنه من الممكن أن يحسب النجوم، وكذلك الفصول لأنه يقال إن أجسادنا متأثرة بتلك العوامل (١٧) ، ويلاحظ أن تلك الفكرة إستمرت طوال العصور الوسطى في الغرب الأوربي ، ولم يكن الأمر قاصرا على تلك المرحلة المبكرة فقط ، ولا نغفل أن الحكام والملوك حينذاك كانوا يستخدمون المنجمين من أجل معرفة أنسب الأوقات لتحركاتهم المختلفة (١٨) .

وإضافة إلى ما سبق كان العلاج قائما على السحر وذلك من أجل التكهن عن مسار المرض وأثره على مصير المريض ، وقد ورد في كثير من المخطوطات الطبية التي وصلت إلينا وتناولت تلك المرحلة إشارات إلى طائر يسمى كالديوس Caladius استخدم في هذا المجال (١٩) .

وفي تلك الآونة ظهرت المعجزات وكرامات القديسين بصورة كبيرة ، ومن الملفت للإنتباه أن المرضى المصابين بالحمى ، أو غيرها من الأمراض منهم من كان يذهب إلى سور أحد الأديرة ويمكث هناك انتظارا لحلول معجزة أو كرامة تؤدي به إلى الشفاء (٢٠).

ويلاحظ أن فكرة المعجزات الشفائية وجدناها لدى أذهان رجال الكنيسة ، وهم في ذلك كانوا يعتمدون على نصوص الإنجيل من ذلك ما ورد في إنجيل متى بشأن دعوة السيد المسيح للحوار بين شفاء الأمراض ، وتطهير المبرصين ، وإخراج الشياطين (٢١) .

وبناء على ذلك وجدنا الطب خلال تلك المرحلة يرتبط ارتباطا قويا بالقديسين إذ ظهر عدد من القديسين الذين إرتبطت أسماؤهم بأنواع العلاج المعجز ، وكان من

بين أولئك أخوان توأمان هما كوزماس Cosmas ودامیان Damian الذين استشهدا عام ٣٠٣م ، واللذان صار القديسين الحاميين للطب (٢٢) .

وفي نفس الإتجاه وجد هناك عدد من القديسين الذين إعتبرهم العصر حماة لأعضاء جسد الإنسان المختلفة ، فهناك القديس بلازيوس St.Blasius ؛ الذي صار قديسا حاميا للحلق والرئة ، والقديسة ابولونيا Apolonia حامية للأسنان ، أما القديس ايراموس St, Eramus فكان يحمي البطن ، أما القديسة لوشيا St. Lucia وكذلك تردوانا St.Triudauna فاختصا بحماية العين ، وكان القديسون الآخرون معالجين أقوياء لأمراض أخرى ، وقد انتشرت في الغرب الأوربي عيادة أولئك القديسين ، لما لهم من دور في العلاج الطبي من خلال المعجزات الشفائية (٢٤)التي تصورها المعاصرون .

أما إذا إنتقلنا للحديث مع أحد فروع الطب الكبرى ، ونعني به الجراحة Surgery،ودورها خلال تلك المرحلة فنجد أن هناك من يقرر أن الجراحة حينذاك كانت تحمل إضمحلال وانهيار الجراحة الكلاسيكية (٢٥) أي التي اتخذتها أوربا من التراث الطبي اليوناني القديم . ومع ذلك فقد حدث تطور هام في مجال الجراحة على نحو خاص وغيرها من المجالات الطبية عندما ظهر إلى الوجود تأثير ما عرف بمدرسة سالرنو The School of Salerno بجنوب إيطاليا .

والوقع أن هناك إختلافا بين الباحثين حول نشأة مدرسة سالرنو الطبية ، غير أن هناك من يقرر أن مدرسة سالرنو قد ظهرت إلى الوجود منذ القرن العاشر الميلادي /الرابع الهجري خاصة حوالي عام ٩٨٥م، على اعتبار أن هناك إشارة خاصة بذهاب الأسقف أدالبيرو الثاني Adalbero II بعد إعتماده أسقفا عام ٩٨٥م إلى هناك من أجل الاستشفاء (٢٦) ، وتتجه كثرة من الآراء إلى جعل تلك الحادثة بمثابة البداية الحقيقية لتلك المدرسة الطبية .

وهكذا ، فإننا نجد تلك المدرسة قائمة في القرن الحادي عشر م وكان بها عشرة مدرسين من كبار أساتذة الطب في المدينة ، وقدم إليها عدد كبير من المرضى

للعلاج وبصفة عامة أعتبرت تلك المدرسة أول مدرسة طبية منظمة في أوربا العصور الوسطى ؛ وعلى الرغم من أنها لم تنجب عبقريا نابها ، ولا إكتشافا كبيرا في مجـــال الطب ، إلا أنها كانت أصل كل المدارس الطبية المتعددة التي سرعان ما انتشرت بعـد ذلك في أوربا كما حدث في مونبليه Montpellier ، وباريس Paris في فرنســا ، وبولونيا Polonia وبادوا Padua في إيطاليا (٢٨) .

وكان الحدث الهام في تاريخ تلك المدرسة مســاهمة قسـطنطين الأفريقــي Constantinus Africanus في حركة الترجمة من العربية إلى اللاتينية وارتباطـه بها ، وقد ولد في قرطاجة عام ١٠١٨م/٥١٣هـ وكرس حياته لدراسة الطب ، وبعــد مرحلة إنتقال ، وترحال إتجه إلى سالرنو ومن بعدها إلى الدير البندكتي فــي مونــت كاسينو Monte Casino بإيطاليا ؛ وظل هناك حتى توفي عام ١٠٨٧م/٤٨٠هـ (٢٩) . وقد ترجم من العربية إلى اللاتينية عددا من المؤلفات يقدر بســبعة وثلاثيــن كتابا في الطب والفلسفة سواء كتب كبيرة أم رسائل صغيرة (٣٠) ، وعلى الرغم مــن أن ترجماته لم تكن تتسم بالدقة وانه كان ينقل دون أن يشير إلى مصادره ونسب إلـــى نفسه التأليف أحيانا ، إلا أنه ساعد على تنشيط مدرسة الطب فــي ســالرنو بصــورة واضحة (٣١) .

ويلاحظ أن أهم مؤلفات أطباء تلك المدرسة مـــا يعــرف باللاتينيــة باســم Regiman Sanctatus Salernitanum وبالإنجليزية Salernitan Guide to Health أي المرشد السالرني للصحة (٣٢) وقد ألف حوالي عام ١١٠٠م/٤٩٣هـ وهو عبارة عن قصيدة مكونة من ٣٥٢بيتا وضع لها شروح فيما بعد أهمها ما قام بــه أرنولد أوف فلانوفا Arnold of Villanova (١٢٣٥-١٣١٢م/٦٣١-٧١١هـ) (٣٣) وقد ترجم إلى لغات عديدة ويقال إنه كتب أصــــلا مــن أجـل روبــرت دوق نورمنديا Robert of Normandy الذي زار سالرنو من أجل العلاج مــن جــراح أصابته (٣٤) .

ومهما يكن من أمر ؛ ففي أخريات القرن الحادي عشر م/الخامس هـ كانت الدعوة للمشروع الصليبي من خلال دور البابا أوربان الثاني Urban II (١٠٨٨-١٠٩٩م/٤٨٢-٤٩٢هـ) في مجمع كلير مونت Clermont بفرنسا في ٢٧ نوفمبر عام ١٠٩٥(٣٥) ، وعلى ذلك قامت الحملة الشعبية ثم من بعدها حملة الأمراء ؛ التي نتج عنها تكوين إمارات صليبية على حساب المسلمين الذين عانوا بحدة من التشرذم السياسي ؛ والتصارع المذهبي ، وذلك في الرها Edessa،وأنطاكية Antioch ، ومملكة بيت المقدس اللاتينية The Latin Kingdom of Jerusalem ، وطرابلس Tripolis .

ومن الأهمية بمكان إدارك أن المعرفة الطبية لدى كل طرف من طرفي الصراع سواء المسلمين أو الصليبيين خلال تلك المرحلة ، كان لها نصيبها في ساحة الصراع ذاته ، من خلال رغبة كل طرف في الحفاظ ــ قدر الاستطاعة ــ على أكبر عدد ممكن من القوة البشرية المحاربة والمنتجة إقتصاديا ، على إعتبار أن العنصر البشري كان هو الذي يحارب ويستولي على المواقع ويكسبها إلى صفه ، وهو الذي يدير عجلة الإنتاج في مرافقه المختلفة في عصر لم يعرف ثورة تكنولوجية بديلة عن الدور البشري وحيث أن الجانب الصليبي على نحو خاص عانى من مشكلة نقص العنصر البشري ، فمن ثم كان الاحتفاظ بأكبر عدد ممكن من القوة البشرية ، قضية عظيمة الأهمية والحيوية بالنسبة للوجود الصليبي الغازي لمنطقة كان الجانب الإسلامي فيها يسيطر على سهول وديان الأنهار المتعددة مثل النيل ، ودجلة والفرات وبردى وغيرها من أنهار مصر والشام والعراق وبالتالي تمتع بكثافة سكانية مرتفعة بالمقارنة بواقع الصليبيين .

ومنطقي أن الجانب الطبي كان له دوره في إحتفاظ الصليبيين بما لديهم من قوة بشرية ، ولذا من الممكن إعتبار ذلك الجانب أحد أسلحة المواجهة لدى الصليبيين ضد المسلمين ومنها تبرز أهمية دراسته أصلا .

ومع مقدم الصليبيين إلى المنطقة واستقرارهم فيها ،ظهرت الحاجة إلى توفير الرعاية الطبية لعناصرهم خاصة من أجل برء الأمراض ومواجهة جراح عناصر الفرسان والمشاة باعتبارهم القوة الهجومية ، والدفاعية عن ذلك الوجود الصليبي ، يلاحظ أن انتشار الأمراض في صفوف الصليبيين في بداية استقرارهم في المنطقة من جراء اختلاف الظروف المناخية في بلاد الشام عنها في الغرب الأوربي وبالتالي ارتفاع معدل الوفيات في صفوفهم . كل ذلك أثر في عدم تكون طبقة من عناصر الفرسان خلال تلك المرحلة المبكرة من تاريخ الصليبيين(٣٦)في المنطقة . بالإضافة إلى ملاحظة أن عناصر الفرسان والمشاة ولا سيما الفرسان على نحو خاص كانت تتعرض للإصابة من خلال هجمات المسلمين المتعددة على نحو جعلها تتعرض لنقص خطير .

ولا نغفل حقيقة هامة أخرى ، تتمثل في أن مملكة بيت المقدس الصليبية على نحو خاص كانت محط مقدم الآلاف من الحجاج الأوروبيين الذين رغبوا في زيارة الأماكن المقدسة التي ارتبطت بالتاريخ المبكر للمسيحية في فلسطين ، وكانت أعداد أولئك الحجاج في تزايد مستمر خاصة بعد نجاح الصليبيين في احتلال تلك المناطق ، وقد قطع أولئك الحجاج الأوربيين رحلة شاقة لمسافات طويلة من أجل الوصول إلى هدفهم النهائي . وعندما كانوا يصلون إلى يافا Joppa ؛ وهي ميناء بيت المقدس كان عليهم أن يقطعوا الطريق بين يافا والمدينة المقدسة ، وكانت هناك هجمات المسلمين على أولئك الحجاج وتعرضت عناصرهم للقتل (٣٨) والجرح ،ومن ثم وجدت الحاجة إلى المحافظة على أرواحهم ، وإسعاف العناصر المصابة منهم ، وتوفير الرعاية الصحية لهم ، بالإضافة إلى أن عناصر الحجاج عندما عادوا إلى بلادهم في الغرب الأوربي تحدثوا عن إمكانيات المملكة الصليبية فيما يتصل برعايتهم صحيا على نحو كان يعني الدعاية السياسية للوجود في بلاد الشام على نحو كان يضمن للصليبيين مكانة متميزة في الأوساط الدولية في الغرب الأوربي على نحو خاص . ومن ثم كان

الاهتمام بالجانب الطبي أمرا له أهميته الخاصة فيما يتصل بمركز المملكـة الصليبيـة الخارجي .

وهكذا نرى أن توفير الرعاية الطبية كان أمرا محتما بالنسـبة للصليبيين أن يهتموا به من أجل رعاية العناصر المحاربة ، وكذلك عناصر الحجاج الوافدين إلـى المملكة الصليبية ، بالإضافة إلى المحافظة بصفة عامة على طاقاتهم البشرية . ومركز ومكانة المملكة الصليبية على المستوى الدولي .

ومن الجوانب الهامة التي يتصدى لها البحث بالدراسة ، نوعية الأمراض التي تعرض لها الصليبيون في بلاد الشام خلال المرحلة الممتدة من عـام ١٠٨٩-١١٧٤م/ ٤٩١-٥٧٠هـ ، والواضح أن الحالات المرضية خلال تلك المرحلة كانت متعـددة ، ويمكن تقسيمها إلى أمراض وبائية ، ثم حالات الإصابة بالتسمم ، وكذلـك الإصابـة بالجروح من خلال المعارك الحربية والصدامات المسـلحة بيـن عنـاصر الفرسـان الصليبيين ، وكذلك الإصابة بالحمى ، ثم الأمراض التي توصف بأنها أمراض سـرية محتملة .

وبالنسبة للأمراض الوبائية نعرف أن مرحلة مقدم الصليبيين إلى بلاد الشام قد شهدت مواجهتهم لأول حالة مرضية أخذت طابع الوباء الجماعي ، وكان ذلك خـلال حصار مدينة أنطاكية خلال شتاء عامي ١٠٩٧-١٠٩٨م/٤٩٢-٤٩٣هـ . وفي تلـك المرحلة كان الجوع وعدم توافر الأغطية الملائمة لمواجهة ذلك الشتاء القارص والبيئة غير الصحية في المعسكر الصليبي ، ثم في أنطاكية نفسها ، كل ذلك كان به دوره فـي تزايد حدة المرض (٣٩) ، وانتشاره وتشير المصادر الصليبية إلى أن الصليبيين لـم يستطيعوا تحمل البرد القاسي دون وقاية ، وأن فيضانات الماء إندفعت فـي صـورة سيول أفسدت الطعام ، ولـم يكن هنـاك موقع جاف كان بإمكان الصليبيين اللجـوء إليه (٤٠).

ونتيجة لذلك وقع وباء في صفهم وصف بأنه كان قاسيا ، ومميتا لدرجـة أن الصليبيين نادرا ما تمكنوا من العثور على مكان لدفن موتـاهم (٤١)؛ ولاذ الكثـيرون

بالفرار هربا من الوقوع فريسة ذلك الوباء ، ومن المحتمل أن ذلك الوباء كان في صورة مرض التيفود الذي فتك بأدهيمار المندوب البابوي في أول أغسطس عام ١٠٩٨م(٤٢) .

ويوضح أحد الباحثين أن تأثير ذلك المرض الذي اتخذ شكل الوباء ؛ كان كبيرا على قوة الصليبيين البشرية ، إذ أنه في خطاب كتبه أنسلم أوف ريبيمون Anselm of Ribemont إلى رئيس أساقفة ريمز Rheims في نوفمبر عام١٠٩٧م/٤٩١هـ طلب انسلم الصلاة من اجل أرواح ثلاثة عشر رجلا أصيبوا من جراء ذلك الوباء ، ويلاحظ أن سبعة من هؤلاء الرجال قتلوا في ساحات المعارك وستة ماتوا من جراء المرض الفتاك (٤٣) .

والجدير بالذكر ، أنه طوال الرحلة التالية من تاريخ الصليبيين في المنطقة وحتى عام ١١٧٤م/٥٧٠هـ لم ترد إشارة خاصة بحدوث وباء في صفوفهم ، وقد عملوا على تجنب حدوثه بقدر المستطاع .

ونجد مثالا وضاحا دالا على ذلك في صورة أحداث ما بعد إقتحام الصليبيين لمدينة بيت المقدس في عام ١٠٩٩م/٤٩٢هـ ، حيث سارعوا بعد المذبحة المروعة التي أحدثوها في سكانها بتنظيف المدينة من جثث القتلى ، وذلك قبل كل شيء ، وكانوا يخشون أن ينتشر الوباء في صفوفهم من جراء الهواء المشبع برائحة الجثث النتنة ؛ وقد وصف ذلك العمل بأنه كان عملا كبيرا للغاية ، وتم تقديم أجرة يومية للعاملين من أهل المدينة الذين ظلوا أحياء للمساعدة في تطهير المدينة دونما إبطاء (٤٤) ، ولا شك أن الصليبيين كانوا يدركون خطورة وجود تلك الجثث دون الإسراع بدفنها ، الأمر الذي يعكس أيضا وجود معارف طبية لدى الصليبيين خاصة بإنتشار الأمراض ، والتلوث ، والعدوى خلال تلك المرحلة المبكرة من وجودهم في بلاد الشام .

وإذا كان مثال حدوث الوباء في صفوف الصليبيين في أنطاكية عام ١٠٩٨م/٤٩١هـ ، يوصف بأنها حالة مرضية جماعية فإن هناك حالات مرضية ذات طابع فردي تختلف عن صورة الوباء السابق .

والوقع أن من تلك الحالات المرضية التي واجهها الصليبيون في بلاد الشام حالات التسمم ، ومن المعروف أن أنواع السموم كانت متعددة ومعروفة منذ مرحلة الطب اليوناني القديم ، فهناك السموم الحيوانية مثلما نجده لدى الخنفساء والضفدع البري والأفاعي السامة ، والسموم النباتية كالخشخاش والأفيون ، ثم السموم المعدنية كالزرنيخ (كبريت الزرنيخ)(٤٥) . مع ملاحظة أن درجة سميتها كانت بحسب اختلاف نوعيتها ومقدار الجرعة المعطاة للشخص ، وكذلك الحالة الصحية العامة للجسم (٤٦) .

ومن المعروف وجود بعض الأعراض الناجمة عن حالات التسمم مثل القيء والإسهال أو العطش الشديد وشعور الشخص بآلام في الظهر إلى نحو ذلك (٤٧).

وإذا تمعنا في الحالات المرضية الناتجة عن الإصابة بالتسمم على إمتداد تاريخ الصليبيين خلال المرحلة موضوع البحث ، فإننا نلاحظ تعددها بصورة واضحة ومن الممكن إدراك أن أنواع السموم المختلفة استعملت من أجل الفتك بالقيادات السياسية الصليبية المتصارعة والمتنافسة ، وأن الطب عند الصليبيين وقف عاجزا عن علاجها على نحو أدى إلى وفاة المتسمم في النهاية دون أن تقدم له أية وسائل لإنقاذ حياته من الهلاك باستثناء بعض الحالات الخاصة .

والواقع أن معرفة الصليبيين بأنواع السموم كانت جيدة ، بل واستعملوا السموم في الفتك حتى بالحيوانات المفترسة التي وجدوا صعوبة في اصطيادها مثل الفهود وغيرها (٤٨) .

ويعنينا في المقام الأول هنا حالات التسمم لدى الصليبيين ، ولعل من الأمثلة البارزة الجديرة بالذكر فيما يتصل بحالات التسمم ما نعرفه من أن الملك الصليبي بلدوين الثالث (١١٤٣-١١٦٢م/٥٣٨-٥٥٨هـ) الذي وصف بأنه كان طويل القامة ،

وقوي البنية ، واتسم عموما بصحة جيدة ، ورجولة ، وحيوية متدفقة قد خر مريضا خلال اجتيازه طرابلس في طريقه إلى بيت المقدس ، وقد أرسل كونت طرابلس رايموند الثالث Raymond III (١١٥٢-١١٨٧م/٥٤٧-٥٨٣هـ) عام ١١٦٢م/٥٥٨هـ طبيبه الخاص ، واسمه البراق لكي يقوم بعلاجه إلا أن حالته ازدادت سوءاً ؛ ومات في بيروت في فبراير من العام المذكور (٤٩)، ويقرر وليم الصوري نفسه أن ذلك الطبيب أعطاه أقراصا مسمومة أصابته بالحمى ، والإسهال (٥٠) ، ولم يستطع أحد أن يقدم له نجدة أو مساعدة ذات فائدة في علاجه وتدل عبارته على عجز الصليبيين عن تدارك مثل تلك الحالات السمية .

ومع ذلك من الإنصاف أن نقرر أن الحالات التي عجز الصليبيون عن مواجهتها كانت حالات التسمم عن طريق الفم ثم الجهاز الهضمي ووصولها إلى كافة أجزاء الجسد من بعد ذلك ، غير أن هناك حالات أخرى في صورة لدغ العقارب أو الأفاعي لأطراف الجسد كالسيقان والأذرع ، وفي مثل تلك الحالات كان من الممكن مواجهتها من خلال البتر السريع للعضو المصاب حتى لا تستشري السموم في باقي أجزاء الجسد ، وقد شرح أحد كبار مؤرخي الصليبيين أنه بالفعل كان يتم اللجوء إلى البتر للعلاج (٥١) في حالات سريان السم في جسد المصاب ، ومن المتصور أن ذلك كان بالنسبة للأطراف دون غيرها .

ومن زاوية أخرى ؛ لم تقتصر الحالات السمية على القيادات السياسية الصليبية بل أن الأمر تعداه ليشمل القيادات الدينية أيضا ، من ذلك ما نعرفه من أن أحد القيادات الدينية الصليبية يسمى رالف قد مات عند تناوله شرابا مسموما قدمه له ،، مرتزق مجرم غير معروف ،، على حد تعبير أحد المصادر التاريخية الصليبية المعاصرة (٥٢) .

زد على ذلك أن المؤرخ الصليبي وليم الصوري نفسه قد تعرض لنفس المصير حيث دس له السم – على الأرجح – من جانب خصومه وذلك في عام١١٨٥م/٥٨١هـ (٥٣) ، وهكذا يكون ذلك المؤرخ قدم لنا في كتابه تاريخ

الأعمال Historiu reum إشارات هامة عن حالات التسمم خاصة بالنسبة للقيادات الصليبية وقع هو الآخر فريسة لنفس الأسلوب في الفتك بالخصوم المتنافسين ولم يستطع أحد إنقاذه .

ومن المفترض أن هناك حالات للإصابة السمية لدى قطاعات من المجتمع الصليبي خارجة عن نطاق القيادات السياسية والدينية لم تشر إليها المصادر التاريخية الصليبية وتجاهلتها .

ومن زاوية أخرى يلاحظ في نصوص المصادر التاريخية الصليبية التي وصلت إلينا من ذلك العصر أن حالات التسمم المذكورة كانت فردية ولم تكن هناك حالة واحدة تتسم بالطابع الجماعي طوال المرحلة موضوع الدراسة .

وبالتالي فضحايا تلك الحالات كانوا متناثرين وموزعين على مرحلة زمنية ممتدة ولم يكونوا مركزين في مرحلة واحدة ، كذلك الوباء الذي لحق بالصليبيين عام ١٠٩٨م/٤٩١هـ عند أنطاكيةمثلا .

أما فيما يتصل بحالات الإصابة بالجروح ، وما كان ينتج عنها، فمنها ما كان يحدث من جراء عمليات الإعتداء التي كانت تقع بين الفرسان الصليبيين (٥٤) ، أو من خلال المعارك الحربية بين الصليبيين والمسلمين ، ومن أمثلة ذلك أن الملك الصليبي بلدوين الأول Baldwin II (١١٠٠-١١١٨م/٤٩٣-٥١١هـ) قد أصيب في إحدى المعارك الحربية مع المسلمين وذلك في عام ١١٠٣م/٤٩٧هـ على يد أحد الأحباش من المسلمين وقد أصابه بجرح كبير في ظهره قرب قلبه ، وقد عولج إلى أن تماثل للشفاء (٥٥) .

ومن الجلي البين أن الفارق بين حالة الإصابة بالجراح وبين حالات التسمم أن الأولى كان من الممكن للصليبيين حينذاك مواجهتها بصورة أو بأخرى ، أما الحالات الخاصة بالتسمم فقد كان مصير أصحابها – إن لم تكن في الأطراف وتم تداركها – الهلاك .

أما بالنسبة للإصابة بالحمى ؛ فمن أمثلتها الدالة عليها حالـــة الملـــك بلدويـــن الأول الذي أصيب بالحمى قبل وفاته (٥٦) عام ١١١٨م/٥١٣هـــ ، ومن المعروف أن حالات الإصابة بالحمى كانت شائعة قديما ووسيطاً، وكانت تعد من الحالات العـــــابرة غير الخطيرة باستثناء وقعات معينة (٥٧). وبالإضافة إلى الحالات المرضية الســـابقة من المحتمل انه كانت هناك أمراض ناتجة عن الممارسة الجنسية غير المشـــروعة ، ويلاحظ في هذا الصدد أن المجتمع الصليبي نفسه عانى من انحلال أخلاقـــي كبـــير ، وذلك منذ الخطوات الأولى للحركة الفرنجية الصليبية في بلاد الشـــام ؛ إذ أن الجيـــش الذي حاصر أنطاكية ؛ كان يحتوي على عدد من العاهرات ، وعندما حلت بـــالصليبيين الكوارث هناك عملوا على طردهن من صفوفهم ، وتم فرض العقوبات القاسية علـــــى جريمة الزنا (٥٨) .

وفيما بعد ، وجدنا تفسخا أخلاقيا في المدن الساحلية التجارية الكبيرة مثل عكـــا Acre وغيرها ، وقد اشتهرت المدينة الأخيرة بوجود حي مخصص لأعمال الدعـــارة عرف بالحي الأحمر (٥٩) . كما أن السفن الصليبية كانت تقدم من الغرب الأوربـــي وعلى ظهرها أعداد كبيرة من العاهـــرات للترفيـــه عن المقاتليـــن الصليبييـــن (٦٠) ، بالإضافة إلى إشارة المصادر الصليبية ذاتها إلى رجال الديـــن المســـيحيين التـــابعين للكنيسة الذين وجد منهم من يؤجر أماكن العبادة من أجل أن تمارس فيها الدعارة لمـــا تدره عليهم من أرباح طائلة (٦١) ، ناهيك عـــن أن مـــن المســـلمين الذيـــن خـــبروا الصليبيين من أشار إلى عدم وجود غيرة جنسية لديهم ،وقدم الأمثلة الدالة على صـــواب مقولته (٦٢) .

ولا ريب في أن مجتمعاً هذه هي طبيعته ، كان من المتوقع أن تنتشـــــر فيـــه الأمراض السرية ؛ وهو أمر يفهم من سياق نصوص المصادر التي وصلت إلينا مـــن ذلك العصر ويلاحظ إنتشار الأمراض من خلال تلك الممارسات أمر منطقي من خلال معرفتنا بحقيقة أن المدن ذات الكثافة السكانية المرتفعة مثل عكا، كانت أكثر تعرضا

لانتشار الأمراض من المناطق الريفية (٦٣) على اعتبار إمكانية انتشار العدوى في المناطق المكتظة بالسكان .

وتدعيما لذلك التصور نجد أن أحد الحجاج اليونانيين قد وصف تلك المدينة بأنها مركز لانتشار العديد من الأمراض ــ دون أن تحدد طبيعتها ــ على نحو أدى إلى ارتفاع معدل الوفيات بها (٦٤) .

ومن الجوانب الهامة التي يتعرض لها البحث ، أساليب المعالجة لدى الصليبيين ، والواقع أنه ليس من اليسير التوصل إليها بدقة كاملة نظرا لصمت المصادر التاريخية إلا في النادر ، ومع ذلك فمن المفترض أن الصليبيين عرفوا المعالجة من خلال الأعشاب الطبية المختلفة التي لها قدرتها على علاج الأمراض ، وهو أمر ورثوه من خلال الطب اليوناني القديم .

وبالإضافة إلى ذلك كانت هناك الإفادة من موارد الطبيعة في المناطق التي إحتلها الصليبيون ، من أمثلة ذلك عيون طبرية بمنطقة الجليل ، وهي التي وصفها أحد الرحالة اليهود بأنها تندفع بقوة من باطن الأرض (٦٥)، ونعرف عن تلك العيون أنها كانت شديدة الحرارة للغاية ؛ ووصفت بالعذوبة ، وطيب الرائحة ،(٦٦) وقد عرفت تلك العيون بقدرتها على معالجة الأمراض ، وكانت كل عين مخصصة من أجل معالجة مرض من الأمراض (٦٧) .

من زاوية أخرى ارتبطت عناصر التبرك والقداسة بالمعالجة في أذهان الصليبيين ، ومن أمثلة ذلك اللجوء إلى عين سلوان Poole of Siloe ؛ الواقعة في وادي قدرون شرق القدس ، والتي ارتبطت بحادثة إعادة السيد المسيح عليه السلام – بإذن الله تعالى – البصر للأعمى (٦٨)، كذلك كانت مياه نهر الأردن ينظر إليها الصليبيون بقداسة على اعتبار قدرتها الشفائية نظراً لارتباطها بتعميد السيد المسيح فيها وتعميده للحواريين ، ولذا وجدنا من المرضى من يذهب إلى هناك كي يغتسل بمياه ذلك النهر رغبة في الشفاء (٦٩) .

ومن الزوايا الهامة الأخرى التي يمكن التصدي لـــــها ، مـــدة العـــلاج مـــن الأمراض لدى الصليبيين ، والواقع أنها اختلفت وفق الحالة المرضية ذاتها ، ونوعيـــة استعداد الشخص المصاب للعلاج ، ومع ذلك وجدت إشارة في أحد المصادر الصليبيـــة تفيد بوجود حالات مرضية طال أمر علاجها ، وتصارع أصحابها مع المرض لأمـــد طويل ، من ذلك حالة وليم كونت ناڤـــار William Count of Navares الـــذي أصيب بداء مزمن ؛ وتوفي بعد معاناة طويلة مع المرض (٧٠) ، دون جدوى ، ومن الجلي البين أنه كان مرضا عضالا تعايش معه صاحبه حتى أدركته منيته بسببه وذلك دون أن تفصح المصادر عن إسم المرض، وأعراضه .

ومن ناحية أخرى يتطلب الأمر دراســـة المستشــفيات التـــي وجـــدت لـــدى الصليبيين في بلاد الشام في خلال المرحلة موضوع الدراسة . على إعتبار إرتباط تلك المراكز بأمر العلاج من الأمراض المختلفة .

ويلاحظ أننا إذا ما اتخذنا بيت المقدس كمثال باعتبارهـــا العاصمـــة الدينيـــة والسياسية للصليبيين والمستأثرة بأكبر قدر من الخدمات الصليبيـــة خـــلال المرحلـــة موضوع الدراسة نجد فيها عدة مستشفيات ، مثل مستشفى القديس يوحنـــا St. John ومستشفى الألمان ، ومستشفى المبرصين (المصابين بمرض الجذام) التـــابع لهيئـــة القديس لعازر لازاروس St. Lazarus .

ويلاحظ أن أهم المستشفيات التي وجدت في المدينة المقدسة وحظيت بإهتمـــام الإشارات المصدرية الصليبية ، مستشفى القديس يوحنا المعمدان St. John Paptist والتي شيدها تجار مدينة أمالفي Amalfi(٧١) الإيطالية ، وهي إحدى المدن التجارية الإيطالية التي كان لها دورها الهام في تجارة عالم البحر المتوسط ، وقد اتفـــق تجـــار أمالفي مع الفاطميين على تأسيس مستشفى لهم في بيـــت المقـــدس وذلـــك فـــي عـــام ١٠٧٠م/٤٦٣هـــ ، وكانت تلك المستشفى موجودة من قبل مقدم الصليبيين إلى المنطقة وعند وصولهم كان يتولى أمرها شخص ما يدعى جيرارد Gerard، وقـــد اختصـــت بعلاج المرضى والجرحى ، وهناك من يقرر أن أساليب علاجها كانت قائمة على مـــا

يمكن وصفه بالنموذج العربي للعلاج (٧٣) ، ويلاحظ أن السلطات الصليبية إتجــــهت إلى تشجيعها ورعايتها ، وبعد أن كانــت المستشــفى تابعـــة لإشــراف الأديـــرة البندكيته (٧٤) ، صارت مستقلة عنها فيما بعد ، وغدت مرتبطة مباشرة بالبابا (٧٥) .

ومن المفيد أن تذكر أن تلك المستشفى إتجهت إلى علاج الأمراض الوبائيــة أو ما يطلق عليه Opidemical diseades أو الطاعون Pestilence (٧٦) .

وقد زار عدد من الحجاج الأوربيين تلك المستشفى علـــى إمتــداد المرحلـــة موضوع الدراسة ، فقد أشار سايولف Saewulf (١١٠٢-١١٠٣م/٤٩٥-٤٩٦هـــ) عندما تناول كنيسة القديسة مريم Sancta Mary في بيت المقدس ، إلى أنه بـــالقرب منها مستشفى مخصصة للقديس يوحنا المعمدان (٧٧) ، ولم يقدم أية تفصيلات عنـــها خلال تلك السنوات الأولى من القرن الثاني عشر م/السادس هـــ .

ومن بعد ذلك وصف أكثر تفصيلا لتلك المستشفى من جانب أحــــد الحجـــاج الألمان وهو يوحنا أوف فورزبورج John of Wurzburg (١١٦٠-١١٧٠م/٥٥٥-٥٦٥هـــ) وقد ذكر أنها احتوت على عدد من الحجرات حوت بدورها عـــددا كبـــيرا ومتزايدا من المرضى من الجنسين (٧٨) ،وقدم إضافة هامة من خلال إشارة إلـــى أن عدد المرضى قدر بألفي شخص ، تقوم المستشفى بعلاجهم ، ويبدو أنـــه كـــان هنـــاك توجهان فيما يتصل بنجاح تلك المستشفى في علاج روادها ، فهو يقرر أن المرضــــى يشفون يوميا على نطاق متسع (٨٠) ولكن من زاوية أخرى أوضح أن عدد الوفيــــات بين المرضى يبلغ أكثر من خمسين شخصا في اليوم (٨١) ، وهو معدل مرتفـــع ولـــه خطورته من خلال ملاحظة أن ذلك حدث في وقت عانى فيه الصليبيون الفرنجة أصلا من مشكلة نقص العنصر البشري .

ويلاحظ أن ذلك الاتجاه الإحصائي الذي قدمه لنا ذلك الحاج الألماني له عـــدة دلالات تتمثل في الآتي : ــ

أولا : إننا نفتقد الأرقام الإحصائية طوال المرحلة موضوع البحث بشأن أرقـــام الوفيات ، ومعدلاتها ، وقيمة ذلك الرقم فيما أورده ذلك الحاج – الذي زار المستشـــفى

على الطبيعة ــ أنه لم يستمع إليه من شاهد عيان بل أنه تأتى إليه من خلال الاحتكاك الشخصي بتلك المؤسسة العلاجية الصليبية .

ثانيا : إن معدل الوفيات المرتفع هذا يعكس دلالة هامة إلا وهي أنه بعد ما يزيد على النصف قرن من استقرار الصليبيين ومباشرة مستشفى القديس يوحنا لدورها العلاجي تحت السيادة الفرنجية الصليبية كان معدل الوفيات مرتفعا بمثل تلك الصورة ، وبمعدل وصل ألف وخمسمائة شخص كل شهر، مما يوضح وجود حالات مرضية عجز طب الصليبيين عن علاجها ، أو أن عدد المتوافدين عليها كان من الكثرة بحيث لم تستطع تلك المؤسسة أن تلبي إحتياجاتهم جميعا بصورة تحفظ لهم صحتهم .

ثالثا : على الرغم من دلالة ذلك الرقم الخاص بالوفيات إلا إن إيراده لأمر الإستشفاء في المستشفى بمعدل كبير يدل على أن هناك إقبالا كبيرا عليها وان من المترددين من يشفى ومنهم من يموت . وبالتالي فإن الجانب الإيجابي وكذلك الجانب السلبي ينبغي لنا أن ندركهما في تناولنا لتلك المؤسسة الطبية الصليبية دون انفصال .

وقد أشار إلى تلك المستشفى بنيامين التطيلي Benjamin of Tudela (١١٦٣-١١٧٠م/٥٥٨-٥٦٥هـ) وقد ذكر أمرها على إعتبار أنها مستشفيان لا واحدة ، وأشار إلى أنهما متسعتان لإيواء أربعمائة من فرسان الاسبتارية Hospitallers المرضى الذين يتم تجهيزهم بكل ما يحتاجونه في الحياة وبعد الممات (٨٢) ، مما يعكس وجود بعض الحالات – التي لم يقدر عددها – التي أخفقت المستشفى في علاجها على نحو أدى بها إلى الموت .

أما ثيودريش Thooderich (١١٧١-١١٧٣م/٥٦٦-٥٦٨هـ) وهو أحد الحجاج الألمان فقد ذكر أن المستشفى تمتع بثراء كبير في الإنفاق على الفقراء والمحتاجين ، وأشار إلى أنه كان عاجزا عن معرفة المرضى الذين كانوا يعالجون بها وقدر عدد الأسرة بأنها أكثر من ألف سرير(٨٣) ، وحظيت المستشفى بمرافقها بإعجابه من حيث مبانيها وحجراتها ، والأسرة ، والمستلزمات الأخرى التي يحتاجها المرضى في علاجهم (٨٤) .

وبالإضافة إلى المستشفى المذكورة ، كانت هناك مستشفى للألمان تم تأسيسها في فترة ما قبل عام ١١٤٣م/٥٣٨هـ ، حيث وردت أول إشارة عنها في صورة مرسومين بابويين من جانب البابا كلستين الثاني (١١٤٣-١١٤٤م/٨٣٥-٥٣٩هـ) (٨٥) . وكان تشييد المستشفى على إعتبار رعاية الألمان الذين واجهوا مشكلة اللغة ؛ إذ أن الصليبيين كانوا يتحدثون باللاتينية ، والفرنسية القديمة (٨٦)، غير أن من الواضح أن تلك المؤسسة الطبية الألمانية كان دورها محدودا إذا ما قورنت بمستشفى القديس يوحنا السالفة الذكر . ويمكن استنتاج ذلك من خلال قلة الإشارات بخصوصها في المصادر الصليبية.

ويلاحظ أيضا ،وجود مستشفى خاصة بعلاج المبرصين وكانت تابعة للقديس لعازر (لازاروس) St. Lazarus ، ويذكر البعض أن النواة الأولى لتنظيم القديس لعازر "لازاروس " كانت في صورة بيت المبرصين House of Lepers أو باللاتينية Domus Leprosorum (٨٧) ، والواقع أن قيمة تلك المستشفى أنها وصفت بأنها متخصصة في علاج مرض محدد من الأمراض الجلدية ونعني به البرص . وقد اقام فرسان الاستبارية مستشفى في مدينة نابلس لعلاج المرضى المصابين بمرض البرص ، وقد استمرت المستشفى في تأدية عملها . في خدمة المرضى حتى نهاية القرن التاسع عشر (٨٨) .

وبالإضافة إلى المستشفيات المتعددة السابقة التي وجدت في بيت المقدس ، كان هناك عدد من المستشفيات في الإمارات الصليبية مثل طرابلس Tripolis ، والرها Edessa، من ذلك ما نعرفه من وجود مستشفى تم تشييدها في مواجهة طرابلس في صورة قلعة الحاج التي أقامها ريموند الصنجيلي Raymond de St. Gilles(١١٠٢-١١٠٥م/٤٩٦-٤٩٩هـ) . وأعيد تشييدها فيما بعد على نحو أكثر ثراء في عهد خلفه برتراند Bertrand (١١٠٨-١١١٣م/٥٠٢-٥٠٧هـ) ومن زاوية أخرى ، هناك إشارة إلى تشييد مستشفى في رفنية إلى الشمال من طرابلس ووجد بها عدد من الأطباء . وكان هدف هاتين المؤسستين الطبيتين خدمة الفقراء المحليين ،

وكذلك الحجاج (٨٩) المارين بالمناطق الصليبية وصولا إلى الأماكن المقدسة . وقد أنهى الكونت بونز Pons(١١١٣-١١٣٧م/٥٠٧-٥٢٧هـ) استقلاليتهما من خلال أنه أخضعهما لهيئة الاسبتارية وذلك في ٢٨ ديسمبر عام ١١٢٦م(٨٩) .

كما تم تأسيس مستشفى أخرى في إمارة الرها Edessa؛ اذ أننا نجد مستشفى في تربسيل Turbesselوهي التي تم ضمها إلى كنيسة القديس رومين St.Romain وقد عهد بها جوسلين الثاني Joscelin II إلى الاسبتارية في عام ١١٣٤م/٥٢٨هـ (٩٠)

ومن الجلي البين أن تلك المستشفيات التي شيدت في إمارات طرابلس ، والرها تدل على أن ذات الدوافع التي دفعت بالصليبيين إلى تشييد مؤسساتهم العلاجية في بيت المقدس حدت بهم إلى إقامتها في الإمارات الأخرى .

ومع ذلك من الممكن تصور أن عددها في بيت المقدس كان كبيرا بحكم أن تلك المدينة كانت العاصمة الدينية ، والسياسية للصليبيين خلال تلك المرحلة وتزايد أعداد الحجاج القادمين لزيارة الأماكن المقدسة ولذلك زادت أعداد تلك المؤسسات بها بالمقارنة بما كان لدى الإمارات الصليبية الأخرى .

ولا ريب في أن وجود تلك المستشفيات يثبت لنا قيام الصليبيين بإقامة تلك المؤسسات الطبية ، من أجل توفير العلاج للمرضى ، والجرحى لكي يسهم الطب بدوره في مواجهة الصراع مع المسلمين ، ومن المتصور أنها حققت نجاحا علاجيا بدليل استمراريتها .

وهناك زاوية من الضروري التعرض لها في صورة نوعية الأطباء ومدى كفاءتهم في المناطق الصليبية خلال المرحلة من ١٠٩٨- ١١٧٤م/٤٩١-٥٧٠هـ والواقع أنه كان هناك نوعان من الأطباء ؛ الأطباء المحليين وكانوا من السوريان (٩١) بالإضافة إلى وجود أطباء مسلمين (٩٢) سواء في المناطق الصليبية أو المناطق المسلمة ، واحتاجهم الصليبيون وكذلك اليهود ، بالإضافة إلى عناصر من الأطباء اللاتين الذين قدموا مع الصليبيين من الغرب الأوربي ، وهؤلاء كانوا من جنسيات مختلفة .

ويلاحظ إن مثل ذلك التنوع في نوعيات الأطباء الذين وجدوا في مناطق الصليبيين كان يتفق مع التركيبة السكانية للوجود الصليبي ذاته في بلاد الشام على المستوى السكاني (٩٣)؛ إذا كان ذلك الوجود من جنسيات مختلفة مثل اليونانيين ، والبلغاريين ، والإنجليز ، والفرنجة ، والبوهيمين ، والهنود (٩٤)، ومنطقي تصور أن تلك الجنسيات المختلفة أفرزت لنا أطباء هم أيضا من جنسيات مختلفة .

ويلاحظ أن هناك عناصر من المسيحيين الشرقيين كالموارنة Maronites على سبيل المثال – عملوا كأطباء للصليبيين (٩٥) مثلما ؛ عملوا في خدمتهم في المجال الحربي ؛ على نحو حظي بتقدير المؤرخين الصليبيين المعاصرين لمرحلة الحروب الصليبية (٩٦) .

ومن المتصور أن المرضى من الصليبيين – مثلما الأمر في كل عصر – كانوا يلجأون إلى الطبيب الكفء الذي أثبت مهارة علاج الأمراض دون التقيد بالهوية الوطنية والدينية للطبيب ، ووفق شهادة أحد المؤرخين الصليبيين أنفسهم نجده يقور أن الأطباء الاغريق والسريان وأطباء من شعوب أخرى من العاملين في المناطق الصليبية حققوا شهرة كبيرة في مهارتهم في أمر مداواة الأمراض(٩٧).

وعند المفاضلة في الكفاءة بين الأطباء المحليين من أهل الشام سواء من المسلمين أو من المسيحيين الشرقيين ، والأطباء اللاتينيين فإن هناك اعترافاً صريحا من أحد المصادر الصليبية بأن الأمراء الصليبيين كانوا يحتقرون علاج الأطباء الصليبيين ولا يعترفون إلا بالأطباء السامريين، والسريان ، واليهود ، والمسلمين (٩٨) بل أن هناك إشارات تفيد وجود جهلة بالطب في صفوف الأطباء الصليبيين (٩٩) باعتراف أحد مؤرخيهم .

وكدليل عملي على أفضلية الأطباء الشاميين المحليين على الأطباء اللاتين ، نجد أن الملوك الصليبيين أنفسهم حرصوا على اتخاذ أطباء لهم من العناصر المحلية من ذلك أننا نعرف أن الملك عموري الأول Amaury I (١١٦٣-١١٧٤م/٥٥٩-٥٧٠هـ) كان له طبيبه الخاص في صورة أبي سليمان داوود بن أبي المني بن فانه

وكذلك ابنه الأكبر (١٠٠) ، ويلاحظ أنهما من نصارى بيت المقدس ، وانتقل مؤسس أسرة بني فانه ، ومعه أبناؤه الخمسة إلى تلك المدينة في عهد الملك الصليبي حيث عملوا بالطب (١٠١)

ولا نزاع في أن إتخاذ ذلك الملك الصليبي لأولئك الأطباء من المسيحيين الشرقيين يدل على مدى الثقة الكبيرة التي أولاها الصليبيون لمثل تلك العناصر على نحو جعلهم يستأمنون أولئك الأطباء على صحتهم ، على الرغم من وجود أطباء لاتين من الغرب الأوربي ؛ وفي هذا إعتراف صريح بتفوق الأطباء من المسيحيين الشرقيين على أقرانهم اللاتين .

ومن زاوية أخرى ، نجد أن هناك إشارات تعكس تخلف أساليب العلاج لدى الصليبيين تجاه بعض الحالات المرضية وتمثل ذلك في الأطباء اللاتين حتى في علاج كبار ملوكهم من ذلك أن الملك عموري الأول قد أصيب في يوليو ١١٧٤م/٥٧٠هـ بمرض وكان من مظاهره إسهال شديد ، وتم علاجه من بعد ذلك ثم أصيب بالحمى ، وقد قام باستدعاء أطباء من السريان ، والإغريق ممن اشتهروا بالكفاءة في المعالجة ، وأمرهم بأن يقدموا له علاجا مطهرا ، غير أنهم أبوا الاستجابة إلى ذلك فقام باستدعاء أطباء لاتين ، وطلب منهم نفس الطلب ، وشجعهم بأن أوضح لهم تحمله للمسئولية الشخصية الكاملة من جراء ذلك ، وهو أمر يمكن إدراكه من خلال أن قوانين مملكة بيت المقدس الصليبية المسماه Assisses de Jerudem ؛ كانت تفرض عقوبات صارمة على الطبيب في حالة أن يتسبب علاجه في موت مريضه تصل إلى الشنق (١٠٣)؛ ولهذا كانت مخاوف الأطباء من معالجة ذلك الملك الصليبي .

ومن الواضح أن الآلام المبرحة التي عانى منها جعلته يعرض عليهم ذلك العرض حتى يشجعهم على معالجته دون خوف من الوقوع تحت طائلة القانون ، وبالفعل نجد انهم قدموا له ما يريد وحصل على الدواء اللازم ، إلا أن الحمى عادت إليه قبل أن يتمكن من تناول طعام الغذاء ليقوى جسده ، إذ أن الدواء الذي أعطوه له قد أضعفه (١٠٤) وأجهده صحيا .

ويحلل أحد الباحثين الوضع المرضي للملك الصليبي المذكور على اعتبار أنه أصيب بالدوسنتاريا وقد اعتراه من جراء ذلك ضعف بالغ ، ورفض الأطباء المسيحيون الشرقيون أن يفصدوه أو إعطائه مسهلا وذلك لمعرفتهم بما تعلموه من الرازي (ت٣٣٠هـ/٩٣٢م) من أن ضعف القوة أردأ العلامات ، أما الطبيب الفرنجي ففعل به ذلك على نحو أدى به إلى الموت (١٠٥) . ومن المتصور أن الأطباء اللاتين الذين عهد لهم أمر معالجة كبار الملوك الصليبيين كانوا على درجة من الكفاءة بحيث أسند إليهم ذلك المنصب الهام ، ولنا أن نتصور وضع الأطباء الآخرين من العناصر اللاتينية التي عالجت قطاعات أخرى من الصليبيين خارج نطاق القيادة الصليبية .

ومن المظاهر الدالة على ضعف أساليب العلاج الخاصة بالأطباء اللاتين – في بعض الحالات بالطبع – ما ذكره أسامة بن منقذ(ت٥٨٢هـ/١١٨٨م) من أن دملا بسيطا في ساق أحد الفرسان الصليبيين جعلهم يستدعون له طبيبا عربيا من أجل فتح وإخراج ما به من صديد (١٠٦) ، كما أن إصابة قدم أحد الفرسان جعلهم يبترون له تلك الساق المصابة دون القدرة على علاجها (١٠٧) ، كما أنه أشارة إلى القسيس الذي ملأ منخاري أحد المرضى بالشمع ، وهو على فراش المرض ، ومات في أعقاب ذلك وعندما سأله أهله عما فعل أوضح لهم أنه كان يتعذب فأراحه (١٠٨) .

ويعلق أحد الباحثين على أمر بتر الساق أن ذلك يعني جهل الأساليب الفسيولوجية للحالات المرضية عند الأطباء الصليبيين (١٠٩) .

ويلاحظ إن تلك الحالات المرضية السابقة وتصرف الأطباء اللاتين حيالها جعلت أحد الباحثين يقرر أن أساليب العلاج الصليبية تجاه الأمراض ، بالمقارنة بنصيب العرب كانت سقيمة جدا (١١٠) ، بينما رأى باحث آخر مستوى الطب لدى الصليبيين أنه كان متدنيا للغاية ، وان الطب عند الصليبيين عبارة عن خرافات ، وشعوذة (١١١).

والواقع أن التصور الآخر يفتقد جانبا من الموضوعية إذ أن الطب لدى الصليبيين لم يكن كله خرافات ، وشعوذة بل أن الصليبيين تمكنوا من علاج بعض

الحالات المرضية التي وصفت بأنها مستعصية (١١٢) . وقد أورد أمرها أسامة بن منقذ نفسه . من ذلك أن مريضا مصابا بالغدد الخنزيرية المتقيحة قام بعلاجه طبيب فرنجي وشفي (١١٣)، كذلك هناك حالة الفارس برنارد الذي أصيب في ساقه وفتحت في أربعة عشر موضعا ، وكانت جراحه كلما تم إغلاق أحدها فتحت في مواضع أخرى ، وقد أتى إليه طبيب إفرنجي ، وقام بتطهير الجروح وعالجها تماما (١١٤)، وهناك من يرى أن نجاح الصليبيين في علاج مثل تلك الحالات المرضية يعكس فهم الخواص الطبية لبعض المكونات ، والمواد النباتية، والمعدنية (١١٥) .

والواقع أن من الضرورة بمكان الوصول إلى تقييم موضوعي لقدرات الطب لدى الصليبيين على العلاج ، وفي هذا الشأن من الممكن القول بأن طب الصليبيين لم يكن كله متخلفا ؛ إذ وجدت حالات عجز الأطباء اللاتين عن علاجها ؛ بينما وجدت حالات أخرى تمكنوا بنجاح من مواجهتها – على الرغم من استعصائها – على نحو اعترفت به المصادر العربية المعادية لهم ، وأقرت بتفوقهم في هذا الصدد .

وبالتالي فان صورة الطب لدى الصليبيين ينبغي ألا ننظر إليها نظرة قاتمة ، إذ أن هناك بعض الجوانب الإيجابية ، ومع ذلك فلا تدعونا تلك الزاوية إلى تصور أن الطب لديهم وصل إلى درجة التفوق على طب المسلمين ، وكذلك المسيحيين الشرقيين المعاصرين لهم .

وإكمالا لصورة الطب لدى الصليبيين نجد أنهم أفادوا من وجود عناصر المسيحيين الشرقيين في إقامة مراكز لدراسة الطب ، من ذلك ما يشير إليه البعض من أنه في طرابلس وجه مركز للعلم عمل به العلماء من النصارى المحليين ، وكذلك المسلمين ممن ذاعت شهرتهم في مجال الطب(١١٦)، وقد ارتفع شأن ذلك المعهد حيث أن الطلاب قصدوه من أرجاء بعيدة وأصبح أكبر معاهد الطب في الإمارات الصليبية بصفة عامة (١١٧) ، حقيقة أن العناصر المحلية لا العناصر اللاتينية قامت على أكتافها مثل تلك المجهودات العلمية في تدريس الطب ،إلا إنها كانت في النهاية داخل مناطق الصليبيين ، وان لم تكن مجهودات ذلك المعهد في طرابلس على نفس

مستوى مدرسة سالرنو الطبية ، وعلى الأرجح كانت مجهودات معـــــهد الطـــب فـــي طرابلس ذات طابع محلي محدود .

وتبقى زاوية على جانب كبير من الأهمية في صورة الترجمة العلميـــــة فـــي مجال الطب في المناطق الصليبية في بــــلاد الشـــام خـــلال المرحلـــة مـــن ١٠٩٨-١١٧٤م/٤٩١-٥٧٠هـــ .

والواقع أن أحد الباحثين قد تصور ما نصه ،، عاد الصليبيون إلـــــى بلادهـــم ولـــم ينقلـــوا إليها شيئا من طب العـــرب رغم ما كانوا يعرفونه يقينا مـــن تفوقهـــــم فيه، (١١٨) كما رأى آخر أن الصليبيين أصلا قدموا إلى المنطقة بصفة غــــزاة ولـــم يقدموا إليها كطلاب علم بل أنهم ظلوا في حالة إستنفار عسكري طوال مدة إقامتهم فـــي الشرق (١١٩) ، بالإضافة إلى ما تصوره البعض من أن الحياة العقلية فـــــي الشـــرق الفرنجي ليست إلا حياة عقلية خاصة بمستعمرة فرنجية (١٢٠) ؛ ويعني بذلـــــك أنـــها حياة مجدية غير مزدهرة وبالإضافة إلى كافة تلك التصورات هناك من اعتقد ما جرى من تبادل ثقافي بين الصليبيين والمسلمين في بلاد الشام كــــان محـــدودا ؛ لأنـــهم لـــم يختلطوا في الغالب إلا بعناصر الفلاحين ، وعامة الناس ، ولأن المراكـــز العلميـــة - لدى صاحب ذلك الرأي - في البلاد العربية كانت تتجه نحو الجمود بالإضافة إلـــى أن النزاع المستمر قد وقف عائقا دون التفاعل الحضاري الحر بين الجانبين (١٢١).

وحقيقة الأمر ، أن التصور بأن الصليبيين لم يترجموا شـــيئا مـــن المؤلفـــات الطبيـــة العربيـــة خلال مدة وجودهم في بلاد الشام على مدى القرنين ١٢،١٣م/ ٦،٧ هـــ أو خلال مرحلة البحث بين أيدينا من ١٠٩٨-١١٧٤م/٤٩١-٥٧٠هـــــــ تصـــور خاطئ ستكشفُ عنه بجلاء الصفحات التالية .

أما القول بأن اختلاطهم كان في نطاق الفلاحين ، وعامة الناس ، فهو تصـــور مغلوط إذ ليس من المنطقي تصور أنهم كانوا قاصرين على التداخل مع ذلك القطـــــاع السكاني دون غيره ، ولم يتصلوا بالعلماء المسلمين ، والمسيحيين الشرقيين الذين كانوا على معرفة بالعلوم الطبية ، نفس النقد يتجه صوب الرأي القائل بأن المراكز العلميــــة

في الدول العربية كانت تتجه نحو الجمود ؛ إذ أن القرنين المذكورين ونعني بهما القرنين الثاني عشر والثالث عشر / السادس والسابع هـ شهدا ما يمكن وصفه " بعبقرية القرنين ١٢،١٣م/٦،٧ هـ " حيث تفوق علماء المسلمين في كافة العلوم والمعارف وقوبل التحدي الصليبي للشخصية المسلمة باستجابة إبداعية تمثلت في كثرة العلماء الذين زخرت بهم تلك المرحلة على نحو خاص . ولا نغفل أن بلاد الشام خلال عصر الحروب الصليبية مثلت أحد معابر الحضارة ا الإسلامية إلى القارة الأوربية في العصور الوسطى مع عدم إغفال دور صقلية ، والأندلس في هذا الشأن .

ومن جهة أخرى ، فإن تصوير الصليبيين على أنهم غزاة عسكريين دون أية صفة أخرى ،ينبغي ألا نأخذها دون نقد ؛ إذ أن الصليبيين عملوا على الإفادة من مؤلفات المسلمين الطبية على نحو يوضح أن الجانب العلمي لم يكن مفتقدا لديهم بصورة كاملة ،ولا أدل على ذلك من أنهم قاموا بترجمة كتاب علي بن العباس المجوسي المعنون بـ"كامل الصناعة الطبية " أو الملكي الأمر الذي سنتناوله بالتفصيل في الصفحات التالية. كما ترجمت مؤلفات أخرى في القرن الثالث عشر م/السابع الهجري .

والواقع انه لا بد لنا من التوجه صوب ذلك الطبيب المسلم وكتابه وقيمته العلمية ثم المترجم القائم على ترجمته .

والواقع أن علي بن العباس المجوسي هو أحد كبار الأطباء المسلمين، وهو في الأصل من الأهواز (١٢٢) من أرض فارس ، وقد توفي في عام ٣٢٦هـ/٩٩٤م، وعرف لدى الأوربيين باسم هالي عباس Haly Abbas (١٢٣) وألف كتابه الشهير الملكي أو كامل الصناعة الطبية للملك عضد الدولة بن ركن الدولة البويهي (٣٣٨-٣٧٢هـ/٩٤٩-٩٩٨م) وهو أحد أقوى ملوك البويهيين (١٢٤) ، وقد وصف الكتاب بأنه " جامع كامل لكل ما يحتاج إليه المتطبب " (١٢٥) ، وانه عكس مرحلة النضج في التأليف الطبي عند المسلمين بعد أن استوعبوا العلوم الطبية اليونانية ، وأضافوا عليها ، وقد اعتمد مؤلفه على مشاهداته العلمية في البيمارستانات أي المستشفيات ولم

يكن معتمدا على الكتب النظرية ، وجعله ذلك يكتشف العديد من الأخطـــــاء الخاصــــة بالأطباء اليونانيين القدامى مثل أبقراط Hippocrates، وجالينوس (126) Galenus ومعنى ذلك أن كتابه لا يعد كتابا طبيا عاديا ؛ بل انه احتوى على رؤية طبيــــة نقديــــة إسلامية للطب اليوناني القديم .

ومن المهم ملاحظة أن هذا الكتاب الجانب يقوم مؤلفه فيــــه بتلخيــص كافــــة المعارف الطبية حتى عصره أي حتى القــــرن ١٠م/٤هــ بصـــورة اتسمت بــالتنظيم ، والترتيب (١٢٧) ، بالإضافة إلى العمق ، ولعل هذه الصفات كانت هي الأساس الـــذي جعله مفضلا لدى الأطباء المسلمين إلى أن ظهر إلى الوجود كتاب القانون لابن ســـينا (ت ق٥هـــ/ ١١م) فمال الناس إليه (١٢٨) .

ومن الجوانب التي تعكس أهمية ذلك الكتاب الجانب الجراحي ؛ إذ كانت لـــــه قيمته الكبيرة واعتبرت إحدى الباحثين مؤلفه أول من كتب بصورة عميقة في الجراحـــة في كتابه المذكور (١٢٩) ، فلا عجب أن صار المرجـــع الأساســـي لعلـــم التشـــريح Anatomy في سالرنو ، وقد تصور البعض أن ذلك حدث خلال المرحلة الممتدة مـــن عام ١٠٧٠م/٤٧٠هـــ – عام ١١٧٠م/٥٧٠هـــ (١٣٠) ، وان كنت أتصور استمرارية أهميته بعد تلك المرحلة في الطب الأوربي من خلال أهميته المتميزة التــــي أجمعــت عليها كافة الدراسات المتخصصة في تاريخ الطب في العصور الوسطى.

والجدير بالذكر هنا في معرض تناولنا لقيمة ذلك الكتاب انه بمثابة أول كتـــاب عربي كبير تتم ترجمته إلى اللغة اللاتينية كما يقرر أحد الباحثين (١٣١)، وإن اتجــــه عدد من المستشرقين فيما بعد إلى ترجمة أجزاء مختلفة منه إلــــى اللغـــات الأوربيـــة الحديثة (١٣٢)، غير أن دورنا هنا يتمثل في دراسة ترجمته إلى اللاتينية في أنطاكيـــة عام ١١٢٧م/٥٢١هـــ .

والواقع أن الترجمة الأولى لكتاب " كامل الصناعة الطبية " أو الملكي قام بـــها قسطنطين الأفريقي في دير مونت كاسينو Monte Cassino في إيطاليا في القـــــرن الحادي عشر م/الخامس هـــ (١٣٣)، وقام بتدريسه في ترجمته اللاتينية في ســـالرنو،

وكان عنوانها هو Liber Pantegni (١٣٤)،بيد أن قسطنطين الأفريقي نسب ذلك الكتاب إلى نفسه (١٣٥)، مثلما فعل في عدة كتب أخرى ، وإن كان من الضروري ملاحظة أن عمله لم يكن كاملا في ترجمة الكتاب بل أكمله آخرون .

ومهما يكن من أمر ، فمما لا ريب فيه أن ما قام به ذلك الباحث في ترجمته ذلك الكتاب يعد عملا هاما بالنسبة إلى الأمم اللاتينية وأجل أعماله ويعد فتحا في تاريخ الطب اللاتيني (١٣٦).

أما الترجمة الثانية للكتاب المذكور ، فقد تمت في بلاد الشام وبالتحديد في أنطاكية عام ١١٢٧م/٥٢١هـ على يد ستيفن الأنطاكي Stephanus Antiochenus وفي عهد أمير انطاكية حينذاك بوهيمند الثاني Bohemond II (١١٢٦-١١٣٠م/٥٢٠-٥٢٤هـ) وهناك من يرى أن ذلك كان بمثابة الكتاب الوحيد الذي نقله الصليبيون إلى اللاتينية عندما كانوا في بلاد الشام (١٣٧)،غير أن ذلك التصور لا ينطبق على الواقع التاريخي في شيء؛ لأن هناك كتابا آخر تمت ترجمته في القرن التالي ؛ونعني به القرن ١٣م/٧هـ ، ألا وهو كتاب " سر الأسرار في طب العيون "وقد ترجم في أنطاكية أيضا في عام ١٢٤٧م/٦٤٦هـ(١٣٨).

وهناك من تصور أن ترجمة كتاب الملكي في أنطاكية قام بها اتيان الأنطاكي Etionne The Antioch(١٣٩) ولكن مثل هذا التصور لا يمكن قبوله على إعتبار وجود نسخ مخطوطة من الترجمة المذكورة يتضح من خلالها إسم المترجم ، وهو ستيفن الأنطاكي وليس اتيان المذكور .

ومن الضرورة بمكان التصدي للتعريف بالمترجم وعمله في ترجمة كتاب كامل الصناعة الطبية والواقع أنه من خلال مقدمة وخاتمة الترجمة اللاتينية للكتاب ، نعرف عن ستيفن الأنطاكي بعض المعلومات وان كانت قليلة ،وهو من أصل لاتيني ، ومن مدينة بيزا Pisa الإيطالية ، وقد درس اللغة العربية والحكمة ، وكانت لدية بعض المعرفة باللغة اليونانية ، ومن المحتمل أنه كان يعرف معرفة شخصية مدارس سالرنو ، وصقلية (١٤٠)، وقد سار مسيرة بني مدينته واتجه إلى أنطاكية حيث ظهر

في عام ١١٢٧م/ ٥٢١هـ مترجما لكتاب كامل الصناعة الطبية وعرفت ترجمته بعنوان : Practica Pantegni et Stephononis .

وتجدر الإشارة إلى أن كون ستيفن الانطاكي من بيزا أمر لا يدعو إلى الدهشة ، إذ أن المراكز الصليبية كانت مجالا رحبا وفرصة سانحة لإظهار دور وفعاليات المدن التجارية الإيطالية مثل جنوة وبيزا والبندقية ، ومن الملاحظ أن البيازنه كان لهم حي خاص بهم في انطاكية ؛ وذلك في عام ١١٠٨م/٥٠٢هـ (١٤١)وبصفة عامة هناك من يرى أن عمل ستيفن الأنطاكي – على نحو خاص – يعكس تميز الإسهام البيزي في مجال العلم في القرن ١٢م/٦هـ (١٤٢).

والواقع أن من المهم أن تناقش دوافع ستيفن الأنطاكي نحو ترجمة كتاب كامل الصناعة الطبية ، وفي هذا الصدد من الممكن احتمال أن يكون قد أدرك سوء ترجمة قسطنطين الإفريقي في مونت كاسينو وبالتالي سعى إلى إعادة الترجمة على نحو دقيق حيث عرف في ذلك العصر أكثر من ترجمة للكتاب الواحد سعيا إلى مزيد من الفائدة ومزيد من الدقة (١٤٣). ومن ناحية أخرى أراد ذلك المترجم – كما سيتضح لنا – أن يقدم شروحا للمصطلحات الواردة في الكتاب وهناك احتمال آخر بشأن أن تكون تلك الترجمة بتوجيه من أمير أنطاكية حينذاك ؛ ونعني به بوهيمند الثاني ، غير أن ذلك التصور ليس في الإمكان ترجيحه ، لعدم وجود نصوص صريحة في المصادر التاريخية الصليبية تدعمه . وأمام ذلك ؛ نجد أن الدوافع العلمية الشخصية لدى ستيفن الأنطاكي ؛ هي الاكثر ترجيحا عن غيرها في هذا الصدد .

وتجدر الإشارة إلى أن المخطوطات اللاتينية تبرز وجود جزآن من الكتاب ، ما يسمى بـ Theoricaأو القسم النظري ، ومخطوطاته متعددة ، وكذلك ما يسمى بـ Practicaأي القسم العملي ؛ ويلاحظ أن مخطوطاته أكثر شيوعا (١٤٤) ، ومن المنطقي تصور أن شيوع نسخ الجانب العملي من الترجمة اللاتينية يعكس الحاجة إليه على أساس أنه يتعرض إلى وسائل المعالجة وأساليبها المختلفة وفقا لطبيعة كل مرض

ويلاحظ أن الجانب النظري Theorica من الكتاب ؛ قد برجم إلى اللغة اللاتينية من قبل قسطنطين الأفريقي تحت عنوان Pantegni ، الذي ترجم بداية النصف الأول من الجزء العملي Practica ، وقد وجه بصورة منفصلة تحت عنوان De Chirurgia(١٤٥) ، أما النصف الثاني من الجزء العملي ؛ فقد ترجمه إلى اللاتينية تلميذ قسطنطين الأفريقي إلا وهو يوحنا الشرقي ، أو يوحنا الإفريقي Johannes Africanus وطبيب بيزي يسمى روستيكوس Rusticus وذلك في علم ١١١٤م/٥٠٨هـ (١٤٦) . وتفيد الإشارة السابقة في توضيح أن البيازية شاركوا في الترجمتين اللاتينيتين لكتاب علي بن العباس المجوسي سواء في إيطاليا أو في انطاكية والجدير بالذكر أنه في ختام ترجمة ستيفن الأنطاكي وضع شرحا لبعض المفردات التي وردت في كتاب كما لدى ديو سقوريدس Dioscorides كبير العشابين اليونانيين القدامى . وتعليل ذلك أن القراء الذين كانوا يجدون صعوبة في متابعة وفهم التعبيرات اللاتينية عندئذ كان بمقدورهم إستشارة الخبراء ؛ إذ أنه في صقلية ، وسالرنو، كان هناك طلاب لتلك الموضوعات ، وكان هناك اليونانيون الذين كانوا على دراية باللغة العربية (١٤٧) .

والواقع أننا ينبغي أن نلاحظ أهمية إدراك ذلك المترجم في ذلك الوقت المبكر أن يضع قاموسا للمصطلحات اللاتينية واليونانية ، والعربية الطبية (١٤٨) . وفي ذلك دعم كامل لمشروعه في الترجمة المذكورة . كما أنه تعبير عن التقاء الأمم والشعوب التي ترتبط باللغات الثلاث من خلال مشروع الصليبيات ذاته .

والجدير بالذكر هنا ، أن قيمة الجهد الذي قام به ستيفن الأنطاكي أنه أورد في ترجمته إسم المؤلف الأصلي للكتاب (١٤٩) ؛ وهو علي بن العباس المجوسي ، وفي هذا رد إعتبار لذلك الطبيب المسلم البارز، كما أن عمله يكشف لنا عن حرص الصليبيين على الإفادة من معارف المسلمين الطبية ؛ وبالتالي لا ينبغي ألا ننظر إلى الوجود الصليبي على أنه لم يحتو أية توجهات علمية في مجال الطب .

ومن الملاحظ أنه خــلال المرحلــة الممتــدة مــن ١٠٨٩- ١١٧٤م/٤٩١-٥٧٠هـ.لم يكن ستيفن الأنطاكي هو المترجم الوحيد . بل أن هناك مترجما آخر هــو برنارد سلفستر Bernard Silvester الذي تصفه إحدى المخطوطات اللاتينية علــى أن مترجم من العربية ومن المحتمل أنه عاصر عهد الملك الصليبــي عمــوري الأول (١١٦٣-١١٧٤/١١٥٩-١١٧٠هـ) (١٥٠)وان كنا لا نعرف ما قام به فــي مجــال الترجمة من العربية إلى اللاتينية ووجود مترجم آخر مثل برنارد سلفستر إلى جــانب ستيفن الأنطاكي يثبت لنا أن الأخير لم يكن هو المترجم الوحيد ، ومن المحتمل وجــود مترجمين آخرين ، في نفس المجال لدى الصليبيين ، ولم تصل إلينا عنــهم إشــارات كافية ،من خلال انشغال المؤرخين بالكتابة عن الأحداث السياسية والحربية الطابع .

ذلك كان عرضا للجوانب الطبية في المناطق الصليبية خلال المرحلــة مــن ١٠٩٨-١١٧٤م/٤٩١-٥٧٠هـ ، ومن الممكن الخروج بعدة نتائج ألا وهي :

أولا : حرص الصليبيون على الاهتمام بالناحية الطبية للحفاظ على ما لديهم من قــوة بشرية كانت تعاني أصلا من قلة عددها وبالتالي دخل الطب في دائرة الصــراع بيــن الصليبيين والمسلمين . وقد وضح كيف أن المناطق الصليبية كان بها تياران للطــب ؛ الأول الأطباء اللاتين والثاني يضم الأطباء المسلمين ، والمسيحيين الشرقيين ، واليــهود ، وكان الفريق الأخير أكثر تقدما من الفريق الأول وذلك بإعتراف المصادر الصليبيــة ذاتها ، ومن ثم إستعان بهم الصليبيون وفضلوهم على الأطباء اللاتين .

ثانيا : على الرغم من أن الرؤية المتأنية للطب في المناطق الصليبية تكشــف لنا عن ضعف المستوى العلاجي لدى الأطباء اللاتين ، إلا أن من الأنصاف أن نقــرر أنهم مثلما أخفقوا في علاج بعض الحالات المرضية ، إلا أنهم نجحــوا فــي عــلاج البعض الآخر على نحو إعترفت به المصادر العربية المعاصرة من جانب مــن خــبر الصليبيين .

ومن ثم فإن تعميم الحكم بأن الصليبيين كانوا متخلفين في المجال الطبي أمــــر يحتاج إلى تصحيح لأنهم نجحوا في بعض الحالات ولم يفشلوا تماما في هذا الجـــــانب بصورة كاملة .

ثالثا: من الأمور الجديرة بالملاحظة بالنسبة للمرحلة موضوع البحـــث الممتـــدة مـــن ١٠٩٨-١١٧٤م/٤٩١-٥٧٠هـــ -وحتى فيما بعد – أن الصراع الإسلامي الصليبي لم يكن فقط على المستوى الحربي ؛ بل إن هناك مواجهة حضارية وقعت بين الجـــانبين وقد سعى فيها الصليبيون للإستفادة من علوم المسلمين الطبية المتقدمة ، ويمثل كتـــاب "كامل الصناعة الطبية" ودور الصليبيين في ترجمته دليلا على سعيهم للإفادة من علـــوم المسلمين .

الهوامـــــش

(١) Ency. Brit., " History of Medicine", Vol. X1,Chicago 1976, p.828

(٢) زيغريد هونكة ، شمس العرب تسطع على الغرب، ت. كمال الدسوقي وإبراهيم بيضون ، ط. بيروت ١٩٨١.ص٢٢٠.

وعن جريجوري التوري انظر: عليه الجنزوري ، جريجوي الثوري وقيام دولة الفرنجة ، ط. القاهرة –١٩٨٨م،ص١٢–ص٢١.

(٣) Mackinney , Medical Illustrations in Medieval manus-cripts , London 1969, p.3 .

(٤) EncyBrit ., "Hospital",Vol.V111,Chicago 1967,p.1114 .

(٥) Sidiqui , Main Springs of wstern Civilsation , Lahore 1923, p.95-96.

(٦) Miller , " The Knights of saint John and the Hospitals of The Latin west " ,S ., Vol. L111, No .3, July 1973, p.705

(٧) Ibid , p. 810 .

(٨) Mackinney, p.3-4

(٩) Miller, p. 711

(١٠) Ibid , p. 711

(١١) Mackinney, p.4.

(١٢) كولتون،عالم العصور الوسطى في النظم والحضارة، ت . جوزيف نسيم يوسف ط. الإسكندرية ١٩٩٢م.ص٢٥٧ .

(١٣) Ency. Brit., "Hispital ", Vol. VIII, p. 1114 .

(١٤) Thompson, Alchemy Source of Chemistry and medicine, New York 1974,p.138

(١٥) ول ديورانت ،" إحياء علم الطب "،ضمن كتاب قصة الحضارة ،جـــ٦،م٤، ت.

محمد بدرن ، ط,القاهرة ،ب.ت،ص١٩٧ .

(١٦) ckinney, p.9

(١٧) Ibid ,p.20

(١٨) سعيد عبد الفتاح عاشور ،" الطب الإسلامي في الجامعات الأوروبية فيفجر عصر النهضة ،" ضمن كتاب بحوث في تاريخ الإسلام وحضارته ، القاهرة ١٩٧٨ م.ص٦٢٥ .

(١٩) Mackinney , p. 9.

ويلاحظ أن الطائر المسمى كالديوس Caladiusهو نفسه الطائر الذي يسمـــى كالارديوس Caladarius الذي أشار إليه أرسطو ، وهـــو طائـــر أبيض وصف بأن لونه أبيض كالثلج دون أية بقع سوداء ، ونجـــــد أن مـــن الشعراء المحدثين من إستعمل مدلولاته من ذلـــك تنـــاول شســـتر Chester (١٨٧٨م) له ، وكان الطائر المذكور يستخدم في المرحلـــة موضـــع البحـــث للتطير ومعرفة هل ستكتب الحياة للمريض أم أنه سيموت وهناك من يشيـــــر إلى أن الطائر المذكور كان يشيح بوجهه في حالة أن الموت سيدرك المريض أما إذا كان سيعيش فإنه يقبل على المريض . ونجد صورة لذلك الأمـــر فـــي مخطوطة طبية من القـــرن ١٢م/٨٦هـــــ فـــي مكتبـــة جامعـــة كمـــبردج Cambridgeرقم (١٢) فسيولوجيا ٥، ورقة (٨٦) .

عن ذلك انظر : The Oxford English dictionary , Vol. II, Oxford : 1978,p.23. Mackinney , p. 22.

(٢٠) سعيد عبد الفتاح عاشور ، المدنية الإسلامية وأثرها في الحضارة الأوربية ط. القاهرة ١٩٦٣م. ص١٤٦ .

(٢١) إنجيل متى ،الإصحاح (١٠)، فقرة (٨) .

وانظر أيضا : Miller, P.711.

Ency. Brit., "History of medicine" (٢٢)
Vol

وفيما يتصل بالقديسين المذكورين كوزموس Cosmusوداميان Damian، نعرف أن يوم الاحتفال بها يوافق ٢٧سبتمبر وهناك من يرى وجود اثنين من الشهداء المبكرين في تاريخ المسيحية كانا يحملان الاسمين السابقين ، ومع ذلك فإن ما يعرف عنهما جد قليل ويقال إنهما عاشا في منطقة تسمى Cyrrhusفي بلاد الشام وسرعان ما انتشرت شهرتهما بصورة كبيرة ، وانتشرت عبادتهما على نحو متسع ، وصارا بمثابة القديسين الحاميين للأطباء ، كشهيدين من شهداء المسيحية بذلا روحيهما من أجل عقيدتهما ، وهناك من يذكر أنهما لم يوجدا قط وإنما هما صورة مسيحية من ديسكوري Discuriوأمي زيوس Zeusكبير آلهة الأوليمبس عن ذلك أنظر :

Attwater, The Penguin dictionary of saints , London 1977.p.49 .

Ency . Brit., "History of medicine" , p.828 (٢٣)

وأبولونيا Apolonia إحدى شهيدات المسيحية استشهدت في الإسكندرية عام ٢٤٩م، ويوم الاحتفال بها يوافق التاسع من فبراير ، وقد وقعت أحداث شغب ضد معتنقي المسيحية ، فقتل أهل المدينة المذكورة عددا من المسيحيين ، وكان من بين القتلى تلك الشماسة المتوسطة العمر ، ويقال إنها ماتت حرقا ، ونستمد معلوماتنا عنها من خلال خطاب أرسل من جانب القديس ديونيسيوس Dionysius الذي كان أسقفا للإسكندرية في ذلك الحين.

عنها أنظر :

Attwater , p.52.

أما القديسة إيراموس St.Eramus أيلمو Elmo، فهو قديس يوم الاحتفال بذاكرة يوافق يوم الثاني من يونيو ، وقد وجدت عبادته في منطقة فورمياي Formiae في إقليم كمبانيا Campanian وذلك في القرن السادس ، ويقال إنه كان أسقفا في بلاد الشام وتم اضطهاده في عهد الإمبراطور دقلد يانوس

Diocletian (٢٨٤-٣٠٥م) ويقال إن القديس ايراموس قد مات من جـــراء اضطهاده وذلك في عام ٣٠٣م، في فورمياي Formiae، وفيما بعد نشـــأت بشأنه أسطورة تتناول حياته وموته ،وقد ثار حاميا لعناصر البحارة .

عنه أنظر :

Attwater , p.117 .

(٢٤) Ency. Brit.,"History of medicine ", p. 828.

(٢٥) Mackinney , p.62 .

(٢٦) Kristeller, "The School of Salerno , its development and its contribntion to the History of Learninng " , B.H.M, Vol.XVII ,1975 ,P.145 .

(٢٧) Chevalier, "The Beginnings of the School of Salerno "C.S., Vol .V ,1941,p.1721 .

(٢٨) Ency Brit., "History of medicine "p.828

(٢٩) Chevalier "Constontinus A fricanus and the influence of the Arabs on Salerno ", C.S.,Vol. P.1725 .

وعنه أنظر أيضا "Ben yahiya , "Constantine 1'African : de L'ecole de lern" C.T., Annee 3, T.IX,1955, P.49-90 كارول بروكلمان،تاريخ الأدب العربي،جـــ٤ ،ت.السيد يعقوب بكر ورمضـــان عبـــد التواب ط. القاهـــرة ١٩٧٧م، ص٢٩٣، جـــاك ريسلر ، الحضـــارة العربية ، ت. خليل أحمد خليل ،ط.بيروت ١٩٩٣م،ص٢١٠، علي عبد الحليم محمـــود ، الغـــزو الصليبي والعالم الإسلامي ،ط.جدة ١٩٨٢م،ص٢٩١ .

(٣٠) Conder, "The Rise of Medicine at Salerno in The Twelfth century", A.M.H., Vol.III, January 1931,p .3 .

(٣١) أحمد فؤاد باشا، التراث العلمي للحضارة الإسلامية ومكانته في تاريـــخ العلـــم والحضارة، ط.القاهرة ١٩٨٣م،ص١٨٥ .

(٣٢) محمود الحاج قاسم ، الطب عند العرب والمسلمين، تاريخ ومساهمات ط. جدة ١٩٨٧، ص٣٨٨.

عنه بالتفصيل أنظر :

Chevalier , "The Regimen Sanctais" C.S., Vol. V,p.1732-1737 .

(٣٣) محمود الحاج قاسم ، المرجع السابق ،ص٣٨٥،محمود الجليلي ،"تأثير الطب العربي في الطب الأوربي في القرون الوسطى والنهضة الأوربية"مجلة المجمع العلمي العراقي م(٣٢)،جـ٣،٤، عام ١٩٨١م،ص١٩٤.

(٣٤) Ency. Brit., "History of medicine , Vol. p.828.

ويلاحظ أن روبرت النورمندي هو Ropert Courteheuse وهو الابن الأكبر لوليم الفاتح William The Conqueror وقد أطلق عليه معاصرون الطيب وقد قام برهن دوقيته لأخيه وليم روفوس William Rufus من أجل جمع المبالغ اللازمة لكي يشارك في الحملة الصليبية الأولى . وقد اشترك مع الصليبيين في معارك نيقية ، وأنطاكية ، وقد مات عام ١١٣٤م/٥٢٨هـ، عنه

انظر :

David , Robert Curthose of Normandy , Cambridge 1920,
Haskins , The Normans in Europeun History, New York 1959 p.212.

(٣٥) عن خطاب البابا أوربان الثاني أنظر :

Fulcher of Chartres, A History of The Expedition to Jerusalem , Trans.by Rita Rian , Tennesse 1967, pp.62-65.
Munro, "The Speech od pope Urban The Second at Clermont", A.H.R.,Vol. II, 1905, p.231-242 .

جوزيف نسيم يوسف،" الدافع الشخصي في قيام الحركة الصليبية " ،مجلة كلية الآداب – جامعة الإسكندرية ،م(١٦)،عام ١٩٦٩م،ص١٩٨–٢٠٥.

(٣٦) Prawer, Crusaders Institutions, Oxford 1980,p.123

(٣٧) Stevenson, The Crusaders in in The east , Cambridge 1907 p.39 .

(٣٨) رحلة الحاج ساليولف لبيت المقدس والأراضي المقدسة ، ص ٢٥ .
Daniel, Pilgrimage of The Abbot Daniel in the Holy Land, Trans. by Willson , P.P.T.S., Vol. 1V. London1895, p.9 .

(٣٩) جوناثان رايلي سميث،الحملة الصليبية الأولى وفكرة الحروب الصليبية ،ت. محمد فتحي الشاعر ط.القاهرة ١٩٩٤م،ص٧٥.

(٤٠) William of Tyre, A History of the deeds done beyond the sea, Vol.I Trans . by Babcock and Krey , New York 1943,p.214.

(٤١) bid , p.215

(٤٢) جوناثان رايلي سميث ، المرجع السابق،ص٧٥ .
أنظر أيضا :
Albert d'Aix , Historia Hierosolymitana in R.H.C. Hist . Occ. T,IV , Paris 1897, p. 435.

(٤٣) جوناثان رايلي سميث ، المرجع السابق،ص٧٥ .

(٤٤) William of Tyre , Vol. I, p.377

(٤٥)ميشيل الشامندي ومحمد صلاح الدين الكواكبي ، موجز في مبحث في السموط ط. دمشق١٩٢٨م،ص٨

(٤٦) كمال السامرائي ، مختصر تاريخ الطب العربي ،جـــ١،ط بغداد ١٩٨٥م ص٣٣٦

(٤٧) نفسه ، نفس المرجع ، ص ٣٧٠ .

(٤٨) Fulcher of Chartres , p.286 .

(٤٩) Runciman , A History of The Crusades , Vol. II, London 1978, p.

(٥٠) William of Tyre , Vol. I, p.239

(٥١) Ibid, p. 128

(٥٢) Ibid ,p. 121-122

(٥٣) حسن عبد الوهاب ، تاريخ قيسارية الشام في العصر الإسلامي ، .الإسكندرية ١٩٩٠،ص٤٤

(٥٤) William of Tyre , Vol. I, p.74-75

(٥٥) Fulcher of Chartres, p.175

(٥٦) Runciman , Vol. II, p.205 .

(٥٧) كمال السامرائي ،المرجع السابق ،جـ٢،ص٢٧٣ .

(٥٨) William of Tyre , Vol. I, p.220.

أيضا وصف رايموند داجيل للصليبيين في ظروف حصار أنطاكية على أنهم زناة .

رايموند داجيل ، تاريخ الفرنج غزاة بيت المقدس ، ت. حسين عطية ، ط. الإسكندرية ١٩٩٠، ص٨٩ .

(٥٩) يوشع براور ، عالم الصليبيين ، ت. قاسم عبده قاسم ، وخليفة ، ط.القاهرة ١٩٨١ م،ص٢٢١.

(٦٠) العماد الأصفهاني ، الفتح القسي في الفتح القدسي ،ط.القاهرة ب.ت،ص ١٧٠

(٦١) Jacques de Vitry , History of Jerusalem , Trans . by .Stewart, P.P.T.S, Vol. XI , London 1896, p. 46 .

جمعة الجندي ، حياة الفرنج ونظمهم في الشام خلال القرنين الثاني عشر والثالث عشر ،رسالة دكتوراه غير منشورة ، كلية الآداب ، جامعة عين شمس عام ١٩٨٥م،ص٢٩٩-ص٣٠٠ .

(٦٢) أسامة بن منقذ ، الاعتبار ، تحقيق فيليب حتى ، ط. بيروت ١٩٨١م،ص١٧٤

(٦٣) Miller , p. 212

(٦٤) Joannaes Phocas, A Brief Description of the Holy Land ,

Trans . by Aubrey Stewart, P.P.T.S., Vol. V, London 1896,p.11.

(٦٥) بنايمين التطيلي ، الرحلة ،ت. عزرا حداد ، ط.بغداد ،١٩٤٣م.ص١١١.

(٦٦) السمعاني ،الأنساب ،جـ٤،ط. بيروت ب.ت .ص٤٢ .

(٦٧) السائح الهروي ، الاشارات إلى معرفة الزيارات ،تحقيق دومنيك سورديل ط.دمشق ١٩٥٣م،ص٢١ .

(٦٨) John of Wurzburg , Description of the Holy Land ,Trans .by Aubrey Stewart, P.P.T.S, Vol. London 1896, p .51

(٦٩) Euphrosine, Pelerinage au palestine de L'Abbesse Euphrosine Traduit par de Khitrroux , R.O.L.T. III, Annee 1895, p.33

(٧٠) William of Tyre . Vol. II, p.346

(٧١) أمالفي، مدينة وقعت في سهل كمبانيا Campania بإيطاليا في مقاطعة سالرنو Salerno على بعد سبعة عشر ميلا إلى الجنوب الغربي من مدينة سـالرنو علـى الساحل الشمالي من الخليج الذي حمل اسم المدينة Gulf of Salerno,ودخلت تلـك المدينة مع علاقات تجارية مزدهرة مع مصر والشام ، عنها انظر :

William of Tyre , Vol. II , p.242 , Ency . Amer . " Amalfi "Vol.1, U.S.A. 1970, p.659 .

Pirenne , Mohammed and Charlemgne , London 1945, p.132 .

Citarello , "The Relations of Amalfi with the Arab World before the Crusades " , S.,Vol. XLII, No. 2. April 1967, p.299-312 .

أرشيبالدلويس ،القوى البحرية والتجارية في حوض البحر المتوسط ، ت. أحمد عيسى ط.القاهرة ١٩٦٠م ص٣٣٩-ص٣٤٠ .

(٧٢)عن ذلك أنظر :

Krueger," The Italian Cities and The Arabs before 1099," in setton , A History of the Crusades , Vol , Pennsylvania 1958,p.52

Langer, Western Civilisation , New York 1968, p. 561

(٧٣) عزيز سوريال عطية ، الحروب الصليبية وتأثيرها على العلاقات بين الشرق والغرب ،ت. فيليب صابر ، ط. القاهرة ١٩٧٧م،ص ٢٢٥.

(٧٤) شفيق جاسر ، القدس تحت الحكم الصليبي ، ط. القاهرة ١٩٨٩م،ص١٠٣ .

(٧٥) عبد القادر اليوسف ، علاقات بين الشرق والغرب بين القرنين الحادي عشر والخامس عشر م،ط. صيدا ١٩٦٩م،ص٩٠ .

(٧٦) Thompson , p.139

(٧٧) Saewulf , Pilgrimage of Saewulf , Trans . By Bishop of Clifton , P.P .T.S., Vol IV . London 1896, p. 14 .

انظر : رحلة الحاج سايولف(الترجمة العربية) ، ص ٢٩.

(٧٨) John of Wurzburg , p.44

(٧٩) Ibid , p.44 .

Woodings ," The Medical resources in Syria and palestine (1096- 1193) , M.H., Vol. XV.No.3, July 1971,p.15 .

(٨٠) John of Wurzburg , p.44

(٨١) Ibid , p.44.

(٨٢) Benjamin of Tudela, travels of Benjamin of Tudela , in wright Early travels in palestine , London 1848, p. 43 .

Peters , Jerusalem The Holy City , Princeton 1985, p.382 .

ويلاحظ أن المستشفى الثانية التي أشار إليها بنيامين التطيلي هي مستشفى الداوية عن ذلك انظر :

Hume , Medical work of the Knights Hospitallers of St. John of Jerusalem , institute of the History of medicine of the John Hopkins university , Baltimoie 1940, p.15 .

(٨٣) Theoderich , Theoderich's Description of the Holy places ,
trans. by Aubrey Stewart , P.P.T.S.,Vol. V , London 1896, p.27.

(٨٤) Ibid , p. 27

(٨٥) حسن عبد الوهاب ، تاريخ جماعة الفرسان التيوتون في الأرض المقدسة حوالي ١١٩٠-١٢٩١/٥٨٦-٦٩٠هـ .ط. الإسكندرية ١٩٨٩،ص٦٢ .

(٨٦) نفسه ، نفس المرجع ، ص٦٤ .

(٨٧) William of Tyre , Vol. II, p.462 .

(٨٨) سعيد البيشاوي : نابلس " الأوضاع السياسية والاجتماعية والثقافية في عصر الحروب الصليبية ، ط ١، عمان ١٩٩١م ، ص ٢١١.

Richard , "Hospitals and Hospital Congregation in the latin Kingdom during the first period of the Farankish conquest", in Outremer Studies in the History of the Crusading Kingdom of Jerusalem , Jerusalem 1982,p.90

(٨٩) Ibid, p . 91.

(٩٠) Delaville le Roulx , Cartulaire general de L' Ordre des Hospitatiers de St.Jean de Jerusalem (1110-1130), Vol.I, Paris 1894, p.90 .

(٩١) William of Tyre Vol. II,p.292

(٩٢) Ibid , p.292

(٩٣) عن الأوضاع السكانية في المناطق الصليبية بصفة عامة أنظر :
Prawer, Crusader Institutions , PP. 181, PP. 380-382. Russell." The population of the crusder states " , in setton , A History of the Crusades , Vol, V, Madison 1989,PP. 295-314 .

قاسم عبد قاسم ،"بعض مظاهر الحياة الاجتماعية في بلاد الشام عصر الحـــروب الصليبية " مجلة عالم الفكر ، م(٢٢)، العدد(٢) ، أكتوبر- نوفمبر -ديســمبر ١٩٩٣ م ص ٣٦٨-ص٣٦٩ .

(٩٤) John of Wurrburg , p.69

,Social Classes in The Crusader ststes : The Prawer Minorities " , in Setton, A History of The Crusades , Vol. ,New Jersy 1983, p.60 .

(٩٥) هنري لامنس ،" الحياة في بيروت في عهد الصليبيين " ، المشرق ، العدد(١)، السنة (٣١)، عام ١٩٣٣م،ص ٧٢٥ .

(٩٦) عن ذلك أنظر : الفصل الأول . هامش (١٠٦) .

(٩٧) William of Tyre , Vol .II p.395.

(٩٨) Ibid , p. 292

(٩٩) Ibid , p. 293

(١٠٠) Runciman , Vol. III, p. 318, note (1)

(١٠١) كمال السامرائي ، المرجع السابق ،جـــ٢،ص٤٩ . أنظر أيضا :

ابن أبي أصيبعة ،عيون الأنبياء في طبقات الأطباء ،تحقيق نزار رضا،ط. بيروت ب.ت،ص٥٨٧ .

(١٠٢) William of Tyre , Vol, II, p. 355.

(١٠٣) عبد السلام التونجي ، المسئولية المدنية للطبيب ، ط. بيروت ١٩٦٧م،ص٤٠

وهناك إشارة مفيدة لدى Woodings , p. 279:

(١٠٤) William of Tyre , Vol, II, p.355

أنظر أيضا :

محمود الحويري ، الأوضاع الحضارية في بلاد الشام في القرنين ١٢،١٣م، ط. القاهرة ١٩٧٩م. ص ٢٣٠ .

(١٠٥)محمد كامل حسين ، " في الطب والأقرباذين " ضمن كتاب أثر العرب والإسلام في النهضة الأوربية ، ط. القاهرة ١٩٨٧م،ص٢٦٠ .

(١٠٦) الاعتبار ، ص ١٧٠ . Woodings , p.271

(١٠٧)نفسه ، نفس الصفحة .

(١٠٨) نفسه ، ص١٧٦-١٧٧.

(١٠٩) مونتجومري وات ، فضل الإسلام على الحضارة العربية ت. حسين أحمد أمين ط. القاهرة ١٩٨٦م،ص٩١ .

(١١٠) فيليب حتى ، تاريخ سوريا ولبنان وفلسطين ، جـ٢،ت.اليازجي ، ط. بيروت ١٩٥٩م،ص٢٥٨ .

(١١١) عبد الله الربيعي ، أثر الشرق الإسلامي في الفكر الأوربي خلال الحروب الصليبية . ط. الرياض ١٩٩٤،ص١١٥ .

(١١٢) محمد كامل حسين ، المرجع السابق ،ص٢٦١ .

(١١٣) الاعتبار،ص١٧١ .

(١١٤) نفسه ، نفس الصفحة .

أنظر أيضا : حسان حلاق ، العلاقات الحضارية بين الشرق والغرب في العصور الوسطى (الأندلس – صقلية – بلاد الشام) ،ط. بيروت ١٩٨٦م،ص٢٣٨ .

(١١٥) مومنتجومري وات ، المرجع السابق .ص ٩١.

(١١٦) السيد عبد العزيز سالم ، طرابلس الشام في التاريخ الإسلامي ، ط. الإسكندرية ١٩٦٦ م،ص٢٣٣ .

(١١٧) عمر عبد السلام تدمري ، تاريخ طرابلس السياسي والحضاري عبر العصور ط.بيروت ١٩٨٤م،ص٤٧٨ .

(١١٨) محمد كامل حسين ، المرجع السابق ، ص٢٦١.

أيضا : أحمد طه ، الطب الإسلامي ،ط. القاهرة ١٩٧٧م،ص٩١ ويلاحظ أن الباحث الأخير أنكر فكرة تأثير الصليبيين بطب المسلمين ثم عاد ليذكر بعد ذلك

أمر ترجمة "كتاب كامل الصناعة الطبية" لعلي بن العباس المجوسي ، مما أوقعه في تناقض بين .

(١١٩) أنتوني ويست ، الحروب الصليبية ،ت. شكري محمود نديم ، مراجعة محمود حسين ، ط. بغداد ١٩٦٧م،ص٣٥.

(١٢٠) ستيفن رنسيمان ، تاريخ الحروب الصليبية ، جـ٣،ت.السيد الباز العريني ، ط.بيروت ١٩٩٣م،ص٨٢٢ .

(١٢١) قدري قلعجي ، صلاح الدين الأيوبي ، قصة الصراع بين الشرق والغرب خلال القرنين الثاني عشر والثالث عشر للميلاد ، ط. بيروت ١٩٧٩م ص٦٢١ .

(١٢٢) ابن أبي أصيبعة ، المصدر السابق ، ٣١٩ .

كارل بروكلمان ، المرجع السابق ، جـ٤،ص٢١٩،هيكل نعمه الله والياس مليحة موسوعة علماء الطب . ط. بيروت ١٩٩١م.ص٢١٠ .

(١٢٣) Mackinney , p.177

(١٢٤) عنه أنظر :

ابن أبي أصيبعة ، المصدر السابق ،ص٢٣٠، حاشية (١)

كارل بروكلمان ، المرجع السابق ، جـ ٤ص٢٩١، كمال السامرئي ، المرجع السابق ، جـ١ ،ص٥٢٧، إدوارد براون ، الطب العربي ، ت.داود سليمان ، ط. بغداد ١٩٨٦مص٥٦-ص٥٧ .

Sezgin , Geschichte des Arabischen Schrifttum , Band III , Leiden 1970, p. 320 .

(١٢٥)حاجي خليفة ، كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون ، جـ٢، ط. استانبول ١٩٤٣م،ص١٣٨ .

(١٢٦) سامي حمارنة ، " علوم الحياة " ضمن كتاب عبقرية الحضارة العربية منبع النهضة الأوربية ، ت. عبد الكريم محفوض ، ط. دمشق١٩٨٢م، ص٢٩٣

(١٢٧) جاك ريسلر ، المرجع السابق ، ٢٠٣ .

(١٢٨) ابن العبري ، تـاريخ مختصـر الـدول ، وضـع حواشـية الأب أنطـون صالحانـي اليسوعي ، ط.بيروت ١٩٨٣م،ص٣٠٥ ب.ت ص ١٥٦، الفاضل نجيـب عمر الطب الإسلامي عبر القرون ، ط. الرياض ١٩٨٧م،ص١٧٥،حكمت نجيب عبد الرحمن ، دراسات في تاريخ العلوم عند العرب ، ط. بغـداد ب.ت،ص٥٥، محمـد حسين الزبيدي ، ملامح من النهضة العلمية في العراق فـي القرنيـن الرابـع والخامس الهجريين ، ط.بغداد ١٩٨٠م ص ٩٨.

(١٢٩) حنيفة الخطيب ، الطب عند العرب، ط. بيروت ١٩٨٨م، ص٢٩ .

(١٣٠) عبد الحليم منتصر ، تاريخ العلم ودور العلماء العرب في تطوره ، ط. القاهرة ١٩٨٠م،ص١٠ .

(١٣١) ماهر عبد القادر محمد علي ، مقدمة في تاريخ الطب العربي ، ط. بيروت ١٩٨٨م،ص٧٩-ص٨٠ .

(١٣٢) من هؤلاء ريختر P.Richter وجي ويـبرج ودي كونينـج De Koning الذين عملوا على نشر الأجزاء الخاصة بالأمراض الجلدية والتشريحية وطب العيون خلال المرحلة من ١٩٠٠- ١٩١٤م، عن ذلك أنظـر : كـارل بروكلمـان ، المرجع السابق ، جـ٤، ص٢٩٣ . وبصفة عامة عن المؤلف والكتاب وأهميته أنظر Campbell, Arabian medicine and its influence on the middle ages , Vol. I , London 1976, p. 74-75, Schipperes , Die Assismilation des Arabischen medizin das Lateinischen mihelater , Wiesbaden 1966, pp.34-39 .

(١٣٣) عبد الله الربيع ، المرجع السابق ، ص١٢٦-ص١٢٧ .
El Rooby,"East meets West,A panorama of Arabian medicine in Lectures in the History of Arabian medicine, Riyadh 1988, p.10 .

(١٣٤) تقديم فؤاد شركين لتصوير مخطوط كامل الصناعة الطبية من جـانب معـهد العلوم العربية والإسلامية في فرانكفورت بألمانيا عام ١٩٨٥م.

(١٣٥) زيفريد هونكه ، المرجع السابق، ص ٢٩٧.

(١٣٦) محمد كامل حسين ، المرجع السابق، ص ٢٦٣، علي الغمـــراوي ، الأصـــول المعجمية مع شواهد من كتاب الحشائش والسموم ، نقل اســـــطفان بـــن باســـيل مـــن كتاب ديوسقوريدس هيولي الطب ، دراسة المنـــــهج التطبيقـــي لتـــاريخ الطـــب ، ط. القاهرة ١٩٧٩م،ص١٢٧ .

(١٣٧) عمر فروخ ، تاريخ العلوم عند العرب ،ط. بيروت ١٩٨٤م،ص٢٨١ ، حاشية (٦) ، فيليب حتى ، المرجع السابق ،جـــ٢،ص٢٥٠.

(١٣٨) عبد الجليل حسن محمد المهدي ، الحركة الفكرية في ظل المسجد الأقصى ط.عمان ١٩٨٠م،ص٤١،حاشية (١٥٣) .

(١٣٩) علي عبد الله الدفاع ، المرجع السابق ص١٠٩، حسان حلاق، " الطب، ضمن كتاب تاريخ العلوم عند العرب، ط. بيروت ١٩٩٠م،ص١٦٩ .

(١٤٠) Haskins, Studies in the History of medieval Science , Cambridge 1927,p.134 .

(١٤١) Ibid , p.131

(١٤٢) Ibid , p. 134.

(١٤٣) أحمد فؤاد دياب ، المرجع السابق،ص ١٨٥

(١٤٤) Haskins , p.131

(١٤٥) Ibid , p.132.

(١٤٦) Ibid , p. 132.

(١٤٧) Ibid , p. 132-133 .

(١٤٨) Daniel , The Arabs and medieval Europe , London 1979, p.268 .

(١٤٩) كمال السامرائي ، المرجع السابق ، جـــ١،ص٢٣٣ .

(١٥٠) Haskins , p.136.

الفصل الرابع
نقد بعض اتجاهات الباحثين
الغربيين في دراسة الحروب الصليبية

يتجه هذا الفصل إلى تناول بعض اتجاهات الباحثين الغربيين في مجال دراسة الحروب الصليبية بالرؤية النقدية ، من أجل إبراز عدد من توجهات أولئك الباحثين عندما اتجهوا إلى البحث في تلك المرحلة الحيوية والمؤثرة في تاريخ العلاقات بين الشرق الإسلامي والغرب الكاثوليكي خلال القرنين الثاني عشر والثالث عشر الميلاديين / القرنين السادس والسابع الهجريين على نحو خاص .

والواقع أن هناك عدة دوافع تدفع المرء لأن يتجه إلى دراسة ذلك الموضوع . ويمكن إجمالها كالآتي :

أولا : إن مرحلة الحروب الصليبية تعد وبحق واحدة من أهم المراحل التاريخية الثرية التي مرت بها منطقة الشرق الأدنى على مدى تاريخها، خاصة خلال ما يسمى بالقرون الوسطى ، ولذلك فمن الأهمية بمكان دراسة تلك المرحلة دراسة واعية من خلال"خصوصية "تاريخية لن يصفها سوى أبناء المنطقة من الباحثين المتخصصين في تاريخ تلك الحروب التي شنها الغرب الأوربي ضد المسلمين في أخريات القرن الحادي عشر الميلادي / الخامس الهجري . وهكذا فمن الخطأ البين أن نسمح للغرب بمؤرخيه وبكافة تصوراتهم الفكرية المتباينة ، التي ولدت في ظلال مراحل تاريخية استعمارية واستعلائية تجاهنا _ أن نسمح لهم بأن يكتبوا تاريخ تلك المرحلة ، ونقف كالمشاهدين دون أن يكون لنا تصور نقدي عام لتوجهاتهم ، إذ انه في الوضع الراهن الذي تقف الفجوة التكنولوجية والثورة المعلوماتية بيننا وبين الغرب لتتسع يوما بعد آخر ، من حقنا أن يكون لنا تصورنا تجاه مرحلة من مراحل تاريخنا ، الذي صنعناه لحياتنا ؛ لأن فهم ذلك التاريخ بصورة متعمقة ومتوازنة يفيدنا تماما في مواجهة الغرب المتفوق علينا ، وهكذا ، فلا نهضة لنا دون النظر إلى الماضي الذي هو أسلس حاضرنا ، من أجل أن تتوافر لدينا رؤية مستقبلية ما ، ولا نعيش مثل مستهلكي التاريخ يكتبه لنا الغرب ، ونردده نحن دون توافر رؤية نقدية شمولية عامة حيال ما يكتبه مؤرخوه .

ثانيا :إن الكتابة في مجال تاريخ الحروب الصليبية تطورت في العالم العربي تطـــورا ملحوظا منذ ختام الحرب العالمية الثانية وحتى أخريات القرن العشرين الـــذي يـــؤذن بالمغيب ، ولذا فعلينا أن نتجه وجهة جديدة في المجال التأليفي لا يقف عند تناول "كـــم "الأحداث التاريخية ، بل التعمق في رؤية الطرف الآخر لنا من خلال تجاربنا الســـابقة وفي تصوري المتواضع أن النمو المنطقي والفعلي لتطور الكتابة التاريخية العربية عن تلك المرحلة يحتم علينا التوجه صوب نقد دراسة تـــاريخ الحـــروب الصليبيـــة لـــدى الباحثين الغربيين ، من خلال منطلق عربي إسلامي وبروح موضوعية ، مع تقديرنـــا الكامل للجهد الضخم الذي بذله أولئك الباحثين وأسلافهم في مجال الدراسة الذي بدونـــه ما توافر لدينا الأساس المعلوماتي لقيام ذلك الفرع مـــن الدراســـات التاريخيـــة علـــى الأرض العربية .

ثالثا : إن خطورة عدم تبني توجه نقدي عام نحو قطاعات من الباحثين الغربييـــن ، أن تستشري أفكارهم ، وان يلقى رواجا لدى باحثينا من غير قصد ودون إدراك خطـــورة مثل تلك التوجهات الغربية على هويتنا ذاتها ، وهكذا فإن الأمر ليس مجـــرد كتابـــات تاريخية والرد عليها ، بل إن الأمر يتعدى ذلك نحو قضية الهوية ذاتها . التـــــي مـــن المفروض أن تعبر عنها كتاباتنا التاريخية عن تلك المرحلة بالذات مـــن خـــلال روح الموضوعية بطبيعة الحال .

وهكذا،كان من الضرورة بمكان التوجه صوب نقد بعض اتجاهات البـــاحثين الغربيين في دراسة تاريخ الحروب الصليبية ،غير أن الأمر ليس بالسهل اليسير ، لعدة اعتبارات ،منها على سبيل المثال لا الحصر ، اتساع وتعدد المؤلفات في ذلك المجـــال ويكفي أن نقرر أن المؤرخ الألماني هانز ماير في دراسته عن بيليوغرافية الحـــروب الصليبية عدد حوالي ٥٦٦٦عمل تأليفي حتى عام ١٩٦٥م عندما صدر عمله في مدينة هانوفر بشمال ألمانيا .

زد على ذلك ، هناك مدارس لدراسة تاريخ الحروب الصليبية منها المدرســـة الفرنسية والإنجليزية ، والألمانية ،والأمريكية ولكل مدرسة مؤرخيـــها وإســـهاماتهم

التأليفية في ذلك المجال ، ونحن هنا ليس بصدد دراسة أعلام كل مدرسة وتوجهاتها ، ولذا فإن عملي قائم على تقديم نماذج مختارة من توجهات الباحثين الغربيين حتى نكون بمثابة النموذج لمن يأتي من بعدي من الباحثين العرب – وهم أوفر علما من شخصي المتواضع – من أجل إيجاد تصورات نقدية أخرى تثري الدراسة ذاتها .

على أية حال ؛ أقدم للقارئ عددا من التصورات النقدية التي يمكن إجمالها كالآتي :

أولا من الملاحظ أن الباحثين الغربيين في مجال الحروب الصليبية كثيرا ما أقدموا على تناول دور المسلمين في مواجهة الصليبيين من خلال كم من الأحداث التاريخية المكررة والمعادة ، دون البحث في الأيديولوجية الدينية المحركة لرد الفعل الإسلامي حيال أولئك الغزاة ، ومن الممكن بطبيعة الحال إستثناء جون لا مونت John Lamonteالذي خصص دراسة مستقلة عن الحرب الصليبية والجهاد (١) وللأسف الشديد جاءت رؤيته للجهاد الإسلامي في عصر الحروب الصليبية متأخرة تماما ، ويكفي أن نذكر أنه أورد أنه في ذلك العصر لم يكن هناك جهاد لدى المسلمين وأن الأمر لا يعدو أن يكون دوافع سياسية واقتصادية ، وتناول قادة حركة الجهاد الإسلامي منذ شرف الدين مودود حتى الأشرف خليل بن قلاوون واثبت من وجهة نظره بطبيعة الحال – إن كافة توجهاتهم حيال الصليبيين أملتها تلك الدوافع السياسية والاقتصادية أو فكرة المجال الحيوي لتوسعات كياناتهم السياسية .

والواقع أننا لسنا في حاجة إلى التأكيد على القصور الشديد الذي تحتويه أفكار ذلك المستشرق ، إذ أن الجهاد الإسلامي شهد مرحلة من أثرى مراحل تاريخه خلال تلك الأحداث التي شهدت الصراع بين عالمي المسيحية والإسلام ، وعلى الرغم من أهمية الدوافع السياسية والاقتصادية حينذاك إلا أن إغفال أثر دافع محوري ورئيسي مثل دافع الجهاد – الذي هو ذروة سنام الإسلام يعد قولبة للتاريخ وإفراغه من مدلولاته الحقيقية .

والأمر المؤكد ،أن فكرة الجهاد الإسلامي كان لها أثر بالغ على أحداث ذلك العصر ، ويكفي أن نذكر أن تلك الفكرة ذاتها كان من شأنها إسقاط دول تقاعست عن

جهاد الصليبيين، وقيام دول أخرى أثبت رجالها دورا بارزا في جهادهم ، ولعل القارئ يدرك معنى أن سقوط الدولة الفاطمية لم يكن يرجع إلى عوامل اقتصادية وسياسية فحسب بل كان يرجع أيضا إلى تقاعس الفاطميين عن جهاد الصليبيين بصورة فعلية، ولذا توصف تلك الدولة بأنها دولة منتحرة، ولو أنها كانت تجاهد الصليبيين بجدارة وتوصلت إلى نتائج حاسمة في التعامل معهم لما استطاع صلاح الدين الأيوبي أن يقيم الدولة الأيوبية على أنقاض كيان الفاطميين الذي لم يجاهد الصليبيين سوى بعض المعارك الحربية البرية والحربية التي لم تؤد إلى تغير فعلي لخريطة الكيانات السياسية في المنطقة .

ولا نغفل ، أن الجهاد الإسلامي في ذلك العصر وصلت إلينا العديد من المؤلفات بشأنه ،سواء في الشام أو مصر أو العراق ، وكان مجال التأليف في أمره دليلا وضاحا على أن ذلك العصر هو عصر الجهاد أو ما وجه القادة المسلمون مثل شرف الدين مودود ،وايلغازي ، واقسنقر ، و عماد الدين زنكي ، ونور الدين محمود وصلاح الدين الأيوبي ، وبيبرس ، والمنصور قلاوون والأشرف خليل إلا من خلال ذلك التوجه نحو الجهاد ، مع عدم إغفال أهمية الدوافع الأخرى السياسية والاقتصادية ، وكافة الدوافع تعاملت سويا في منظومة واحدة مشتركة تصب في ضرورة محاربة الصليبيين .

وواقع الأمر ، أن جون لامونت ومن إتجه وجهته من الباحثين الغربيين ، لم يأت بجديد ، فمنذ متى وجدنا أولئك الباحثين يدركون بوعي خصوصية الإسلام ، وأهمية عنصر الجهاد في الفكر الإسلامي ؟ وحقيقة الأمر ، أنهم حاولوا هدم فكرة الجهاد منذ القرن الأول الهجري / السابع الميلادي وحتى القرن السابع الهجري / الثالث عشر الميلادي ، ورغبوا في القضاء على النماذج لفكرة الجهاد من أجل أن يكون الإسلام وأبنائه جثث هامدة لا ترد الغزاة في كل عصر ، وهكذا فليس الهدف دحض الفكرة في العصور الوسطى وعصر الصليبيات على نحو خاص ،بل أن الهدف

أعمق وأخطر وهو القضاء على الفكرة في الماضي وتشويهها من أجل ألا يكون لـها وجود في المستقبل .

نخلص إلى القول أن المؤرخ الأمريكي جون لامونت لم يـأت بجديـد ، وأن فكره ذاته لا يقف على قدميه في زاوية الجهاد الإسلامي أمام واقع أحداث تاريخ تلـك المرحلة ، وذلك على الرغم من تقديري الكامل لمؤلفات ذلك المـؤرخ البـارز فـي مجالات أخرى من تاريخ الحروب الصليبية (٢) .

ثانيا : من الملاحظ لدى قطاع من الباحثين الغربيين أنهم عندما درسوا عصر الحروب الصليبية عملوا على إبراز دور الفرد في صنع تاريخ تلك المرحلـة بصـورة ملفتـة للانتباه ، ويكفي أن نطالع مؤلفات لعمالقة أولئك المؤرخين مثل ما ألفه رينيه جروسـيه Rene Grousset (٣)وكذلك ستيفن رنسيمان Steven Runciman (٤)وغـيرهم نجد أنهم يركزون الضوء بصفة مستمرة على القيادات وإظهار الأمر على أنه مجـرد صراعات سياسية بين قيادات إسلامية من ناحية ، وقيادات صليبية من ناحية أخـرى ، والواقع أن خطورة مثل ذلك التوجه أنه أغفل البعد الشعبي لحركة الجهاد الإسـلامي ، ومع إدراكنا لأهمية الفرد في توجيه حركة التاريخ بإذن المولى عـز وجـل – إلا أن تغييب الدور الشعبي يفقد حركة الجهاد الإسلامي ،أبعادها الحقيقية وتصوير الشـعوب الإسلامية حينذاك على أنها كانت تجلس في موقف المتفرج أمر مغلوط ؛ إذ أن الواقـع التاريخي عكس ذلك تماما .

ومن جهة أخرى فإن المصادر التاريخيـة المعـاصرة واللاحقـة أوضحـت إشارات جلية عكست أن حركة الجهاد الإسلامي في بواكيرها الأولـى ضـد الغـزو الصليبي منذ عهد اتابك الموصل شرف الدين مودود الذي قام بدور ريادي فـي هـذا الصدد ، قامت من خلال ضغط شعبي قوي من جانب أهل حلب حاضرة شمال الشـام المزدهرة ، ويلاحظ أن الشعوب الإسلامية فيما بعد – في الشـام ومصـر والعـراق وتونس قدمت أبناءها وهم القوة البشرية الأساسـية واللازمـة لتحقيـق الانتصـارات

العسكرية في عصر لم تكن تتحقق فيه مثل تلك الانتصارات من خلال تفوق تكنولوجي حربي كاسح كما في أيامنا الحالية .

وهكذا ، يمكن أن نخلص إلى نتيجة عملية في صورة أن الشعوب الإسلامية واجهت الغزوة الصليبية في أخريات القرن الخامس الهجري / الحادي عشر الميلادي وعلى مدى القرنيين التاليين ، وإغفال البعد الشعبي لحركة الجهاد الإسلامي هو إفراغ المرحلة التاريخية من مدلولها الحقيقي وبتر التاريخ المسلمين ، وإذا كان التاريخ تصنعه الشعوب وينسبه المؤرخون للحكام . فإن ذلك وجدناه في صورة صادقة لدى قطاعات من الباحثين الغربيين الذين أرخوا لمرحلة الصليبيات وأغفلوا في أحيان عديدة الجانب الشعبي ؛ رغم دوره الحاسم في تطور أحداث الصراع خلال تلك المرحلة التاريخية الفعالة .

ثالثا : وجد اتجاه لدى بعض الباحثين الغربيين يركز على مقولة استمرار الحروب الصليبية مدة قرنين من الزمان (السادس والسابع الهجريين / الثاني عشر والثالث عشر الميلاديين) ، مع ملاحظة أن الواقع التاريخي عكس ذلك تماما ، إذ أن الحركة الصليبية ظاهرة تاريخية مستمرة ولم ولن تكون قاصرة على ذلك النطاق الزمني المحدود ، ومن الممكن أن الفت نظر القارئ هنا إلى أن المؤرخ المصري الراحل عزيز سوريال عطية قد أثبت استمرارية الحروب الصليبية فيما بعد القرن الثالث عشر الميلادي / السابع الهجري ، وأعد دراسة شاملة عنوانها الحرب الصليبية في العصور الوسطى المتأخرة ، كذلك نجد العلامة / سعيد عاشور– صاحب أفضل وأمتع دراسة سياسية أكاديمية عن الحروب الصليبية قد أوضح استمراريتها حتى القرن السادس عشر الميلادي / العاشر الهجري (٥) في صورة مركز الكشوف الجغرافية ، ومحاولة أوربا احتواء العالم الإسلامي من خلال حركة كشف طرق بحرية وتجارية جديدة تهدد اقتصاديات ذلك العالم ، وتعمل على احتوائه تمهيدا لإخضاعه لسيادتها من جديد على المستوى السياسي وهو الأمر الذي حدث حقا على مستوى الواقع التاريخي .

ومن زاوية أخرى ؛ من الملاحظ أن الحروب الصليبية اتخذت أشكالا عديدة فإذا كان الصليبيون قد خرجوا من ديارهم في الغرب الأوربي في أخريات القرن الحادي عشر الميلادي /الخامس الهجري صوب الشرق مدججين بالسيوف والسهام والرماح ، إلا أن الصليبية المستمرة سلاحها الآن اقتصادي وغزو فكري ، وما إتفاقية تحرير التجارة المعروفة بالجات إلا مظهر صليبي بارز تهدف إلى جعل العالم الثالث- ويمثل العالم الإسلامي قطاعا كبيرا منه – مجرد مصدر للمواد الخام وسوق لتصدير إنتاج العالم المتقدم ، ومن المعروف أن تطبيقها يبدأ عام ٢٠٠٥م وبديهي أن إنتاج ذلك العالم المتواضع المستوى تكنولوجيا لن يقف أمام إنتاج العالم المتقدم الذي تسيطر عليه الدوائر المسيحية البرجماتية . أما الغزو الفكري فيكفي أن نذكر ثورة الاتصالات والأقمار الصناعية ومالها وما عليها والأخيرة أكثر .

نخلص من كل ذلك إلى حقيقة جلية وهي أن الصليبيات ظاهرة تاريخية مميزة لا تقتصر على مرحلة زمنية محددة ولعل ذلك سر مأساويتها ،وحيويتها في آن واحد رابعا : اتجه عدد من الباحثين الغربيين إلى تناول النزاعات السنية – الشيعية في بلاد الشام في عصر الصليبيات ، ونذكر من هؤلاء برنارد لويس Bernard Lewis المتخصص في الدراسات الإسماعيلية ، وهو صاحب مقالة الإسماعيلية والحشاشين في مجموعة سيتون وبلدوين ، المجلد الأول ، ط.بنسلفانيا ١٩٥٥م (٦) وله كتاب متخصص عنوانه : الحشاشون الطائفة الراديكالية في الإسلام(٧)، وقد حاول ذلك المؤرخ جهده أن يظهر الإسماعيلية النزارية حينذاك على أنهم أبطال مدافعين ضد التسلط السني ، واعتبر حركتهم حينذاك بمثابة حركة راديكالية في الإسلام .

والواقع أن تصورات ذلك المؤرخ فيها قدر من المبالغة والأمر المؤكد تاريخيا الدور السيئ الذي لعبته عناصر منهم في صورة اغتيال قادة حركة الجهاد الإسلامي كذلك هناك من ارتمى في أحضان الصليبيين متحالفا من أجل مواجهة الوجود السني الذي حمل عبئ الجهاد على كاهله دون مبالغة أو قولية .

نقول ذلك ، مع عدم إغفال أنهم في مرحلة تالية صاروا تابعين للقبضة المملوكية ، وكانوا أداة طيعة وينفذون توجيهات السياسة المملوكية بصفة عامة ضمن المنظومة الإسلامية العامة .

وهكذا ، من الممكن ملاحظة أن توجهات برنارد لويس ينبغي أن تدرس بحيطة وحذر ، وليس كل ما أورده ذلك المؤرخ يطابق الواقع التاريخي و إضفاء طابع ثوري وبطولي على من اغتال شرف الدين مودود ، وحاول اغتيال صلاح الدين الأيوبي مرتين أمر مغلوط ولا يقف على قدميه ، ويمثل اصطناعا لبطولة زائفة لم تولد أصلا كي تعيش.(٨)

خامسا : من الملاحظ أن من الباحثين الغربيين من عمل جاهدا على إبراز الجانب العسكري والسياسي في الصراع الإسلامي – الصليبي ولم يتجه صوب الزاوية الحضارية أو المواجهة بين حضارة الإسلام المتفوقة بمراحل ، وحضارة الغرب الأوربي المتواضعة المستوى ، وكان هم ذلك الفريق إبراز الانتصار العسكري الصليبي المبكر الذي سمح بغرس كياناتهم الدخيلة على الأرض العربية .

والواقع أن من الضرورة ملاحظة أن المواجهة الحضارية كانت من الأهمية والخطورة بحيث لا يمكن إغفالها من أجل فهم ذلك العصر بصراعاته وتكويناته ، وقد تمكن المسلمون بالفعل من التفوق حضاريا على الصليبيين في العديد من مجالات المعرفة الإنسانية ويمثل القرنان السادس والسابع الهجريين / الثاني عشر والثالث عشر الميلاديين ما يمكن وصفه بعبقرية القرنين المذكورين من خلال غزارة المجال التأليفي (٩) والتفوق العلمي بصفة عامة . ويكفي أن نذكر أن المدارس إنتشرت في بقاع المسلمين حتى من قبل مقدم الصليبيين إلى المنطقة ، وكانت تلك المدارس هي جامعات في حقيقة الأمر ، ناهيك عن ترسخ التقاليد العلمية بها ، أما الصليبيون فإنهم أقاموا القلاع والحصون من أجل تثبيت أقدامهم في المنطقة ، وقدموا تجربة فاشلة لاستعمار المنطقة ونهب ثرواتها من خلال مشروع يعسكر المسيحية ويوجهها ضد الإسلام ، ولم يسهم الصليبيون إسهاما علميا في مناطق استقرارهم في بلاد الشام

باستثناء ما سبقت دراسته من ترجمة كتاب علي بن العباس المجوسي كامل الصناعة الطبية على يد ستيفن الانطاكي Stephen of Antioch وهو أمر فصلته في الفصل الثالث من هذا الكتاب .

سادسا: اتجه عدد من الباحثين الغربيين في دراستهم لعصر الحروب الصليبية إلى تصوير تاريخ الصليبيين في بلاد الشام على أنه تاريخ بطولات حربية لهم ، ومن أمثلة ذلك تصوير المؤرخ ارنست باركر Ernest Barker لحصار الصليبيين لمدينة عكا خلال الحملة الصليبية الثالثة على أنه درب من البطولة ، وفيه قدر أن حصارها شهد صنوفا من البطولة من الجانبين الإسلامي والصليبي (١٠) فساوى بذلك بين الغزاة الصليبيين وأصحاب الأرض من المدافعين المسلمين ، وفي تصوري أن الصليبيين لم يكونوا يوما ما أبطالا ،بل كانوا غزاة سرقوا الأرض ونهبوا مواردها على مدى قرنين من الزمان ، ورفضوا إمكانية التعايش مع المسلمين وظل الطابع الدموي ملازما للشخصية الصليبية على مدى تاريخ استعمارهم لبلاد الشام ويمكن تلخيص تاريخ وجودهم هناك في كلمتين " الدماء والمال " ولنترك التشدق بالدين والشعارات الكاذبة التي حملوها وصورتها كتب الحوليات الصليبية الباكرة لأنه أمام البشع المادي كشف النقاب عن الوجه الحقيقي للمشروع الصليبي .

إنني أتساءل ، أين البطولة في احتلال الأرض بالقوة وحرمان أبنائها من حقوقهم ؟ وأين البطولة في سرقة الشعوب ؟ إنه منطق معكوس ينطلق من تعصب للغرب لم يستطع باركر – على الرغم من توازنه عموما – الفكاك منه وفي المقابل أرى أن البطولة الحقيقية كانت من المسلمين الذين مثلوا حامية عكا ، وكان عددهم ألفين وخمسمائة من الأبطال الذين ظلوا يدافعون عن عكا عامين كاملين وسط أسوأ الظروف المعيشية والعسكرية مع ملاحظة أن الحملة الصليبية الثالثة استمرت ثلاث سنوات منها مدة العامين خلال حصار عكا. وقد أصاب باركر الحقيقة عندما شبه حصارها بأنه مثل حصار طرواده(١١) (قرية حصار لك التركية) تلك المدينة التي

خلدتها أشعار الشاعر اليوناني الكبير هوميروس Homerus في ملحمته الرائعة الإلياذة والأوديسا .

زد على ذلك ؛ أن المؤرخ كنج King في كتابه فرسان الاسبتارية في الأرض المقدسة (١٢) عمل على إظهارهم على أنهم أبطال أشداء دافعوا عن شرف الصليبيين الحربي ، والواقع أننا نرد بنفس المنطق انهم ما كانوا أبطالا حتى دفاعهم المستميت عن عكا عندما حاصرها الأشرف خليل بن قلاوون عام ٦٩٠هـ/١٢٩١م ومعهم الداوية Templars لم يكن ذلك إلا انهم لم يتصوروا أن يغادروا الأرض التي إحتلوها مدة قرنين بمثل هذه الصورة التي حلت بهم .

إنه "وهم البطولة " لا البطولة الذي يجعل أولئك المؤرخين يتصورون ذلك على رجال الحرب الصليبيين الذين ما خلفوا ورائهم سوى الجماجم والدماء وتاريخ أسود لاستعمار فاشل للمنطقة ، أقول ذلك دونما شوفونية بل بموضوعية كاملة لأنهم لو كانوا قد تركوا اكثرمن ذلك لما تناسيته .

وفي نفس المجال ،نذكر ما ألفه المؤرخ الأمريكي ول ديورانت Well Durant في موسوعته الضخمة قصة الحضارة The Story of Civilisation فيما يتصل بالصليبية الثالثة ، حيث حركته الروح الصليبية أكثر مما حركته الروح الموضوعية ، ويظهر ذلك بجلاء عندما تناول قتل صلاح الدين الأيوبي لنحو ٣٠٠ من فرسان الاسبتارية Hospitallers والداوية Templars في أعقاب معركة حطين عام ٥٨٣هـ / ١١٨٧م، ثم تناوله لقتل الملك الإنجليزي ريتشارد الأول قلب الأسد Richard I Heart of Lion لنحو ٢٥٠٠ من المسلمين المدافعين عن عكا في منطقة تل العياضية حيث فتك بهم جميعا في واحدة من أكبر المذابح الدموية التي أقامها الصليبيون للمسلمين باستثناء مذبحة القدس الشهيرة (١٥-٢٥يوليو ١٠٩٩م) .

ولتوضيح الأمر ؛ يجدر بنا أن نتعامل مع منهج النصوص المقارنة حتى تتضح الحقائق كاملة ، يقول ول ايورانت .. كان صلاح الدين متمسكا بدينه إلى أبعد حد ، وأجاز لنفسه (١٣) أن يقسو أشد القسوة على فرسان المعبد والمستشفى وفي

موضع آخر يقول " لم تظهر جيوش المسلمين شيئا من الرأفة في فرسان المعبد أو المستشفى (١٤) . بحامية عكا المسلمة سمح ريتشارد أو النزعة الروائية الشعرية لنفسه أن يفعل مالا يتفق مع حياته النبيلة ، من ذلك أنه لما تباطأ زعماء عكا المحاصرة في تنفيذ شروط الاتفاق المعقود بينهم أمر ريتشارد أن تضرب رؤوس ٢٥٠٠ من الأسرى المسلمين أمام أسوار المدينة ، لينبه بذلك الأهلين إلى وجوب الإسراع في تنفيذ الشروط .

والواقع أن نظرة متأنية لتلك النصوص ندرك من خلالها أن ذلك المؤرخ – على الرغم من شهرته الفائقة والدعاية الأمريكية التي صاحبت ظهور عمله الموسوعي ، وحاول أن يبرر له أخطاءه ، وهو يستعمل عبارات عنيفة عندما قتل صلاح الدين نحو ٣٠٠ من فرسان الإسبتارية والداوية الذين طالما فتكوا بالمسلمين ونقضوا عهودهم معهم ، والذين إشتركوا في هجوم أر ناط (رينالد دى شاتيون)على الحجاز ، وأراد تشويه صورة صلاح الدين الأيوبي من خلال هذه الحادثة ، التي أرى أنه كان محقا تماما في الإقدام عليها لأنه لو ترك أولئك الفرسان دون الفتك بهم لعادوا مرة أخرى لقتال المسلمين بضراوة أشد وقسوة أعنف ، وفي المقابل أراد ول ديورانت تبرير دمويته ريتشارد الأول التي لاتنكر ، واستخدم حجة واهية وهي أنه لكي ينبه الأهلين إلى ضرورة الإسراع في تنفيذ الشرط " قام بالقتل بذلك العدد الضخم من المسلمين ، وكشف بذلك عن أن العقلية الغربية تكيل بمكيالين ، فهي تحلل لنفسها أشياء ، تحرمها على الآخرين . ومن الغريب أنه لم يوجه للملك الإنجليزي أي اتهام بالدموية على الرغم من تأصل ذلك فيه ويكفيه مذبحته لليهود عندما اعتلى عرش إنجلترا عام ١١٨٩م/٥٨٥هـ خلفا لأبيه هنري الثاني (١١٥٤-١١٨٩م/٥٤٩-٥٨٥هـ) وفي ذات المقام يحسن بنا الإشادة بالسلطان الأيوبي الذي دخل بيت المقدس دخولا سلميا أبيض ولم يرق فيها قطرة دماء واحدة على الرغم من أن الصليبيين أراقوا الدماء غزيرة فيها لمدة عشرة أيام كاملة عندما دخلوا المدينة المقدسة عام ١٠٩٩م/٤٩٢هـ . وذلك باعتراف مصادرهم التاريخية المعاصرة (١٦)،ويذكر له

أيضا أنه عندما مرض الملك الإنجليزي في يافا أرسل إليه ذلك السلطان الفاكهة والثلج وطبيبه الخاص لمعالجته ، ومن الأمور ذات الدلالة أن هناك أسطورة نسجت حول صلاح الدين الأيوبي استمرت منذ القرن السادس الهجري / الثاني عشر الميلادي وحتى العصر الحديث ووجدت لدى الغرب الأوربي ، بينما لم نسمع عن أساطير تنسج حول ذلك الملك الإنجليزي المعاصر له والمعادي له . على نحو أكد لنا أن ذلك القائد المسلم تمكن من غزو العقل الجمعي الأوربي في ذلك الحين .

ولا جدال في أن ول ديورانت قد شايع المؤرخين الغربيين الذين أعجبوا أشد الإعجاب بريتشارد الأول ، انظر قوله :" عوض ريتشارد عيوب جنوده بمقدرته الفذة على القيادة و خدمتة في الهندسة العسكرية وشجاعته الملهمة في الميدان ، وكان في هذه المقارنة غير المنطقية التي وضع فيها سببها على ما يبدو ويرويه الانبهار ذاته الذي نجده في مصادر الصليبية الثالثة مثل ما ألفه أمبروار Ambroise(١٧) ، وجودفري أوف فينزوف Geoffrey of Vinsauf(١٨) ، وكذلك مؤلف رحلة حج وأعمال الملك ريتشارد .(١٩)

وواقع الأمر أن من المؤرخين الغربيين من حرص على تعظيم شأن ذلك الملك الإنجليزي خاصة من خلال إنتصاره في معركة أرسوف Rrsuf التي وقعت في عام ١١٩١م/٥٨٩هـ والتي انتصر فيها على الجيش الأيوبي بقيادة صلاح الدين وهذا هو تعليل عبارته القائلة "وكان في هذه الصفات كلها متفوقا على صلاح الدين " مع ملاحظة أن معركة أرسوف أحيطت بهالة من الدعاية الصليبية والغربية بحيث تعمد البعض من الباحثين الغربيين صنع نجم بارز من ريتشارد الأول ، ونفس الأمر نجده في ما أورده المؤرخ البريطاني شارلز أومان Charles Oman الذي بالغ في قيمة تلك المعركة ، واعتبرها من المعارك الحاسمة – وهي لم تكن كذلك وأعادت للصليبيين كافة المناطق الواقعة جنوب فلسطين كما توهم ، الأمر الذي لم يكن صحيحا وناقشته مفصلا في بحثي عن تلك المعركة المحدودة النتائج بموضوعية (٢٠)

سابعا : وقع عدد من الباحثين الغربيين في منزلق تصوير الحروب الصليبية من خلال الدافع الديني ، وهو أمر قديم ، فمنذ أخريات القرن الماضي نشر الكونت ريان Riant مقالة في مجلة أرشيف الشرق اللاتيني Arshives de L'Orient Latin ، أوضح فيها أن تلك الحروب قامت بصورة مباشرة أو غير مباشرة من خلال الرغبة في استرداد الأماكن المقدسة لدى المسيحيين في فلسطين ، متجنبا الدوافع الأخرى التي شكلت المنظومة الصليبية في صورة الدوافع السياسية والاقتصادية والاجتماعية وغيرها . وعلى الرغم من أن توجه ريان لم يعد يلق التأييد الكامل الآن من الباحثين الغربيين في عمومهم إلا أن بقاياه لا تزال قائمة ، على الأقل في صورة بعض الجوانب الجزئية .

ومن أمثلة الاتجاه المذكور ، إعتبار العديدين جودفري البويوني Godfrey de Bouillon (٢١) أول حاكم لمملكة بيت المقدس الصليبية والذي حكم خلال المرحلة من (١٠٩٩-١١٠٠م/٤٥٢-٤٩٣هـ) . شخصية تقيه ورعه رفضت لقب الملك في مدينة بيت المقدس وبالتالي لم ينظروا إلى ذلك القائد الصليبي السياسي الداهية ، نظرة موضوعية . وتأثروا في ذلك كله بتلك الأسطورة التي راجت حوله (٢٢)، ومن المعروف أن العصور الوسطى شهدت ميلاد العديد من الأساطير ، ومن أمثلتها أسطورة حَج شارلمان Carolus Magnus ، وأسطورة فردريك باربار وسا ederich Barbarossa (١١٥٢-١١٩٠م/٥٤٧-٥٨٦هـ) ، وقد انعكست تلك الأساطير على رؤى وتصورات المؤرخين عندما عالجوا تلك المرحلة ، وفي تصوري المتواضع أن رفض جودفري البويوني للقب الملك Rex ، دلّ على حنكته السياسية ورغبته في ضم أكبر عدد ممكن من المؤيدين له من خلال تظاهره بمظهر الورع والتقوى في عصر كان العزف على البعد الديني بمثابة ضمان النجاح لأية أعمال سياسية معينة ، والمشروع الصليبي نفسه خير دليل وبرهان على صحة ذلك .

زد على ذلك ؛ هناك تصوير البعض للملك الفرنسي لويس السابع Louis VII (١١٣٧-١١٨٠م/٥٣٢-٥٧٥هـ) على أنه رجل تقي وورع واشترك في

الحملة الصليبية الثانية من خلال تدينه ، وأصحاب ذلك التوجه يذكرون أنه خلال صراع ذلك الملك الفرنسي مع ثيبولد أوف شامبني Thibauld of Champany قام بإحراق كنيسة قترى Vitry التي لجأ إليها عدد من اللاجئين في عام ١١٤٧م(٢٣) ، فأحرق نحو ألف من الرجال والنساء والأطفال ، وحيث أنه شعر بوخز الضمير فقد أراد القيام بعمل تكفيري فاشترك في الحملة الصليبية الثانية ضد المسلمين في أعقاب استيلائهم بقيادة عماد الدين زنكي على إمارة الرها Edessa الصليبية عام ٥٣٩هـ/١١٤٤م .

والواقع أن التعليل السابق لا يمكن أن يكون مقبولا في عصر شهد الدوافع المتعددة للحركة الصليبية ، وشهد نشاطا فرنسيا واضحا لفرنسة شرق البحر المتوسط Levant ، والتفسير الأخلاقي للسياسة الخارجية الفرنسية حينذاك يؤدي إلى تغييب القضية التاريخية ، والواقع أن لويس السابع حرص على الاشتراك في تلك الحملة من أجل كسب التأييد الشعبي في داخل فرنسا ودعم نفوذ أسرة آل كابيه ، ولكي يحظى بود البابوية ويتجنب أي حرمان كنسي Excommunication من جانبها ، ثم لأن فرنسا منذ الوهلة الأولى لقيام المرحلة الشامية من الحروب الصليبية صارت حامية حمى الكيان الصليبي الاستيطاني في بلاد الشام ، وبصفة عامة يمكن القول أن اشتراك ذلك الملك جاء تعبيرا عن الحلف بين أسرة آل كابية والبابوية في مسالة الشرق اللاتيني L'Orient Latin .

زد على ذلك ؛ أن الباحثين الغربيين في مجال الصليبيات حريصون كل الحرص على وصف الملك الفرنسي لويس التاسع Louis Ix (١٢٢٦-١٢٧٠م/٦٢٤-٦٦٨هـ) حتى إن دونالد أتووتر Donald Attwater في كتابه معجم القديسين Dictionary of Saints الصادر في لندن عام ١٩٧٧م قد خصص له حادثة مستقلة ، والواقع أن أولئك الباحثين تأثروا برؤية جان دي جوانفيل Jean de Joiniville الذي وقع في سحر الانبهار بسيدة ، وأوضح لمعاصريه انه كان

قديسا ، وخطورة تبني وجهة النظر الجوانفيلية ، أنها تغفـــل الزوايــا الأخــرى فـــي شخصية وسياسة ذلك الملك الفرنسي .

الواقع أن الملك الفرنسي لويس التاسع يعد وبحق من أدهى دهـــات السياســـة الفرنسية في القرن الثالث عشر وهو صاحب حملتين صليبيتين على مصر وتونـــس ، فهو الوحيد من ملوك الغرب الأوربي الذين شاركوا في المشروع الصليبي الذي قـــاد حملتين صليبيتين ، ولم يقتصر على حملة واحدة وفي كافة توسعاته الخارجية دفعتـــه الدوافع السياسية والاقتصادية ، ومن المؤكد أن فتحه لجبهة جديدة للصراع الإســـلامي – الصليبي في الشمال الأفريقي Afrique de nord دل علـــى تمرســـه بشـــئون الاستعمار الأوربي في عصره الوسيط .

وفي تقديري أن الهدف من الإلحاح على تلك الفكرة مـــن جـــانب البـــاحثين الغربيين لا سيما الفرنسيين منهم ، رغبتهم في خلق نموذج ديني وحربي في آن واحـــد للبطولة الأوربية في العصر الوسيط ، من أجل استنفار الهمم في العصـــر الحـــالي ، وهذا بدوره يكشف عن حقيقة هامة ، ألا وهي أن الاتجاه العلماني الغربي لا يفـــرض نفسه تماما على المعالجات التاريخية لدى الغرب الأوربي والأمريكي بدليل أنه عندمـــا تحين الفرصة لطرح فكرة ذلك النموذج الديني والحربي في العصر الوسيط ينمو ذلـــك الاتجاه العلماني وتتكشف الجوانب البرجماتية لدى تلك العقلية في التعامل مع الظـــاهرة التاريخية ، وتوظيفها لخدمة أهدافها حتى من خلال البعد الديني .

وبعد؛ فتلك أهم الملاحظات النقدية التي أوردتها بشأن نقد بعـــض توجـــهات الباحثين الغربيين في مجال تاريخ الحروب الصليبية .

الهوامـــش

(١) La Monte , The Crusade and Jihad , in The Islamic civilisation , ed . by Nabih Faris, New York 1960 .

وعن الرد عليه انظر:

محمد مؤنس عوض ، القوى الدينية الإسلامية والمسيحية في بلاد الشـام فـي عصر الحروب الصليبية ، رسالة ماجستير غير منشورة كلية الآداب – جامعة عين شمس عام ١٩٨٤م، الفصل الأول – الباب الأول .

(٢) عن مؤلفات جون لامونت بصفة عامة أنظر :

نجيب العقيقي ، **المستشرقون** ،جـ٢،ط. القاهرة ١٩٨٠،ص١٩٧–ص١٩٨.

(٣) أنظر كتابه : Historire des Croisades, Paris 1934

(٤) أنظر كتابه: History of The Crusades, London 1978.

(٥)انظر كتابه : The Crusade in the Later Middle ages, London 1938

وأيضا : كتاب : الحركة الصليبية ،جـ٢،ط.القاهرة ١٩٦٦م،

(٦) أنظر: The Ismailites and The Assassins", in setton, A History of: The Crusades, Vol. I, pennsylvania 1958 .

(٧) The Assassias, Aradical seet in Islam .

(٨) أفضل دراسة نقدية شاملة لفكر برناردلويس هي تلك التي أعدها الباحث مـازن بن صلاح مطبقاني وعنوانها : الاستشراق والاتجاهات الفكرية في التاريخ الإسـلامي دراسة تطبيقية على كتابات برناردلويس ،ط.الرياض ١٩٩٥م، وعـن أفكـار ذلـك المستشرق بشأن الحشاشين أنظر ،ص١٩٣–١٩٩.

(٩) للتدليل على ذلك نقدم مثالا واحدا في صورة ابن أبي اصيبعة ، عيون الأنباء فـي طبقات الأطباء ، تحقيق نزار رضاء ، ط. بيروت ١٩٦٥م. حيث نجد العديـد مـن الأطباء الذين ظهروا في عصر الحروب الصليبية على نحو خاص ، مع عدم إغفـال قيمة السابقين في نفس المجال العلمي بطبيعة الحال .

(١٠) الحروب الصليبية ، ت. السيد الباز العريني ، ط. بيروت ب–ت . ص٨٧.

(١١) نفس المرجع والصفحة .

(١٢) أنظر كتابه : The Knights Hospitallers in The Holy Land, London 1930 .

(١٣) قصة الحضارة ، م٤/جـ٤ ، عصر الإيمان ت . محمد بدران ، ط. القاهرة ١٩٧٦م.ص٤٤ .

(١٤) نفس المرجع، ص ٣٦ .

(١٥) نفس المرجع، ص٤١ .

(١٦) عن تلك المذبحة أنظر :

Anonymous , The deeds of The Franks and other Pilgrims , Trans . by R. Hill, New York 1962, p.51 .
Raymond d' Aghilliers, in peters , The First Crusade , pensy-Lavania 1971,p. 209 .

(١٧) عن ذلك أنظر :

The Crusade of Richard , Trans . by Hubert, New York 1943 .

(١٨) History of The Expedition of Richard Coeur de Lion , in Chronicles of The Crusades , London 1903 .

(١٩) Chronicle of The Third Crusade , A Translation of I Tinerarium peregrinorum et Gesta Regis Ricardi , by Helen J . Nicholso n, London 1997 .

(٢٠) محمد مؤنس عوض ، في الصراع الإسلامي – الصليبي معركة أرسوف ١١٩١م/٥٨٩هـ، ط.القاهرة ١٩٩٨م.

(٢١) عن جودفري البويوني أنظر :

Fulcher of Chartres , A History of The Expedition to Jerusa -lem , Trans . by Rita Rian , Tennesse 1969 , p. 72, p.80, p.85

(٢٢) أنظر عن ذلك :

قاسم عبده قاسم ، ماهية الحروب الصليبية ،ط. الكويت ١٩٩٠م، ص١٦٦ .

(٢٣) سعيد عاشور ، أوربا العصور الوسطى ، جـ١، ط. القاهرة ١٩٨٦م، ص٢٥٧.

(٢٤) أنظر كتابه :

The Life of Saint Lewis, in Chronicles of The Crusades ,
Trans . by Shaw, London 1976 .

الفصل الخامس

واقع الكتابة التاريخية العربية الحديثة

عن الصليبيات - رؤية نقدية

يتناول هذا الفصل بالبحث ؛ واقع الكتابة التاريخية العربية المعاصرة عن الصليبيات ، والإسهامات التي قام بها الباحثون العرب في هذا الفرع من فروع الدراسات التاريخية ، ثم يسعى – جاهدا وبموضوعية – نحو نقد ذلك الواقع من أجل طرح ما يمكن وصفه بإشكاليات الدراسة ذاتها كما تكشف عنه إسهامات المؤرخين العرب أنفسهم وواقعهم البحثي في الحقل المذكور .

وبداية من الممكن أن نعرض ملامح نشأة وتطور الكتابة التاريخية العربية الحديثة عن الحروب الصليبية ، وفي هذا المجال من الممكن أن نقرر أن النشأة ارتبطت بنهاية الحرب العالمية الثانية من خلال وإسهام عدد من المؤرخين المصريين في إعداد دراسات تاريخية حديثة بعد أن درسوا في الغرب الأوربي ، وكذلك اشرفوا على باحثين آخرين ، وهكذا نجد أن هناك عدد من الرواد نذكر منهم أ .د. محمد مصطفى زيادة ،أ... حسن حبشي ،أ.د. جوزيف نسيم يوسف ،أ.د. سعيد عبد الفتاح عاشور، ثم توالى الباحثون في مجال الحروب الصليبية خاصة من جانب جامعات القاهرة والإسكندرية وعين شمس والزقازيق وطنطا مع وجود عدد من المؤرخين الذين أشرفوا على أطروحات علمية ومن أمثلتهم أ .د. محمد حسنين ربيع ، أ. د . محمود سعيد عمران ،أ. د. محمد محمد مرسي الشيخ ، وأ.د. اسحق عبيد ، وأ.د. احمد رمضان أحمد ، وأ.د. قاسم عبده قاسم ، وأ.د. أسامة زكي زيد ، وغيرهم .

ومن المهم أن نؤكد على الدور الريادي للمؤرخين المصريين الحديثين في دراسات تلك المرحلة التاريخية البالغة الأهمية في تاريخ العلاقات بين الشرق والغرب في القرون الوسطى ، ويكفي للتدليل على ذلك الدور الريادي وجود باحثين في العالم العربي حاليا درسوا من خلال جامعات مصرية وبإشراف أساتذة من مصر ومن أمثلتهم أ.د.عادل زيتون (سوريا) أ. د. سر الختم عثمان (السودان) ، د. سعيد عبد الله البيشاوي (فلسطين) وأ. د. يوسف درويش غوانمة (الأردن)،

أ.د.علي العواجي (السعودية) ، أ.د.كمال بن مارس (الجزائر) (١) وغيرهم ممن يصعب حصرهم على نحو دقيق.

ومن الملاحظ إن من الباحثين العرب الذين تعلموا على أيدي مؤرخين مصريين في المجال المذكور ، واصلوا جهدهم من أجل تكوين كوادر بحثية من أبناء دولهم ومن أمثلة ذلك ما حدث في السعودية فقد اشرف الراحل أ.. على الغمراوي على المؤرخ / عبدالله الربيعي خلال إعداده أطروحة لنيل درجة الماجستير من كلية العلوم الاجتماعية التابعة لجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية في الفكر الأوربي لعصر الحروب الصليبية ، وواصل ذلك المؤرخ النابه دراسته في فرنسا فحصل على درجة الدكتوراه من جامعة السربون في موضوع "العلاقات السلمية بين المسلمين والصليبيين ". وهو يشرف على رسائل علمية في ذلك التخصص ، كذلك أ.. على العواجي ، الذي حصل على درجة الماجستير بإشراف الراحل أ.. علي الغمراوي في موضوع الجهاد الإسلامي في المغرب الأدنى في القرنين الرابع عشر والخامس عشر م ، وواصل دراسته للدكتوراه في موضوع دور نصارى الشام ومصر في عصر الحروب الصليبية بإشراف أحد المؤرخين السعوديين، ومعنى ذلك أن هناك كوادر وطنية متخصصة في تاريخ الحروب الصليبية في السعودية مثلها مثل غيرها من الدول العربية الأخرى .

ومن الإنصاف أن نقرر أن هناك من المؤرخين العرب من اتجه إلى الإشراف على أطروحات علمية في أعقاب عودتهم من بعثات علمية إلى الغرب الأوربي ، ومن أمثلتهم أ.. سهيل زكار الأستاذ بجامعة دمشق حيث حصل على الدكتوراه من جامعة لندن وعاد ليشرف على العديد من الباحثين السوريين ، ومن المعروف إسهامه البارز في تحقيق المصادر التاريخية العربية عن عصر الصليبيات مثل ما ألفه ابن القلانسي في صورة ذيل تاريخ دمشق الذي أصدره تحت عنوان تاريخ دمشق وكذلك موسوعة ابن العديم الحلبي تحت عنوان "بغية الطلب في تاريخ

حلب" ،كذلك لا نغفل جهده في ترجمة عدد من مصادر الحروب الصليبيـة لا سـيما تاريخ وليم الصوري .

أضف إلى ذلك ، أن هناك من الباحثين العرب من اتجه إلى الإسـهام فـي حركة ترجمة مصادر تاريخ الصليبيات لا سيما مصادر الرحلة والتاريخ ، ونذكر في هذا المجال د. سعيد عبد الله البيشاوي الذي حصل علـى الدكتـوراة مـن جامعـة الإسكندرية في" موضوع الممتلكات الكنسية في مملكة بيـت المقـدس الصليبيـة "، وعمل على إصدار عدد من الترجمات لما ألفه سايولف ، ودانيال الروسي ، ويوحنـا ڤورزبورغ وبورشارد من دير جبل صهيون ، وكذلك يعقوب الڤيتري وتاريخه عـن بيت المقدس ، والواقع أنه يذكرنا بجهد ريادي قام به العلامة أ.د حسن حبشي عندمـا أدرك منذ وقت مبكر – أهمية ترجمة مصادر تاريخ الحروب الصليبية فترجم لنا مـا ألفه جوانڤيل عن سيرة القديس لويس ، والمؤرخ المجهول للحملة الصليبيـة الأولـى وكذلك ما ألفه روبرت كلاري وڤلهاردوين عن الحملة الصليبية الرابعـة . ويعكـف شيخنا أ.د.حسن حبشي حاليا على ترجمة ثلاث مصادر بارزة في التاريخ البـيزنطي والحروب الصليبية في صورة ما ألفته الأميرة البيزنطية أناكومنينا في صورة الكسـياد وكذلك ما ألفه كل من كيناموس ـــ ونيكتاس خونياتس ، ومن الممكـن القـول أن د. سعيد البيشاوي امتداد حقيقي لجهد أستاذنا أ.د. حسن حبشي .

من زاوية أخرى ، هناك إسهامات عربية في مجال ببليوغرافيـا الحـروب الصليبية ، والدور الريادي هنا يذكر للأستاذ الدكتور / قسطنطين زريق في مقالته ما اسهم به المؤرخون العرب في المائة سنة الأخيرة في دراسة التاريخ العربـي عـن فترة الحروب الصليبية ،ثم واصل الأمر شخصي المتواضع فألفت مقالتي الصغـيرة بعنوان " ببليوغرافيا الحروب الصليبية ، المراجع العربيـة والمعربـة " ، ثـم تـم تخصيص كتاب بعنوان فصول ببليوغرافية في تاريخ الحروب الصليبية ، وإذا كـان أمر ترجمة المصادر الصليبية بدأها مصري الجنسية وهو الأستاذ الدكتـور حسـن حبشي وواصله فلسطيني الجنسية وهـو الدكتـور سـعيد البيشـاوي ،فـان أمـر

البيلوغرافيا بدأها فلسطيني وهو أ.د. قسطنطين زريق وواصلها مصري في صورة شخصي المتواضع ودل ذلك على أن الباحثين العرب كل منهم يكمل الآخر ، وهذا هو المعنى الجليل الذي أود التأكيد عليه هنا .

ومهما يكن من أمر ، فهناك على الساحة العربية العديد من الباحثين من جنسيات مختلفة من الذين تخصصوا في مجال تاريخ الحروب الصليبية ، ولا ريب في أن المجال المذكور قد حظي بقسط وافر من حركة النشر العربية في الثلاثين عاما الأخيرة على نحو خاص، مع ملاحظة أن هناك العديد من الأطروحات العلمية لدرجة الماجستير والدكتوراه قد تم نشرها لاسيما في القاهرة ، والإسكندرية ، ودمشق ، وعمان مؤخرا على نحو أنقذها من مصيرها التعيس والشقي على رفوف مكتبات الكليات كرسائل غير منشورة .

ونأتي الآن إلى زاوية مهمة في هذا الفصل ، وأعني بها إشكالية الدراسات التاريخية العربية الحالية في عصر الصليبيات ، وذلك من خلال رؤية نقدية موضوعية لواقع البحث العربي عن تاريخ ذلك العصر ، ومن الممكن إجمال ذلك في النقاط المركزة التالية :

أولا : يعاني البحث التاريخي العربي عن الحروب الصليبية من ظاهرة التشرذم والتكرار ، ولعل من أسباب ذلك ؛ عدم التنسيق بين الباحثين العرب ، ولذلك وجدنا موضوعات بحثية مكررة يقوم بدراستها باحثون في دول عربية مختلفة دون أن يعلم أحد منهم ما يقوم به الباحث الآخر، حقيقة أن هناك اهتمام ظهر أخيرا بالجانب البيليوغرافي غير أن ذلك جاء متأخرا ومن خلال جهد فردي لا يستطيع أن يحصر كافة مؤلفات الباحثين العرب ، كذلك لا يوجد لدينا قوائم كافية عن الموضوعات المسجلة كأطروحات الماجستير والدكتوراه عن الحروب الصليبية

وواقع الأمر أن غياب التنسيق العربي في هذا المجال أخر بالكتابة التاريخية ذاتها ، فقد صار ذريعة من الباحثين العرب يكررون ما درس ، في وقت خططت فيه دراسات الصليبيات خطوات واسعة وصلت إلى درجة الهرولة في الغرب

الأوربي والولايات المتحدة الأمريكية وفي حالة كون دراسات الحروب الصليبية في العالم العربي يسير وفق خطة شاملة وبرنامج زمني محدود لتطورات تلك الدراسات بصورة أكبر بمراحل من الحال الذي وصلت إليه مقارنة بما حدث في الغرب الأوربي والأمريكي .

ثانيا : لا يوجد لدى الباحثين العرب في مجال الصليبيات جمعية تربطهم معا وتؤدي إلى تواصلهم البحثي وقد أضر ذلك بهم ضررا كبيرا ، وعلى حين وجدنا جمعية الحروب الصليبية والشرق اللاتيني :

Society for The Crusades and Latin East (٢)

في إنجلترا والتي تصدر نشرة سنوية على جانب عظيم من الأهمية . وفق مؤتمرا سنويا عن الحروب الصليبية ، لم نجد مقابل ذلك لدى العرب الذين لا يتابع العديد من باحثيهم إصدارات الجمعية المذكورة ناهيك عن قلة التواجد العربي في عضويتها

ومن الملاحظ هنا أن العالم العربي يواجه مشكلة وجود جمعيات بحثية عربية عامة دون أن تتفرع إلى جمعيات أكثر تخصصا ، فهناك مثلا الجمعية التاريخية المصرية ، وهي شاملة لفروع الدراسات التاريخية الثلاثية(القديم – الوسيط– الحديث) دون أن تكون هناك جمعيات أكثر تخصصا تتناول فرعا تاريخيا في نطاق جغرافي ما ، على الرغم من الأهمية البالغة لمثل تلك الجمعيات في حالة وجودها .

ثالثا : يعاني البحث التاريخي العربي في الحروب الصليبية من مشكلة غياب المراكز البحثية المتخصصة ، ومن الأمور الملفتة للانتباه والتعجب في آن واحد – أن المنطقة العربية التي تعرضت للغزوة الصليبية الشرسة على مدى قرنين كاملين (القرنين ٦،٧هـ/١٢،١٣م) لا يوجد بها أي مركز بحثي متخصص عن الحروب الصليبية وهو أمر يعكس مدى تخلف العرب عن الركب ، إذ ليس من المتصور عدم وجود ذلك المركز حتى في الدول التي تعرضت لتلك الأحداث مثل مصر وسوريا ولبنان والأردن والسعودية ، على الرغم من أهمية ظاهرة الحروب

الصليبية في تاريخ تلك الدول على نحو خاص . وحقيقة الأمر غيـــاب مثـــل ذلـــك المركز البحثي المتخصص قد أضر بدراسة تاريخ الحروب الصليبيـــة فـــي عالمنـــا العربي لأنه كان من شأنه مواجهة كافة أوجه النقص الخاصة بالتشـــرذم والتكـــرار وعدم ترابط الباحثين العرب في المجال المذكور في رابطة علمية تجمعهم .

رابعا : يعاني ذلك النطاق البحثي من مشكلة عدم وجود مدرســـة عربيـــة خاصـــة بالكتابة التاريخية عن تلك المرحلة .لها تصوراتها الخاصة المميزة عـــن توجـــهات باحث الغرب الأوربي والأمريكي ، بل هناك ما يمكن وصفه بنوع من التبعية لذلـــك الغرب الذي- في الغالب يأخذ زمام المبادرة وما علينا نحن إلا أن نتبعه . ولعل مـــن الأمور المهمة أن أنبـــه القـــارئ العـــربي إلـــى أهميـــة التقديم الذي وصفه أســـتاذنا أ... قاسم عبده قاسم لكتابي المتواضع عن فصول بيليوغرافية في تـــاريخ الحـــروب الصليبية حيث أشار إلى ضرورة أن تكون هناك رؤية عربية إسلامية لتـــاريخ تلـــك الحروب (٣) ، والواقع أن ذلك لا يتأتى إلا من خلال تنظير شامل للقضية من أجـــل أن يكون لنا تصوراتنا لتلك المرحلة ، ولا نعتمد على الغرب ليصور هو لنا ذلـــك ، ويلاحظ التي سبق وان تعرضت لذلك الأمر خلال الفصل السابق من هذا الكتاب.

خامسا: يعاني أمر الكتابة التاريخية العربية عن الصليبيات من عدم وجود مجموعـــة خاصة بالمصادر العربية على الأقل – فمن الملاحظ أن الغرب الأوربي قد ســـبقنا بإصدار مجموعة مؤرخي الحروب الصليبية المعروفة اختصارا بـــ R.H.C. ، أمـــا نحن في العلم العربي فالمصادر التاريخية العربية متناثرة ومغرقة ولا توجد مجموعة موحدة خاصة بنشر تلك المصادر ، ولا يمكن – في الواقع – تصور نهضة تأليفيـــة دون أن تكون هناك نهضة لنشر الأصول المصدرية وإعادة نشر ما صدر فعلا .

وواقع الأمر ، إن معالجة مظاهر تلـــك الإشـــكالية يتمثـــل فـــي الإهتمـــام بالدراسات البيليوغرافية وإقامة مركز بحثي عربي متخصص في تـــاريخ الحـــروب الصليبية ، والاهتمام بأن تكون لنا رؤية عربية إسلامية خاصة بنـــا عندمـــا نـــؤرخ لتاريخ تلك المرحلة الهامة من العلاقات بين الشرق والغرب في العصر الوسيط .

والحقيقة أنه بدون الإسراع بإيجاد حلول لتلك العقبات سيظل تقدمنا بطيئا في وقت تقدمت فيه دراسات الحروب الصليبية لدى الباحثين الإسرائيليين الذين يتـابعون بدقة ما يصدر في الغرب الأوربي والأمريكي ، ويسـتفيدون مـن حصـاد تجربـة الصليبيات لاسيما في مجال الاستيطان – في دعم الاستيطان الصهيوني في الأرض العربية بفلسطين .

إن الأمل يحدونا في أن يكون العام المقبل ١٩٩٩م والذي يمر فيه ٩٠٠عـام على دخول الصليبيين القدس ، يكون العام الذي يشهد فيه العالم العربي قيام مركـز بحثي عربي في تاريخ الصليبيات وكذلك جمعية تاريخ الحـروب الصليبيـة لتضـم الباحثين المتخصصين في ذلك الحقل التاريخي من المحيط إلى الخليج .

ذلك عرض لواقع الكتابة التاريخية العربية الحديثة عن الصليبيات من خـلال رؤية نقدية موضوعية .

الهوامـــش :

(١) عن مؤلفات أولئك الباحثين أنظر :

محمد مؤنس أحمد عوض ، فصول ببليوغرافية في تاريخ الحروب الصليبيـــةالقاهرة ١٩٩٦م، ص٢٥٤ .

(٢)من الملاحظ أن الجمعية المذكورة تقوم بإصدار نشرة ببليوغرافية ســـنوية علـــى جانب عظيم من الأهمية ،ومن المعروف أن من أعضائها أ.. اســـحق عبيـــد كليـــة الآداب – جامعة عين شمس ، أ.. محمود ســـعيد عمـــران كليـــة الآداب – جامعـــة الإسكندرية ،أ.. محمد محمد مرسي الشيخ ، كلية الآداب – جامعـــــة الاســـكندرية و غيرهم مما لا يتسع المجال هنا لإيراد أسمائهم على نحو مفصل

(٣) قاسم عبده قاسم ، تقديمه لكتاب فصول ببليوغرافية ،ص٨ .

الخاتمـــــة

ألقت الفصول السابقة الضوء على عدة موضوعات مختلفة جمعهـــــا عصـــر تاريخي واحد زاخر بالأحداث في صورة عصر الحروب الصليبية ، ومـــــن الممكـــن ملاحظة أهم النتائج التي تمخضت عنها تلك الفصول كالآتي :

أولا : اتجهت القوى الأوربية إلى دعم الوجود الصليبي خاصة خلال أعـــوام عمره الباكرة ، ووجدنا مشاركة فاعلة حتى من الدول الغير بحــر متوســطية ، مثـل النرويج التي شارك ملكها سيجورد بحملة خلال المرحلة مـــن ١١٠٧-١١١٠م/٥٠١-٥٠٤هـــ على نحو أثبت فكرة التنافس الدولي شرق البحر المتوسط لتحقيق العديد مـــن المكاسب السياسية والاقتصادية ، وهكذا أثبتت الأحداث التاريخيـــة أن شـــرق البحـــر المتوسط في ذلك العصر كان أشبه شيء بمغناطيس جغرافي يجذب حركة التاريخ بقوة وبعنف حينذاك .

ثانيا : أثبت الفصل الخاص بوليم الصوري أهمية ذلـــك المـــؤرخ الفرنجـــي الصليبي الفذ في التأريخ لقلاع الغزاة التي كانت بمثابة الأوتـــاد التـــي تثبـــت الجســد الصليبي في الأرض العربية ، وهكذا ، قدم لنا إشارات اكثر تفصيلا وأعمق من غـــيره من المؤرخين عن تلك العمائر الحربية على نحو ميز تاريخه وضمن له أفضل مكانـــة بين مؤرخي عصره .

ثالثا : أصبح من الأمور المقررة عدم أخذ فكرة التركيبة العســــكرية الكاملـــة للوجود الصليبي بصورة كاملة ، لأن الصليبيين كان لهم اهتمامهم العلمي ولذا عملـــوا على ترجمة أحد مؤلفات المسلمين الطبية ، ومن الممكن القـــول بـــأن فكـــرة تخلـــف الصليبيين الطبي في كافة الفروع الطبية أمر غير وارد لأنـــهم تخلفـــوا فـــي بعـــض الحالات وتقدموا في حالات أخرى.

رابعا : أثبت الفصل الرابع ضرورة التوجه بالدراسات النقدية لجهود البـــاحثين الغربيين في مجال الصليبيات لا أن نقف أمامهم موقـــف المتفـــرج الـــذي لا يشـــارك

بتصوراته ، وذلك مع تقديرنا الكامل لحجم الجهد الذي بذلوه في نشر النصوص المصدرية وحتى التأليف التاريخي ذاته .

خامسا : أكد الفصل الخامس على أن هناك ما يمكن وصفه بإشكالية دراسة الصليبيات في العالم العربي ، ولا يمكن تطوير تلك الدراسة دون إدراك حجم الإشكالية ووضع الحلول المناسبة لها ، والأمل معقود على شباب الباحثين أن يسعوا سعيا حثيثا لمواجهة تلك العقبات بإيجاد مراكز بحثية متخصصة وجمعية علمية تجعلهم من أجل تطوير تاريخ تلك المرحلة الفعالة في العلاقات الدولية بين الشرق والغرب من العصور الوسطى .

قائمة المصادر والمراجع

أولا المصادر العربية والمعربة

المخطوطة والمطبوعة

إبن أبي أصيبعة

(موفق الدين أبو العباس ت ٦٦٨هـ/١٢٧٠م) عيون الأنباء في طبقات الأطباء ، تحقيق نزار رضا، ط. بيروت ١٩٦٥م .

إبن الأثير

(عز الدين محمد ت . ٦٣٠هـ / ١٢٣٢م) الكامل في التاريخ ،ط. بيروت ب-ت .

إبن تغرى بردى

(جمال الدين يوسف ت ٨٧٤هـ/١٤٦٩م) النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ، جـ٥، ط. القاهرة ب-ت .

إبن جبير

(محمد بن أحمد الكناني ت ٦٤١هـ/١٢١٧م) الرحلة ، ط. بيروت ١٩٦٤م.

إبن خلدون

(عبد الرحمن بن خلدون ت ٨٠٨هـ/١٤٠٥م) العبر وديوان المبتدأ والخبر، جـ٤،ط. بيروت ب-ت ، ط. بيروت ١٩٧١م.

إبن سعيد

(علي بن موسى ت ٦٧٢هـ/١٢٧٥م) المغرب في حلى المغرب ت. شوقي ضيف ط. القاهرة ١٩٥٣، كتاب الجغرافيا ، تحقيق إسماعيل العربي ط. بيروت ١٩٧٠ م.

إبن شداد

(بهاء الدين ت ٦٣٢هـ/١٢٢٤م) النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية تحقيق جمال الدين الشيال ط. القاهرة ١٩٦٤م .

إبن العبرى

(غريغوريوس بن الفرج ت ٦٨٥هـ/١٢٥٦م) تاريخ مختصر الدول ،وضع حواشية الأب أنطوان صالحاني اليسوعي ، ط. بيروت ١٠٨٣م
إبن عذارى
(أبو عبد الله محمد) البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب ، جـ٢، تحقيق كولان وبروقنسال ، ط. بيروت ١٩٨٣ .
إبن القلانسي
(أبو يعلى حمزة ت ٥٥٥هـ/١١٦٠م) ذيل تاريخ دمشق، تحقيق أميدروز، ط. بيروت ١٩٠٨م .
إبن كثير
(الحافظ عماد الدين ت ٧٤٤هـ/١٣٧٣م) البداية والنهاية ، ط. بيروت ب-ت
أبو الفداء
(إسماعيل بن علي ت ٧٣٢هـ/ ١٣٣٢م) ١- المختصر في أخبار البشر جـ٢ ط. بيروت ب-ت ٢- تقويم البلدان ، تحقيق رينو وديسلان ، ط. باريس ١٨٤٠م.
أسامة بن منقذ
(مؤيد الدولة أبو المظفر ت ٥٨٤هـ/١١٨٨م) الاعتبار ، تحقيق فيليب حتى ط. بيروت ١٩٨١م، تحقيق السامرائي ط. الرياض ١٩٨٧م.
بنيامين التطيلي ، الرحلة، ت. عزرا حداد ، ط. بغداد ١٩٤٥م .
حاجي خليفة
(مصطفى كاتب شلبي ت ١١٦٧هـ / ١٦٥٧م) كشف الظنون عن أساس الكتب والفنون ، جـ ٢، ط. استانبول ١٩٤٣م .
الحريري

(أحمد بن علي تاريخ الوفاة غير معروف) الاعلام والتبيين في خروج الفرنج الملاعين على ديار المسلمين ، تحقيق مهدي رزق الله ط . الإسكندرية ١٩٨٤م .

الذهبي

(الحافظ الذهبي ت ٧٤٨هـ /١٣٤٨م) العبر في خبر من غبر جـ ٢، ط. ١٩٨٥ .

السائح الهروي

(أبو الحسن علي بن أبي بكر ت ٦١١هـ/١٢١٥م) الإشارات إلى معرفة الزيارات تحقيق سورديل ط. دمشق ١٩٥٣م .

السمعاني الأنساب ، ط. بيروت ب-ت

شيخ الربوة الدمشقي

(أبو طالب الأنصاري ت ٧٢٧هـ/١٣٢٦م) نخبة الدهر في عجائب البر والبحر ، تحقيق مهرن ط. بهاسبرج ١٨٣٥م.

صالح بن علي

(الأمير صالح بن يحيى ت ٥٤٠هـ /١٤٩٦م) تاريخ بيروت ، تحقيق لويس شيخو ط. بيروت ١٩٢٧ م.

علي بن العباس المجوسي

(ت ٣٢٦هـ/٩٩٤م) كامل الصناعة الطبية مخطوط مصور من جانب معهد العلوم العربية والإسلامية بفرانكفورت .

الكتاب المقدس ط . القاهرة ب-ت

المقريزي

(تقي الدين أحمد بن علي ـ ٨٤٥هـ/ ١٤٤١م) اتعاظ الحنفاء بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء جـ٣ ، تحقيق محمد حلمي أحمد ط . القاهرة ١٩٧٣م .

ثانيا المصادر اللاتينية واليونانية والعبرية

- Albert d'Aix , Historia Hierosolymitana , in R.H.C., Hist. Occ. ,Tome. IV, Paris 1879.
- Ambroise , The Crusade of Richard , Trans. by Hubert , New York 1943,
- Anonymous , The deeds of the Franks and other Pilgrims , Trans . by R. Hill, New York 1962 .
- Baldric of Dol , in Peters , The First Crusade, The Chronicles of Fulcher of Chartres and other Source Materials , Philadel - phia
- Benjamin of Tudela , in Wright , Early Travels in Palestine, London 1848.
- Burchard of Mont Sion , Description of the Holy Land , Trans . by Stewart , P.P.T.S., Vol . XII, London 1896.

ترجم هذا الكتاب إلى اللغة العربية بعنوان : وصف الأرض المقدسة ، ترجمة سعيد البيشاوي ، ط ١ ، عمان " دار الشروق " ١٩٩٥م .

- Chronicle of The Third Crusade a Translation of The I Tiner- arium
- Peregrinorum et Gesta Regis Ricardi , by Helen J. Nichalson London 1997 .
- Daniel , Pilgrimage of the Russian Abbot Danniel in The Holy Land , Trans. by Wilson , P.P.T.S. , Vol. 1V , London 1895.

ترجمت هذه الرحلة إلى اللغة العربية بعنوان : رحلة الحاج الروسي دانيال الراهب في الديار القمدسة ، ترجمة سعيد البيشاوي وداود أبو هدبة ، عمان ، ١٩٩٢م .

- Euphrosine , Pelerinage au Palestine de L' Abbesse Euphro- siue , Traduit par de Khitroux , R.O.L., T.III, Aunee 1895 .
- Fetellus , Description of The Holy Land , Trans .by J.R. Macpherson , P.P.T.S., Vol V, London 1896 .
- Fulcher of Chartres, A History of The Expedition to Jerusa- lem , Trans , by Rita Rian , Tennesse 1969 .
- Geoffrey of Vinsauf , A history of The Epedition of Richard

Coeuode Lion , in Chronicles of The Crusades, London 1903.
- Guilbert of Nogent , in Peters , The First Crusade , The Chronicles of Fulcher of Chartres and other Source Materials , philadelphia .
- Jacques de Vitry , History of Jerusalem , Trans . by A .Stewart , P.P.T.S., Vol. X1, London 1896.

ترجم هذا الكتاب إلى اللغة العربية بعنوان : تاريخ بيت المقدس ، ترجمة سعيد البيشاوي ، ط١، عمان " دار الشروق " ١٩٩٨م .

- Joannes phocas , A Briet Description of The Holy Land , Trans . by Aubrey Stewart , P.P.T.S., Vol. V, London 1896.
- Joan de Joinville , The Life of Saint Lewis , in Chronicles of The Crusades,Penguin Books , Trans. by Shaw , London 1976 .
- John of Wurpburg , Description of The Holy Land , Trans. by Aubrey Stewart , P.P.T.S., Vol. V, London 1896.
- Ludalph Von Suchem , Description of The Holy Land , Trans .by A. , Stewart , P.P.T.S., Vol. V, London 1895.
- Marino Santo , Secrets For True Crusades to help Them to recover The Holy Land , Trans. by A. Stewart , P.P.T.S., Vol. V11, London 1896.
- Robert The Monk, in Peters , The First Crusade , The Chronicles of Fulcher of Chartres and other Source Materiale , philadelphia .
- Raymond d' Aguiliers, in Peters, The First Crusade , The Chronicles of Fulcher of Chartres and other Source Materiale , philadelphia .
- Saewulf , Pilgrimage of Saewulf , Trans by Bishop of Clifton, P.P.T.S., Vol. 1V, London 1896

ترجم هذا الكتاب إلى اللغة العربية بعنوان رحلة الحاج سايولف لبيت المقدس والأراضي المقدسة ، ترجمة سعيد البيشاوي ، ط ١، عمان " دار الشروق " ١٩٩٧م .

- Theoderich , Description of The Holy Places , Trans, by Aubrey Stewart, P.P.T.S., Vol. V, London 1896
- The Saga of Sigurd ,The Crusader (1107-1110) , in Wright , Early Travels in Palestine , London 1848.

- William of Tyre , A History of The deeds done beyond the Sea Vol,I , New York 1943 .

ثالثا : المراجع العربية والمعربة

آدم سميث

(الجغرافيا التاريخية للأرض المقدسة) ط . بيروت ب-ت

إبراهيم خميس (د.9

العلاقات السياسية بين جماعة الفرسان الداوية والمسلمين من ١١٩٢-١١٩١م/٥٨٩- ٦٩٦هـ ، رسالة دكتوراة غير منشورة كلية الآداب – جامعة الإسكندرية عام ١٩٨٣م.

إبراهيم سعيد فهيم .

يافا ودورها في الصراع الصليبي الإسلامي ١٠٩٩-١٢٩١م/ ٤٩٢-٦٩٠هـ ، رسالة ماجستير غير منشورة كلية الآداب – جامعة الإسكندرية عام١٩٩١ م ,

أحمد الحفناوي (د.)

الصراع من أجل صيدا في العصر الوسيط ن المنهل ، السنة (٥٠) م(٤٦) صفر ١٤٠٤هـ/ نوفمبر ١٩٨٣م .

أحمد رمضان (د.)

١-شبه جزيرة سيناء في العصور الوسطى ، ط . القاهرة ١٩٧٧م .

٢-المجتمع الإسلامي في بلاد الشام في عصر الحروب الصليبية ط . القاهرة ١٩٧٧م.

أحمد طه :

الطب الإسلامي ط. القاهرة ١٩٧٧م .

أحمد فؤاد باشا(د.)

التراث العلمي للحضارة الإسلامية ومكانته في تاريخ العلم والحضارة ط .القاهرة : ١٩٨٣ م .

أحمد مختار العبادي (د.)

دراسات في تاريخ الغرب والأندلس ، ط . الإسكندرية .

إدوارد براون

الطب العربي ت . داود سليمان ط . بغداد ١٩٨٦م .

أرشيبالدلويس

القوى البحرية والتجارية في حوض البحر المتوسط ت . أحمد عيسى ط . القاهرة ١٩٦٠ .

إرنست باركر

الحروب الصليبية ت . السيد الباز العريني ط . بيروت ب-ت .

أسامة زكي زيد

صيدا ودورها في الصراع الصليبي الإسلامي ط . الإسكندرية ١٩٨١م.

أمين معلوف

الحروب الصليبية كما رآها العرب ت . عفيف دمشقية ط . بيروت ١٩٨٩.

أنتوني بروج

تاريخ الحروب الصليبية ت . غسان سيانو ونبيل الجيرودي ط . القاهرة ١٩٨٥م .
أنتوني ويست
الحروب الصليبية ت . شكري ومحمود نديم مراجعة محمود حسين ط . بغداد ١٩٦٧ م .
بيرل سمايلي
المؤرخون في العصور الوسطى ت . قاسم عبده قاسم ط. القاهرة ١٩٨٤م
جاك ريسلر
الحضارة العربية ت . خليل أحمد خليل ط . بيروت ١٩٩٣م .
جمال الدين الشيال (د.)
التاريخ الإسلامي وأثره في الفكر التاريخي في عصر النهضة ط . بيروت ب – ت .
جمعة الجندي (د.)
حياة الفرنج ونظمهم في الشام خلال القرن الثاني عشر والثالث عشر ، رسالة دكتوراه غير منشورة كلية الآداب – جامعة عين شمس عام ١٩٨٥م
جوزيف نسيم يوسف (د.)
العدوان الصليبي على مصر ، هزيمة لويس التاسع في المنصورة وفارسكور ط . بيروت ١٩٨١م.
معركة حطين خلفياتها ودلالاتها عالم الفكر ، م(٢٠) عدد إبريل – مايو- يونيوم١٩٨٩م.
جوناثان رايلي سميث
الحملة الصليبية الأولى وفكرة الحروب الصليبية ت . محمد فتحي الشاعر ط القاهرة ١٩٩٤م .

حسان حلاق (د.)

العلاقات الحضارية بين الشرق والغرب في العصور الوسطى (بلاد الأندلس –صقلية – بلاد الشام) ط . بيروت ١٩٨٦ م.

حسن عبد القادر

أسماء المواقع الجغرافية في الأردن وفلسطين ط . عمان ١٩٧٤م .

حسن عبد الوهاب (د.)

جماعة الفرسان التيوتون في الأرضي المقدسة حوالي ١١٩٠-١٢٩١م/٥٨١-٦٩٠هـ ط. الإسكندرية ١٩٨٩م .

حسنين ربيع (د.)

البحر الأحمر في العصر الأيوبي ندوة البحر الأحمر في التاريخ والسياسة الدولية المعصرة إشراف أ ... أحمد عزت عبد الكريم . ط.القاهرة .

حسين عطية (د.)

إمارة أنطاكية الصليبية والمسلمون ط . الإسكندرية ١٩٨٩م .

حسين مؤنس (د.)

تاريخ الجغرافيا والجغرافيون في الأندلس ط . القاهرة ١٩٨٦م.

حكمت نجيب عبد الرحمن (د.)

دراسات في تاريخ العلوم عند العرب ط . بغداد ب – ت

دائرة المعارف الإسلامية

ت . خورشيد وآخرون ط . القاهرة ب .ت

ديفيد جاكسون

" معركة حطين والاستيلاء على القدس " ضمن كتاب حطين صلاح الدين والعمل العربي الموحد . القاهرة ١٩٨٩م .

زبيدة عطا (د.)

الشرق الإسلامي والدولة البيزنطية زمن الأيوبيين ط . القاهرة ١٩٩٤م .

زيغريد هونكه

شمس العرب تسطع على الغرب ت . كمال الدسوقي وإبراهيم بيضون ط . بيروت ١٩٨١م .

ستيفن نسيمان

تاريخ الحروب الصليبية جـ٣، ت.السيد الباز العريني ، ط . بيروت ١٩٩٣م .

سحر عبد العزيز سالم (د.)

تاريخ بطليوس الإسلامية وغرب الأندلس في العصر الإسلامي .ط . الإسكندرية ١٩٨٨م .

سعيد البيشاوي (د .)

نابلس : الأوضاع السياسية والاجتماعية والثقافية والاقتصادية في عصر الحروب الصليبية ، ط ١، عمان ١٩٩١م .

سعد المومني

القلاع الإسلامية في الأردن الفترة الأيوبية والمملوكية ، ط.عمان ١٩٨٨م.

سعيد أحمد برجاوي

الحروب الصليبية في المشرق ط . بيروت ١٩٨٤م .

سعيد عاشور (د.)

١-المدنية الإسلامية وأثرها في الحضارة الأوربية ط . القاهرة ١٩٦٣م .

٢-الحركة الصليبية ط. القاهرة ١٩٦٦م ، ١٩٨٢م .

٣- حضارة ونظم أوربا في العصورالوسطى جـ١ ، ط. القاهرة ١٩٨٦.

٤-الطب الإسلامي في الجامعات الأوربية في فجر عصر النهضة ضمن كتاب بحوث في تاريخ الإسلام ط. القاهرة ١٩٨٧م .

سميل (سي)
الحروب الصليبية ت . سامي هاشم ط. بيروت ١٩٨٢م .
السيد الباز العريني (د.)
١-مؤرخو الحروب الصليبية ط . القاهرة ١٩٦٢ م.
٢- الشرق الأوسط والحروب الصليبية ط . القاهرة ١٩٦٤ م .
سيد فرج (د.)
" القدس عربية إسلامية " الدائرة ، العدد (٣) ، السنة (٨) يناير ١٩٨٤م .
السيد عبد العزيز سالم (د.)
١- طرابلس الشام في التاريخ الإسلامي ط . الإسكندرية ١٩٦٦م .
٢- تاريخ مدينة صيدا في العصر الإسلامي ط . الإسكندرية ١٩٨٦ م.
السيد عبد العزيز سالم والعبادي (د.)
١- تاريخ البحرية الإسلامية في المغرب والأندلس ط . بيروت ١٩٦٩ م.
٢- تاريخ البحرية الإسلامية في مصر والشام ط . بيروت ١٩٨١م .
شفيق جاسر (د.)
القدس تحت الحكم الصليبي ودور صلاح الدين في تحريرها ط . عمان ١٩٨٩م .
شين ماك جلبن
" بعض الأوهام عن التكتيك الحربي في العصور الوسطى " مجلة الثقافة العالمية العدد (٦٥) يوليو ١٩٩٤م .
صلاح الدين محمد نوار (د.)
العدوان الصليبي على العالم الإسلامي ٤٩٠-٥١٥هـ / ١٠٩٧-١١٢١م ط . الإسكندرية ١٩٩٣ م .

عادل زيتون (د.)

العلاقات السياسية والكنسية بين الشرق البيزنطي والغرب اللاتيني في العصور الوسطى ط . دمشق ١٩٨٠م .

عباس العصيمي

الدولة البورية وعلاقتها بالصليبيين (٤٩٧-٥٤٩هـ/١١٠٣-١١٥٤م) رسالة ماجستير غير منشورة كلية العلوم الاجتماعية – جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض عام ١٩٨٧م .

عبد الجليل حسن محمد المهدي (د.)

الحركة الفكرية في ظل المسجد الأقصى ط . عمان ١٩٨٠م .

عبد الحليم منتصر (د.)

تاريخ العلم ودور العلماء العرب في تطوره ط . القاهرة ١٩٨٠ م .

عبد الرحمن الحجي (د.)

التاريخ الأندلسي من الفتح الإسلامي حتى سقوط غرناطة (٩٢-٨٩٧هـ/٧١١-١٤٩٢م) ط . دمشق ١٩٨٧م .

عبد الرحمن زكي (د.)

القلاع في الحروب الصليبية المجلة التاريخية المصرية م(١٥) عام١٩٦٩م

عبد السلام التونجي

المسئولية المدنية للطبيب ط . بيروت ١٩٦٧م .

عبد الغني رمضان (د.)

" شرف الدين مودود " مجلة كلية الآداب – جامعة الرياض م(٤)، السنة (٤) عام ١٩٧٦-١٩٧٧م .

عبد القادر اليوسف (د.)

علاقات بين الشرق والغرب بين القرنين الحادي عشر والخامس عشر ط . صيدا ١٩٦٩م .

عبد الله الربيعي (د.)
أثر الشرق الإسلامي في الفكر الأوربي خلال الحروب الصليبية ط . الرياض ١٩٩٤م .
عزيز سوريال عطية (د.)
الحروب الصليبية وأثرها على العلاقات بين الشرق والغرب ت .فيليب رفلة ط . القاهرة ب .ت
عصام سالم سيسالم (د.)
جزر الإسلام المنسية ، التاريخ الإسلامي لجزر البليار ط . بيروت ١٩٨٤م.
عفاف صبرة (د.)
" الأمير مودود بن التونتكين " الدارة ، العدد (١٢) ، السنة (١٢) عام ١٩٨٦م .
علي السيد علي (د.)
القدس في العصر المملوكي، ط . القاهرة ١٩٨٦م .
علي عبد الحليم محمود (د.)
الغزو الصليبي والعالم الإسلامي ط . جدة ١٩٨٢ م .
علي الغمراوي (د.)
الأصول المعجمية مع شواهد من كتاب الحشاشين والسموم نقل اسطفان بن باسيل من كتاب ديسقوريدس هيولي الطب دراسة المنهج التطبيقي لتاريخ الطب ط . القاهرة ١٩٧٩م .
عمر عبد السلام تدمري (د.)
تاريخ طرابلس السياسي والحضاري عبر العصور ، عصر الصراع العربي – البيزنطي والحروب الصليبية ط . بيروت ١٩٨٤م .
عمر فروخ (د.)
تاريخ العلوم عند العرب ط . بيروت ١٩٨٤م .

عمر كمال توفيق (د.)
"المؤرخ وليم الصوري " مجلة كلية الآداب – جامعـــة الإســكندرية م (٢١) عام ١٩٦٧ م.
الفاضل نجيب عمر (د.)
الطب الإسلامي عبر القرون ط . الرياض ١٩٨٧م .
فايد حماد عاشور (د.)
جهاد المسلمين في الحروب الصليبية ط . بيروت ١٩٨٥م .
فتحي عبد العزيز عبد الله (د.)
دور الكنيسة في مملكة بيت المقس اللاتينية حتى عام ١١٨٧م، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية الآداب – جامعة الزقازيق عام ١٩٨٨م.
فتحية النبراوي (د.)
العلاقات السياسية الإسلامية وصراع القوى الدولية في العصــور الوسـطى ١١٠٠–١٣٠٠م ط . القاهرة ١٩٨٢ م .
فيليب حتى (د.)
تاريخ سوريا ولبنان وفلسطين جـ٢، ت . اليازجي ط . بيروت ١٩٥٩م.

قاسم عبده قاسم (د.)
١– ماهية الحروب الصليبية سلسلة عالم المعرفة ط . الكويت ١٩٩٠م.
٣–بعض مظاهر الحياة الاجتماعية في بلاد الشام عصر الحروب الصليبية مجلة عالم الفكر ، م (٢٢)، العدد (٢) أكتوبر ، نوفمبر ، ديسمبر ١٩٩٣م .
قدري قلعجي
صلاح الدين الأيوبي قصة الصراع بين الشرق والغرب خلال القرنين الثـاني عشر والثالث عشر ط . بيروت .

كارل بروكلمان

تاريخ الأدب العربي جـ٤ ، ت . السيد يعقوب بكر ورمضان عبد التواب ط . القاهرة ١٩٧٧م .

كريستوفر دوسون

تكوين أوربا، ت د. محمد مصطفى زيادة و د. سعيد عبد الفتاح عاشور ط . القاهرة ١٩٦٧م .

كمال الدسوقي (د.)

تاريخ ألمانيا ط . القاهرة ١٩٦٩م .

كمال السامرائي (د.)

مختصر تاريخ الطب العربي ط . بغداد ١٩٨٥م .

كولتون

عالم العصور الوسطى في النظم والحضارة ت . جوزيف نسيم يوسف ط . الإسكندرية ١٩٩٢م

لويس الحاج

الجيش الفرنسي ط . بيروت ١٩٧٥م. مقدمة في تاريخ الطب العربي ط . بيروت ١٩٨٨م .

مازن صلاح مطبقاني (د.)

الاستشراق والاتجاهات الفكرية في التاريخ الإسلامي .

ماهر عبد القادر محمد علي (د.)

دراسة تطبيقية على كتابات برناردلويس ط . الرياض ١٩٩٥مز

مجموعة من الباحثين

الحروب والحضارات ت . أحمد عبد الكريم ط . دمشق ١٩٨٤م .

محمد حسين الزبيدي

ملامح من النهضة العربية في العراق في القرنين الرابع والخامس الهجريين ط . بغداد ١٩٨٠م .

محمد حسن المناوي (د.)

الوزارة والوزراء في العصر الفاطمي ط . القاهرة ١٩٧٠م ز

محمد فتحي الشاعر (د.)

أحوال المسلمين في مملكة بيت المقدس الصليبية ط . القاهرة ١٩٩٠ م .

محمد كامل حسين (د.)

" في الطب والاقرباذين " ضمن كتاب أثر العرب والإسلام في النهضة الأوربية ط . القاهرة ١٩٨٧م ز

محمد كرد علي

خطط الشام ط . دمشق ١٩٨٣م.

محمد محمد الشيخ (د.)

الإمارات العربية في بلاد الشام في القرنين الحادي عشر والثاني عشر ط . الإسكندرية ١٩٨٠م .

محمد مؤنس أحمد عوض (د.)

التنظيمات الدينية الإسلامية والمسيحية في بلاد الشام عصر الحروب الصليبية رسالة ماجستير غير منشورة كلية الآداب – جامعة عين شمس عام ١٩٨٤م .

" تاريخ الطب العربي ومكانته عبد اللطيف البغدادي (ت٦٢٩هـ/١٢٣١م) فيه " بحث مقدم لمؤتمر تاريخ العلوم عند العرب، الرقة عام ١٩٩١م .

فصول بيليوغرافية في تاريخ الحروب الصليبية ط . القاهرة ١٩٩٦م .

محمود الجليلي (د.)

تأثير الطب العربي في الطب الأوربي في القرون الوسطى والنهضة الأوربية مجلة المجمع العلمي العراقي جـ(٣،٤) ، م(٣٢) عام ١٩٨١م .

محمود الحاج قاسم (د.)

الطب عند العرب والمسلمين تاريخ وإسهامات ط . جدة ١٩٨٧م .

محمود الحويري (د.)

الأوضاع الحضارية في بلاد الشام في القرنين الثاني عشر والثالث عشر م ط . القاهرة ١٩٧٩م .

مرمرجي الدومنيكي

بلدانية فلسطين العربية ط . بيروت ١٩٨٧م .

مصطفي الكناني (د.)

العلاقات بين جنوة والفاطميين في الشرق الأدنى(١٠٩٥-١١٧١م/٤٨٨-٥٦٧هـ) ط . الإسكندرية ١٩٨١م .

مصطفى عبد العزيز العسقلاني

عسقلان ودورها في الصراع الصليبي -الإسلامي ، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية الآداب - جامعة الإسكندرية عام ١٩٩٢م.

مولر

القلاع أيام الحروب الصليبية ت . محمد وليد الجلاد ط . دمشق ١٩٨٤م.

مونتجومري وات

فضل الإسلام على الحضارة العربية ت . حسين أحمد أمين ط . القاهرة ١٩٨٦م .

ميخائيل زابوروف

الصليبيون في الشرق ت . الياس شاهين ط . موسكو ١٩٨٦م .

ميشيل الشامندي ومحمد صلاح الدين الكواكبي
موجز مبحث في السموم ط . دمشق ١٩٢٨م .
نبيلة مقامي (د.)
فرق الرهبان الفرسان في بلاد الشام في القرنين ١٣،١٢ م ، رسالة ماجستير ، كلية الآداب – جامعة القاهرة عام ١٩٧٤م .
نجيب العقيقي (د.)
المستشرقون جـ٢ ، ط . القاهرة ١٩٨٠م .
هاري المزبارتز
تاريخ الكتابة التاريخية ت . محمد عبد الرحمن برج ط . القاهرة ١٩٨١م.
هنزي لامنس
" الحياة في بيروت في عهد الصليبيين " ، المشرق العدد الأول السنة (٣١) عام ١٩٣٣م .
هيكل نعمة الله والياس مليحة
موسوعة علماء الطب ط . بيروت ١٩٩١م.
ول ديورانت
قصة الحضارة جـ٤/م٤، جـ٦/م٤ ت . محمد بن ران ط . القاهرة ب-ت
يوسف حنو
تاريخ الموارنة ط . بيروت ١٩٧٧م .
يوشع براور
عالم الصليبيين ت . قاسم عبده قاسم ومحمد خليفه ط . القاهرة ١٩٨١م .

رابعا : المراجع الأجنبية

Archer (T.) and kings ford (C.), The Crusades , The Story of The Latin Kingdom of Jerusalem , London 1896 .
Archer (T.) ," On The Accession dates of The early Kingd of Jerusalem " , E.H.R.,VoL .IV, London 1889.
Anderson , "Saga", in dictionary of The Middle Ages, New York 1989 .
A Tiya (A.S.) , The Crusade in The Later Middle Ages , London 1938 .
Attwater (D.),The Penguin Dictionary of Saints, London 1978
Bailey , Viking Age Sculpture in Northern England, London 1980 .
Baldwin (M.) , The Latin States under Baldwin III and Amalric I 1143-1174", in Setton , A History of The Crusades , VoL. I, Pennsylvania 1955 .
"Mission to The east in The Thirteenth and Fourteenth centuries " in Setton , A History of The Crusades , VoL. IV, Philadelphia 1985 .
Barker (E.), The Crusades , London 1959 .
Benvenisti (M.) , The Crusaders in The Holy Land , Jerusalem 1970 .
Ben yahia , Constantine L' African de L'Ecole de Salern "C.T., Annee 3, T.IX, 1955.
Boase (T.S.) , Military Architecure in The Crusader States in Palestine and Syria " , in Setton , A History of The Crusades , VoL . IV, Madison 1977.
Broake , A History of Europe From 911 to 1198, London 1938 .
Campbell , Arabian Medicine and its influence on The Middle Ages, Vol . I, London 1976 .
Chevalier , "The Beginnings of The School of Salerno ", C.S., Vol V, 1941
"The Regimen Sanctatis ", C.S., Vol V, 1941 .
"Constantinus A Fricanus and The influence of The Arabs on Salerno" ,C.S., 1941

Citarello , "The Rlations of Amalfi with The Arab Word before Crusades " , Speculum , Vol. XLII, No. 2, April 1976 .
Conder (G.R.) , The Rise of Medicine at Salerno in The Twelfth century ", A.M.H., Vol. III, January 1931 .
Craw Ford , "William of Tyre and The Maronites " Speculum , Vol. XXX, 1955 .
Daniel , The Arabs and Medieval Europe , London 1979 .
Davis , "William of Tyre ", in Relations between East and West in The Middle Ages , ed Derk Baket .
Delaville le Roulx , Cartulaire generale de L'Ordre des Hospitaliers de St. Jean de Jerusalem (1110-1130), T.I, Paris 1894 .
Duggan (A.) The Story of The Crusades (1097-1291), London 1936 .
Edbury (p.)William of Tyre, A Historian of The Crusades and The Kingdom of Jerusalem (1130-1184) , B.E.A.A.U.,1988.
EL Rooby , "East meets West , A Panorama of Arabian Medicine" , in lectures in The History of Arabian Medicin , Riyadh 1988 .
Fedden (R.) Crusader Castles , Beirut 1957.
Fink (H.) Maudud of Mosul ptecutsor of Saladin ", M.W., T.XLIII, 1953 .
,"The Foundation of The Latin States (1099-1118)", in Setton , A History of The Crusades, Vol. I, Madison 1969.
Gabriel; (F.), Arab Historians of The Crusades, Trans. by Costello, London 1975 .
Jerset , A Historhy of The Norwegian people , New York 1927.
Gramt (A.) , Historie des Croisades, Paris 1934 .
Haskins , Studies in The History of Medieval Science , Cambridge 1927, The Renaissance of The Twelfeth century , Cambridge 1928 .
Hearnshaw, ,"Chivalry and its place in history" , in Chivalry, A series of studies to ollustrate its civilieing in fluences ed . by Edgar prestige , London 1924 .

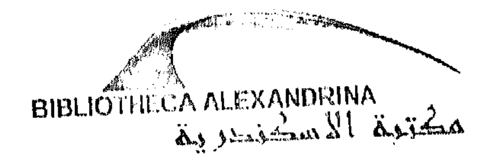
Heyd , Histoire de Commerce de Levant au Moyen Ages , Vol. I , Lei ig 1936 .
Huggens , Guillaume de Tyr etudiant , un Chaptre de Son Histoire retrouve , Lat oumus XX1, 1926
Hume (E.E.) Medicl Work of The Knights Hospitallers of Saint John of Jerusalem , Baltimore 1940 .
Johns , Palestine of The Crusaders, Jerusalem 1946 .
Kedar (B.), Crusade and Mission, European approaches to The Muslims , princeton 1988 .
King , The Knights Hospitallers in The Holy Land , London 1931.
Krey , " William of Tyre , The Making of An Historian in The Middle Ages ", Speculum , Vol. XV1, 1941 .
Kristeller, The School of Salerno , its development and its contribution to The History of Learning , B.H.M.,Vol. XVII 1975.
Krueger , The I Talian Cities and The Arabs beore 1099, in Setton ,A History of The Crusades, Vol. I, pennsylvania 1958.
Lamb (H.) , The Some prablems in Crusading Historvogtaphy", Speculum , Vol. XV, 1940 .
,"The Crusade and Jihad", in The Islamic civilesation ed by Nabih Faris , New York 1960 .
Le Strange (J.) , Palestine under the muslem , Description of Syria and The Holy Land From 650 to 1500, Beirut 1965.
Lewis (B.), "The Ismailites and The Assassins",in Setton , A History of The Crusades , Vol. I, Pennsylvania 1958 .
Machinney , Medical illustrations in Medieval Manuscripts, London 1969.
Mawer , The Vikings , Cambridge 1930 .
Mayer (H.) , Bibliographie ur , Geschichte der Kreuuges, Hannover 1965.
The Crusades, Trans. by John Gillingham, Oxford 1972.
Michaud , Biblioheque des Croisades, T.I, Paris 1882 .
Milles (T.) " The Knights of Saint John and the Hospitals of The Latin West", Speculum , Vol. L III, No. 2,1973 .

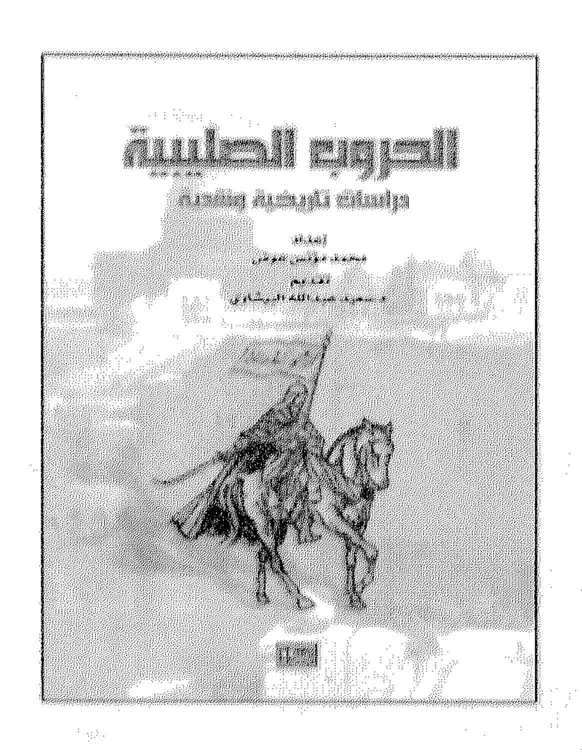
Munro (D.) , The Speech of pope Urban The second at Clermont ",
A.H.R.,Vol. II, 1905 .
Nicolson , The Growth of The latin States (1118-1144), in Setton
,A History of The Crusades, Vol. I , Madison 1965.
Northup (L.) , The Knights Templars in The Holy Land (1118-
1187), M.A. Thesis University of California 1943 .
Oman (C.) , A History of the art of War in The Middle ages ,
London 19
Painter (S.) , History of The Middle Ages (234-1500), New York
1954.
Pernoud , The Crusades , Trans . by Enid Mclood , London 1962.

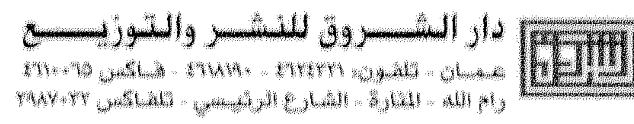
Peters , Jerusalem , The Holy City, princeton 1958 .
Pirenne (H.) , Mohammed and Charlemagne 1 London 1954 .
Praise , "Godfrey de Bouillon , Le Croisade exemplaire",
L'Histoere , T.XL V11, Annee 1982 .
Prawer (J.) , the Settlement of The Latins in Jerusalem ",
Speculum , Vol. XXV11, Cambridge 1952
The Latin Kingdom of Jerusalem , The European
Colonialation in The Middle aes", London 1973 .
,Crusader Institutions , Oxford 1980.
,Social Classes in The Crusader States , The Minorities in
Setton , A History of The Crusades , Vol. II , New Jersy 1983 .
Rohricht , chronologis Ver eichniss Literature Von 333 Bis 878
,Berlin 1809.
Richard (j.) , "Hospitals and Hopital Congregation in The Latin
Kingdom during The First period of The Frankish
Conquest" , in Outremere Studies in The Crusading
kingdom of Jerusalem , Jerusalem 1982.
,"La bataille de Hatin : Saladin defait L'Occident",
L'Histore, T.XLV11, Annee 1982.
Ruciman (S.) , A History of The Crusades, London 1978 .
Russell ," The Population of The Crusader States ", in Setton,
A History of The Crusades, Vol.I , Madison 1989 .
Salibi (K.) , The Maronites of Lebanon under The Frankish rule" ,
R.E.A.T. 1V, Ann'ee 1957 .

Savignac , " Auairah " , R.B., T. X11, 1903 .
Schipperes , Die Assismi Lation der Arabischen Medi in das
Ltieinischen Mihelater, Weisbaden 1966 .
Schlumberyer (G) Renauld de Chatillion , Paris 1893 .
Se gin (F.), Geschichte des Araischen Schrift Tum , Bard III,
Leiden 1970 .
Smail (R.) , The Crusaders in Syria and The Holy Land ,
London 1973.
The international Status of The Latin Kingdom of
Jerusalem 1150-1192" , in The Eastern Mediterranean
Lands in The Period of The Crusades, ed . by P.M. Holy ,
London 1977.
Stephenson , Medieval History , New York 1943 .
Stevenson (W.B.) , The Crusaders in The East, Cambridge 1907.
, The First Crusade " . C.M.H., Vol. 1V , Cambridge 1979.
Strayer (J) and Munro (D.) , The Middle ages (395-1500) , New
York 1970 .
The Oxford English Dictionary , Vol. 1X, Oxford 1973 .
The Oxford reference ditionary, London 1462 .
Woodings (A.) , The Medical resources in Syria and Palestine
(1096-1193), M.H.,Vol. XV,No. 3, July 1971.
Wright (J.), The Geographical Lore in The Time of The
Crusades, New York 1965.
Wright (W.), Early Travels in Palestine , London 1848.

تم بحمد الله تبارك وتعالى







دار الشروق للنشر والتوزيع
عمان - تلفون: ٤٦٢٤٣٢١ - ٤٦١٨١٩٠ - فاكس ٤٦١٠٠٦٥
رام الله - المنارة - الشارع الرئيسي - تلفاكس ٢٩٨٧٠٢٢

ISBN 9957-00-074-8 (ردمك)